أعلام الشيعة في الحجاز

من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر



الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

ISBN 978-614-426-694-6



أطياف للنشر والتوزيع
هاتف/ فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٠٩٦٦
جـوال: ٠٩٦٦-٥٠٥٨٦٨٧٧١
القطيف - شارع القدس
ص. ب: ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E mail: atyaf pd@hotmail.com



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

أعلام الشيعة في الحجاز

من القرن الثالث إلى القرن الحادي عشر

تأليف

حسين علي المصطفى

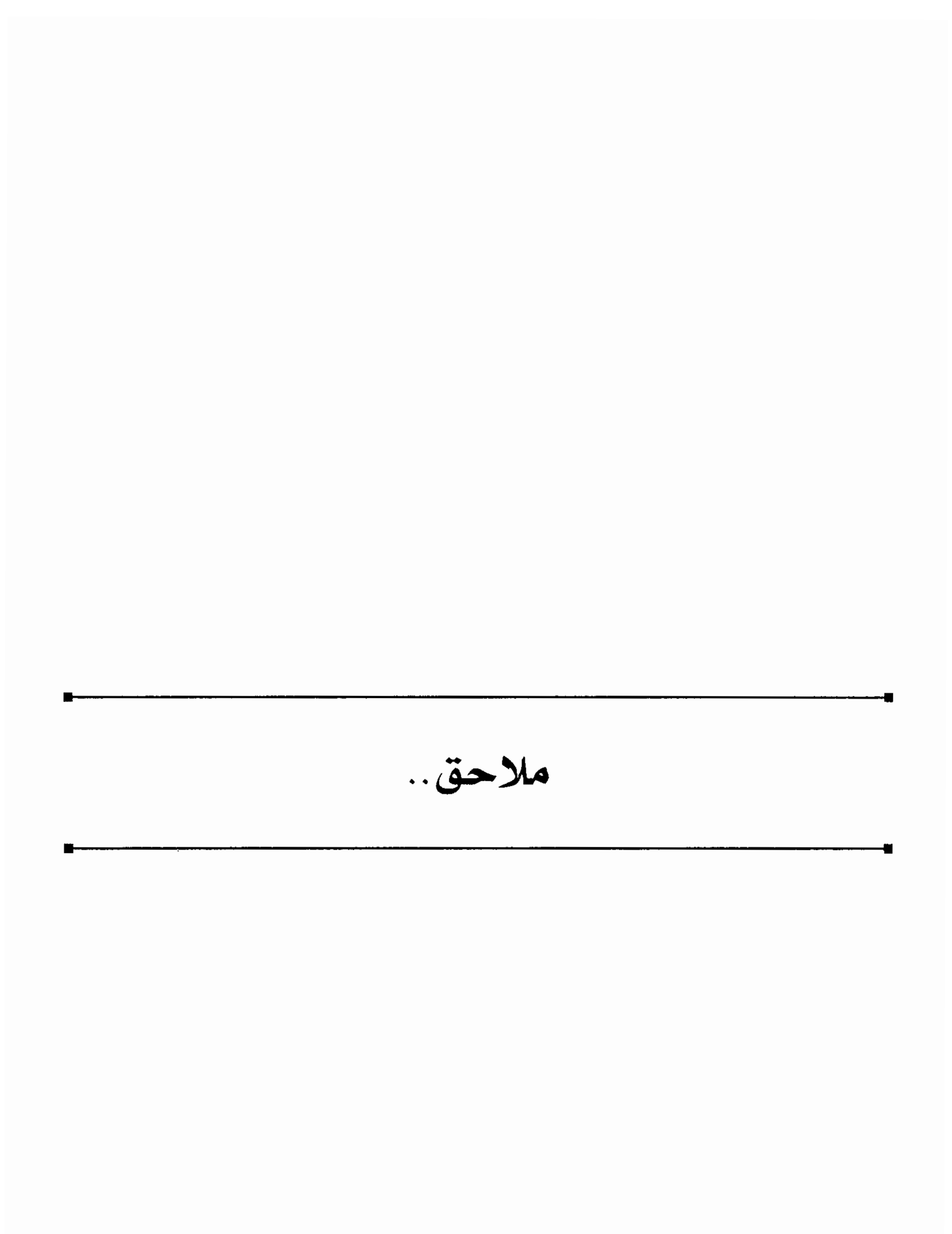
الجزء الثالث



دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم





ملاحق..

الملحق (١)

طبقات أشراف المدينة المنورة

الأول: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الثاني: الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

الثالث: الإمام علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام. أعقب ستة رجال هم:

* الإمام محمد الباقر عليه السلام
* عبد الله الباهر
* زيد الشهيد
* الحسين الصغير
* عمر الأشرف
* علي الأصغر

الرابع: الحسين (الأصغر) بن علي زين العابدين: وأمه اسمها ساعدة. كان عفيفاً فاضلاً محدِّثاً، ويكنى أبا عبد الله، توفي سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م، وله سبعة وخمسون عاماً، ودفن بالبقيع، وعقبه كثير في الحجاز والعراق والشام والمغرب وبلاد العجم. وأعقب ستة رجال هم: عبيد الله الأعرج، وعبد الله، وعلي،

والحسن، وسليمان، وإبراهيم.

الخامس: عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين. يكنى أبا علي، وأمه خالدة بنت حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام، وكان في إحدى رجليه نقص فسمي بالأعرج، ووفد على أبي العباس السفَّاح في بغداد، فأقطعه ضيعة المدائن، ونقده كل سنة ثمانين ألف دينار؛ وكان ذلك بسبب تخلف عبيد الله الأعرج عن بيعة النفس الزكية محمد بن عبد الله، وقد أعظمه أهل خراسان؛ فساء أبا مسلم الخرساني ذلك، وتوفي في المدائن في بلاد العجم في حياة أبيه، وهو ابن سبعة وثلاثين كما في رواية أبي نصر البخاري، وقيل توفي وهو ابن ست وأربعين سنة كما في رواية أبي الحسن العمري. وقد أعقب أربعة رجال هم: جعفر الحجّة، وعلي الصالح، ومحمد الجوّاني، وحمزة مختلس الوصية.

السادس: جعفر بن عبيد الله يلقب بالحجّة، وفي ولده الإمارة بالمدينة المنورة ومنهم ملوك بلخ ونقباؤها، كان فصيحاً عالماً فاضلاً خطيباً.

قال القاسم الرس بن إبرهيم الطباطبا: «جعفر الحجة من أئمة آل محمد وكان فصيحاً» حُبس بالمدينة المنورة اثنا عشر شهراً، فما أفطر إلا في العيدين، وكان عابداً قانتاً لله، وأعقب ولدين هما الحسن والحسين.

السابع: الحسين بن جعفر الحجة ولم يعقب سوى ولد واحد وهو يحيى النسابة.

الثامن: أبو الحسين يحيى النسَّابة العالم الفاضل، وهو أول من جمع كتاباً في نسب آل أبي طالب. وليحيى النسَّابة سبعة أولاد، ما بين مقل وثري، وهم:

* طاهر بن يحيى
* علي بن يحيى
* عبد الله بن يحيى
* إبراهيم بن يحيى
* محمد الأكبر بن يحيى

* أحمد الأعرج بن يحيى
* جعفر بن يحيى

التاسع: أبو القاسم طاهر بن يحيى المحدِّث المشهور، العالم الجليل، وفي ولده البيت والإمارة، وكان من جلالة القدر أنَّ بَنِي أخوته يُعرف كلٌّ منهم بابن أخي طاهر، يُضرب به المثل بجوده وشجاعته، أنجب ستةً من الرجال هم: عبيد الله، والحسن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، ويحيى المبارك يقال لذريته: (العرفات، الكثرة، المهانية).

العاشر: عبيد الله بن طاهر. وهو أبو علي عبيد الله، عميد الإمارة والنقابة، عالم فاضل وخطيب فصيح، أعقب ثلاثة رجال وهم:

* الأمير أبو أحمد القاسم وذريته في الحجاز.

* الأمير أبو جعفر (مسلم)، واسمه محمد، وذريته بمصر، ويسمية المصريون (بمسلم العلوي).

* أبو الحسن إبراهيم، وذريته بالحلّة في الفرات.

الحادي عشر: أبو أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر. فيه البيت والإمارة، أعقب خمسة رجال هم:

* عبد الله موسى
* أبو محمد الحسن
* أبو هاشم داود
* أبو الفضل جعفر
* أبو الهاشم داود

الثاني عشر: داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر. أعقب أربعة رجال وهم:
* الأمير أبو عمارة (المهنا الأكبر) واسمه حمزة
* الحسن الزاهد وذريته الخزاعل

* أبو محمد هاني واسمه سليمان
* الحسين وذريته بالكوفة ومصر

الثالث عشر: أبو عمارة حمزة بن داود بن القاسم. أعقب ثلاثة من الرجال وهم:

* عبد الوهاب وذريته قضاة المدينة المنورة
* سبيع وذريته ببغداد والحلّة يقال لهم الراجح
* شهاب الدين الحسين أمير المدينة

الرابع عشر: الأمير شهاب الدين الحسين. أمير المدينة النبوية أعقب رجلين وهما:

* مالك وذريته الوحاحدة في المدينة، وهم الجمامزة والمناصير.

* مهنا أمير المدينة، وذريته يقال لهم المهاينة وفيهم الإمارة والبيت.

الخامس عشر: الأمير مهنا الأعرج. أمير المدينة النبوية، وهو أبو المهاينة أعقب ثلاثة من الرجال هم:

* الأمير الحسين
* الأمير عبد الله
* الأمير قاسم أبو فليته

السادس عشر: الأمير قاسم أبو فليته بن الأمير مهنا بن الحسين. أمير المدينة النبوية أعقب من رجلين هما:

* الأمير هاشم ويقال لذريته الهواشم في المدينة النبوية.

* والأمير جمّاز ويقال لذريته الجمامزة.

لُقّب بأبي فليته لسخائة وكرمه الذي بات يُضرب به المثل، شارك في تحرير القدس من الصليبيين، وقاتل إلى جانب صلاح الدين الأيوبي الذي كان يحرص على وجوده معه، حكم سبعة عشر عاماً، جمع إلى جانب كرمه شجاعة فائقة.

السابع عشر: أبو شيحة هاشم بن القاسم، أمير المدينة النبوية، وذريته الهواشم، وله شيحة بن هاشم.

الثامن عشر: الأمير شيحة بن هاشم، أمير المدينة النبوية، دخل مع أمراء مكة في معارك عديدة سانده فيها صاحب مصر (الملك الصالح)، وأعقب من الأبناء سبعة رجال منهم:

* الأمير أبو سند جمّاز أمير المدينة النبوية
* أبو ردينة سالم جدّ الردينية في البصرة
* عيسى
* محمد
* هاشم

التاسع عشر: أبو سند جمّاز بن شيحة، أمير المدينة النبوية، أعقب من عشرة رجال هم:

* الأمير أبو غانم منصور.
* القاسم.
* الأمير المقبل وذريته بالعراق بالحلة.
* وودي.
* حنيس.
* راجح.
* وثابت.
* ومبارك.
* ومسعود.

العشرون: الأمير أبو غانم منصور بن جمّاز بن شيحة، أمير المدينة النبوية، وذريته يقال لهم (المنصور)، وفيهم الأمارة والبيت، وقد أعقب تسعة رجال وهم:

* الأمير كبش
* الأمير فضيل
* الأمير عطية
* الأمير جمّاز
* الأمير غانم
* الأمير نعير
* الأمير زيان
* الأمير كوير
* الأمير هبة الله

الحادي والعشرون: أبو إبراهيم كبش بن منصور. كان الساعد الأيمن لوالده الأمير منصور، له من الذكور: إبراهيم (أحمر العينين)، وهدف، وعبيد، ومساعد، وعبد الله. وقد مدحه أبو حمزة العامري (من قدماء شعراء النبط) بقوله:

قلت الشريف ابن الشريف أزوره ابن الرسول ابن البتول ابن الولي
كبش بن منصور ابن جمّاز الذي حاشا الثنا وعــذاره لـم يكمل

الثاني والعشرون: أبو سعدون إبراهيم (أحمر العينين) بن كبش. هاجر من المدينة بعد صراعه على الإمارة مع ابن عمه محمد بن عطية بعد وفاة الأمير عطية بن منصور، وانتهى الصراع بإمرة محمد، وهجرة إبراهيم وأبنائه خارج المدينة نحو نجد، وهو أول من هاجر من المهاينة من المدينة المنورة نحو القصيم، واستمرت الأمرة في أبناء عمه المهاينة المنصور، وانتهى بهجرته دور جدود آل شبيب في المدينة، وبدأ عهدهم في نجد، ومن ثم الإحساء فالعراق.

الثالث والعشرون: أبو مالك سعدون الأول عاش مع والده وبظله في المدينة المنورة وبوادي نجد، شهد سقوط إمارة أهله في المدينة عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م على أيد أمراء مكة الحسنيين. له من الاولاد خمسة هم: (مالك وهدف ونغيمش وجبران ومنصور).

الملحق (٢)

أملاك آل علي عليه السلام في الحجاز

ترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أملاكاً كثيرة كانت بيد ذريته إلى عهد قريب، وفي هذا الملحق سوف نسلط الضوء عليها:

أملاكه في ينبع:

إذا ذكر هذا الاسم في السيرة أو في أي كتاب من كتب المتقدمين فلا ينصرف إلّا على وادي ينبع النخل - وليس المقصود منها ينبع البحر الميناء؛ لأنّها حادثة، وليس فيها عيون - وهو وادٍ فحل كثير العيون والقرى والنخيل، التي أخذ اسمه منها، يتعلق رأسه عند بواط على قرابة سبعين كيلومتراً من المدينة غرباً، ثم ينحدر بين سلسلتين من الجبال عظيمتين، فتكثر روافده منهما، وهذا هو سرّ وفرة مياهه وتفجر عيونه، والسلستان هما: جبل الأشعر في الجنوب، ويسمى اليوم الفِقْرَة تسيل منه أودية عظام في ينبع، من أهمها: نَخَلَى، وعَبَاثر، وجبال رضوى من الشمال، ومنها أودية أيضاً أهمها: ضأس وغيره.

وقد كان لآل البيت عليهم السلام في ينبع النخل بساتين وعيون كثيرة. قال الحربي:

« وبها مائة عين غير عين، وهي لعلي بن أبي طالب »[١].

عن بكر بن عيسى، قال: كان علي عليه السلام يقول: «يا أهل الكوفة إن خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن»، وكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة من ينبع،..[٢].

ولكنّ هذه العيون قد اندثرت ولم يبق الآن سوى خمسة وعشرين عيناً.

وسكانه من جهينة وحرب والأشراف المنتسبين إلى الإمام علي عليه السلام، وخليط من غيرهم.

قال العياشي: « وفي هذا البلد موطن طائفة من الأشراف[٣]، ومنهم شرفاء بلدنا القاطنين بسجلماسة »[٤].

وفي ينبع قبر علي الأصغر ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٥].

قال الشيخ عباس القمي: « وكان ذا شرف وفضل، وقيل إنّ له آثاراً وفضائل ومناقب، وسمّاه الإمام السجاد عليه السلام باسم أخيه علي بن الحسين، وهو كثر

---

(١) المناسك: ص ٤١٣.

(٢) وسائل الشيعة: أبواب جهاد العدو وما يناسبه ب ٤٠ ح ٥.

(٣) من الطالبيين التي سكنت ينبع وأعقبت فيه:

١ – محمد الأصغر الأعرابي بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (الأصيلي: ص ٩٥).

٢ – جعفر الكشيش بن أحمد المسوّر بن عبد الله الناسك بن موسى الجون. ويعرفون ببني كشيش. (الأصيلي: ص ٩٣).

٣ – عبد الله الضرير بن الحسن المكفوف بن علي العابد. (الأصيلي: ص ١٢٣).

٤ – علي بن الحسين بن داود بن الحسين بن أبي زيد بن حمزة بن موسى بن محمد البطحاني. (الأصيلي: ص ١٣٩).

(٤) مقتطفات من رحلة العياشي: ص ٣٦.

(٥) الأصيلي في أنساب الطالبيين: ص ٣١٢.

الأولاد»[١].

وقد توهم العياشي وظن أنّه قبر الحسن المثلث الذي مات في سجن قصر ابن هبيرة شرقي الكوفة زمن المنصور[٢].

وأهم أملاك آل البيت ينبع حتى أنّ البكري يقول: «ينبع وادي علي بن أبي طالب»[٣].

ويقول الإمام الشافعي: «ولم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يلي صدقته بينبع حتى لقي الله عز وجل»[٤].

ويظهر أنّ علياً عليه السلام كان يقيم كثيراً في ينبع فقد روى «أحمد بن الضحاك أنَّ أبا فضالة خرج عائداً لعلي بينبع، وكان مريضاً، فقال له: ما يسكنك هذا المنزل لو هلكت لم يلك إلا الأعراب، أعراب جهينة، فاحتمل إلى المدينة فإن أصابك قدر وَلِيَك أصحابك، فقال علي: إني لست بميت من وجعي هذا؛ إنّ رسول الله عهد إليّ أن لا أموت حتى أُضرب ثم تُخضب هذه -يعني لحيته من هذه يعني هامته»[٥].

ويروي يحيى بن آدم عن الحسن عن عبد الله بن الحسن «أنّ علياً رضي الله عنه سأل عمر بن الخطاب فأقطعه ينبع».

ويقول جعفر بن محمد: «إنّ علياً أقطعه عمر ينبع وأضاف إليها غيرها»[٦].

وفي تاريخ المدينة: «أقطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً رضي الله عنه بذي العشيرة من ينبع، ثم أقطعه عمر رضي الله عنه بعد ما استخلف إليها قطيعة، واشترى علي رضي الله عنه إليها قطعة،

(١) منتهى الآمال: ج ٢ ص ١١٥.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٥٤٧.
(٣) معجم ما استعجم: ص ١٣١٠.
(٤) الأم: ج ٣ ص ٢٧٦.
(٥) وفاء الوفاء: ج ٢ ص ٣٩٣.
(٦) معجم البلدان: ج ٣ ص ٩٠٣؛ ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٥٦.

وحفر بها عيناً، ثم تصدَّق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل، القريب والبعيد، وفي الحياة والسلم والحرب، ثم قال: صدقة لا توهب ولا تورث، حتى يرثها الله الذي يرث الارض ومن عليها، وهو خير الوارثين »[١].

وهذا نص غامض قد يفهم المرء منه أنّ كلّ هذه الأموال بينبع.

كما ورد في أحاديث أخرى أنها لم تكن هبة، بل « أنّ علياً عليه السلام اشتراها »[٢] على حد تعبير ابن شبة.

قال ابن شبة: حدثنا محمد بن يحيى، قال: أخبرني عبد العزيز بن عمران، عن واقد بن عبد الله بن الجهني، عن عمه، عن جده كُشْد بن مالك الجهني: نزل طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد رضي الله عنهما عليَّ بالمنجار -وهو موضع بين حوزة السفلى وبين منحوين (البكري: منحوس) على طريق التجار في الشام- حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يترقبّان له عن عِير أبي سفيان، فنزلا على كُشْد فأجارهما.

فلمّا أخذ رسول الله ينبع، قطعها لكُشْد، فقال: يا رسول الله، إني كبير، ولكن اقطعها لابن أخي.

فقطعها له، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري بثلاثين ألف درهم، فخرج عبد الرحمن إليها فرمى بها وأصابه سافيها[٣] وريحها، فقدرها، وأقبل راجعاً، فلحق علي بن أبي طالب عليه السلام بمنزل وهي بليّة دون ينبع، فقال: من أين جئت؟

فقال: من ينبع، وقد شنفتها (أي: بغضتها)، فهل لك أن تبتاعها؟

قال علي: قد أخذتها بالثمن.

---

(١) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢١، وفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٩٣.
(٢) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢١.
(٣) السافي: الهزال.

قال: هي لك.

فخرج إليها علي رضي الله عنه، فكان أول شيء عمله فيها البغيبغة وأنفذها[١].

إنّ هذا النص يشير إلى أنّ علياً عليه السلام اشتراها جملة، ولا يشير من أين حصل علي على الثلاثين ألف درهم، كما لا يشير إلى الإقطاعات التي ظفر بها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهل سبقت هذا وهو ما نرجحه كما لا يذكر موقع اقتطاع عمر.

وإذا أخذنا بما قال ابن شبة فيمكن القول أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقطع علياً بعض ينبع، ثم وسّعها شراءً، أو اقطاعاً فأصبحت مقاطعة واسعة، وإن كنا لا نعرف مساحتها.

ويقول ابن شبة فيما نقل في صدقة علي عليه السلام: «وكانت أموال علي رضي الله عنه عيوناً متفرقة بينبع، منها عين يقال لها «عين البحير»، وعين يقال لها «عين أبي نيزر»، وعين يقال لها «عين نولا»، وهي اليوم تُدعى العدر وهي التي يقال لها أنّ علياً رضي الله عنه عمل فيها بيده، وفيها مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوجّه إلى ذي العشيرة يتلقى عير قريش»[٢].

وليست لدينا معلومات عن عين البحير وعين نولا، ويبدو أنهما من أقدم عيون ينبع؛ لأنّ علياً عليه السلام عمل فيها بيده، وفيها مسجد النبي في العشيرة، أما البغيبغة وعين أبي نيزر فلدينا عنها معلومات واسعة نسبياً.

وكذلك «عمل علي رضي الله عنه أيضاً بينبع «البغيبغات» وهي عيون منها: عين يقال لها «خيف الأراك»، ومنها عين يقال لها «خيف ليلى»، ومنها عين يقال لها «خيف بسطاس»، فيها خليج من النخل مع العين»[٣].

قال البكري: «البغيبغة: بضم أوله على لفظ التصغير بباءين وغينين معجمتين،

(١) تاريخ المدينة، لابن شبة: ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠، والإصابة: ج ٥ ص ٤٤١ رقم ٧٤١٩، ووفاء الوفا: ج ٤ ص ١٣٣٤، ومعجم ما استعجم: ص ٦٥٧.
(٢) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢٢، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٤٨.
(٣) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢١-٢٢٢، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٤٨.

ماء لعلي بن أبي طالب عليه السلام بينبع »[١].

وقال البلاذري: « البغيبغة فوق المدينة بأربعة فراسخ »[٢].

وذكر الزبيريون أنّ الحسين نحل البغيبغة أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر حين رغبها في نكاح ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، وقد خطبها معاوية على ابنه يزيد، فلم تزل هذه الضيعة بأيدي بني جعفر حتى صار الأمر إلى المأمون فعوّضهم منها، وردّها إلى ما كانت عليه، وقال: هذه وقف علي بن أبي طالب[٣].

وذكر ابن شبة أنّ ينبع لما صارت لعلي كان أول شيء عمله فيها البغيبغة، وأنه لما بشر بها حين صارت له قال: « تسر الوارث »، ثم قال: « هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب »[٤].

وفي رواية للواقدي أنّ جذاذها بلغ في زمن علي ألف وسق.

وقال محمد بن يحيى: عمل علي بينبع البغيبغات وهي عيون منها عين يقال لها «خيف الأراك» ومنها عين يقال لها «خيف ليلى» ومنها عين يقال لها «خيف نسطاس».

قال: وكانت البغيبغات بما عمل علي، وتصدَّق به فلم يزل في صدقاته حتى أعطاها حسينُ بنُ علي عبدَ الله بنَ جعفر بن أبي طالب يأكل ثمرها، ويستعين بها على دينه ومؤونته على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية، ثم قُبضت حين ملك بنو هاشم الصوافي، فكلَّم فيها عبدالله بن حسن بن حسن أبا العباس، وهو خليفة، فردّها في صدقة علي، فأقامت في صدقته حتى قبضها أبو جعفر في خلافته، وكلَّم فيها الحسن بن زيد المهدي حين استخلف

---

(١) معجم ما استعجم: ج ١ ص ٢٦٢.
(٢) أنساب الأشراف: ص ٢٠٦.
(٣) معجم ما استعجم: ج ٢ ص ٦٥٩.
(٤) تاريخ المدينة لابن شبة: ج ١ ص ٢٢٠، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٦٢.

وأخبره خبرها فردَّها مع صدقات علي[١].

وقال المبرد: روي أنّ علياً لما أوصى إلى الحسن وقف عين أبي نيرز البغيبغة، وهي قرية بالمدينة، وقيل عين كثيرة النخل غزيرة الماء، فلم تزل هذه الضيعة في يد بني عبد الله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى استخلف المأمون، فذُكر له فقال: كلا هذه وقف عليٍّ فانتزعها، وعوَّضهم عنها، وردَّها إلى ما كانت عليه[٢].

ويقول السمهودي عن البغيبغة: «وهي معروفة اليوم بينبع»[٣].

ويقول وكيع: إنّ البغيبغة صدقة علي بن أبي طالب، وأنَّ معاوية كان خطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وهي بنت زينب بنت علي لفاطمة بنت محمد على ابنه يزيد فأراد أن ينكحه، فبعث إلى حسين في ذلك، فذكر حديثاً طويلاً فيه: أنّ البغيبغة لم تزل في يد حسن حتى هلك، ثم وثب عليها يزيد بن معاوية فكانت في يده، ثم كانت في يد ابن الزبير فكانت إذا كانت المدينة في يد ابن الزبير وثب عليها آل علي وإذا كانت في يد يزيد بن معاوية قال: البغيبغة في يده ثم دفعها عبد الملك إلى آل معاوية حتى قام عمر بن عبد العزيز فردّها إلى آل علي، فلمّا ملك يزيد بن

(١) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٦٣، وترجمة الحسين من طبقات ابن سعد: ص ٣٩-٤٠ ح ٢٤٦-٢٤٧. ولكن ابن شهر آشوب ذكر رواية أخرى مفادها أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم ينحل أم كلثوم البغيبة بل نحلها أرضاً أخرى؛ حيث قال: «... قال الإمام الحسين عليه السلام: اشهدوا إني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة، أو قال: أرضي بالعقيق، وإنّ غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار الحديث»، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٤٣٤ . ولكن المحقق السيد محسن الأمين يرجح رواية المبرد ويقول: «كلام المبرد في خبر تزويج أم كلثوم هذه يدل على أنّ الحسين عليه السلام نحلها البغيبغة، ورواية ابن شهرآشوب تدل على أنه نحلها ضيعته بالمدينة أو أرضه بالعقيق، وأرض العقيق خارجة عن البغيبغة التي بينبع أما ضيعته بالمدينة فيمكن انطباقها على التي بينبع لأنها من توابع المدينة وحينئذ فيرجح ما ذكره المبرد ويضعف أنه نحلها أرضه بالعقيق»، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٤٣٥.

(٣) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٦٢.

عبد الملك ردَّها إلى آل معاوية»[١].

يروي أبو محلم محمد بن هشام بإسناده: كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم قال: وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى رسول الله ﷺ وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها.

قال أبو نيزر: جاءني علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا أقوم بالضيعتين، عين أبي نيزر والبغيبغة، فقال: هل عندك من طعام؟

فقلت: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين، قرع من قرع الضيعة صنعته بإهالة سنخة.

فقال: عليَّ به.

فقام إلى الربيع، وهو جدول فغسل يديه، ثم أصاب من ذلك شيئاً، ثم رجع إلى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما، ثم ضمّ يديه كلّ واحدة منهما إلى أختها وشرب منهما حسى من الربيع، ثم قال: يا أبا نيزر إنّ الأكف أنظف الآنية. ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله.

ثم أخذ المعول وانحدر فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تنضح جبينه عرقاً فانتكف العرق من جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً وقال: أشهد الله أنّها صدقة، عليَّ بدواة وصحيفة.

قال: فعجلت بهما إليه، فكتب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل؛ ليقي بهما وجهه حر النار يوم القيامة، لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق

(١) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٤٨.

لهما وليس لأحد غيرهما».

قال محمد بن هشام: فركب الحسين دَينٌ فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع، وقال: إنّما تصدق بهما أبي ليقي الله وجهه حر النار ولست بائعهما بشيء[١].

وينقل السمهودي عن كتاب صدقة علي من ابن شبة: إنّ ما كان لي بينبع من ماء يُعرف لي فيها وما حوله صدقة وقفتها غير أنّ رباحاً وأبا نيزر وجبيراً اعتناقهم وهم يعملون في الماء خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم[٢].

ونحن نرجع أصالة هذه الجملة لسعة إطلاع ابن شبة واهتماماته بالصدقات ودقته ونرى أنّ نص أبي محلم المذكور آنفاً مبتور غير أنه غير مغلوط؛ لأنّ السمهودي يقول «فكتب وذكر الصدقة بالضيعتين البغيبغة وعين أبي نيرز على فقراء أهل المدينة وابن السبيل لا يباعان ولا يوهبان إلا أن يحتاج لهما الحسن أو الحسين فيما طلق لهما وليس ذلك لغيرهما قال ابن هشام: فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيرز مائتي الف دينار فأبى أن يبيع»[٣]. ويبدو أنّ السمهودي قد نقل عن محمد بن هشام هذا النص الذي يشبه ما رواه ياقوت والبكري.

ويروي ياقوت أنّ معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة: أما بعد فإنّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يردَّ الألفة، ويسلَّ السخيمة، ويصل الرحم، فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إليّ عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين، وأرغب له في الصداق.

فوجَّه مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية، وعرَّفه ما في الألفه من إصلاح ذات البين. قال عبدالله: إنّ خالها الحسين بينبع، وليس ممن

---

(١) معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧٦، ومعجم ما استعجم: ص ٦٥٧.
(٢) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٤٨.
(٣) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٤٨.

يفتات عليه، فانظرني إلى أن يقدم. وكانت أمها زينب بنت علي، فلما قدم الحسين، ذكر له ذلك عبد الله بن جعفر، فقام من عنده ودخل على الجارية، وقال: «يا بنية، إنّ ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات».

فلم تزل هذه الضيعة في يدي (آل) عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم بتواريثها حتى استخلف المأمون فذكر (له) ذلك فقال: كلا، هذا وقف علي بن أبي طالب على ولد فاطمة، فانتزعها من أيديهم، وعوَّضهم عنها، وردَّها إلى ما كانت عليه[١].

أملاك أخرى:

يروي جعفر الصادق أنّ النبي ﷺ أقطع علياً عليه السلام أرضين الفقرين وبئر قيس والشجرة[٢].

ويذكر يحيى بن آدم أنّ النبي ﷺ أقطع علياً عليه السلام بئر قيس والشجرة، دون أن يذكر الفقيرين[٣].

ونقل ابن شبة في صدقة علي أنّ فيها الفقيرين بالعالية، وأنه ذكر أنّ حسناً أو حسيناً باعا ذلك. فتلك الأموال المتفرقة في أيدي ناس شتى، ثم حكى كتاب الصدقة نصاً ولفضاً: «والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله تم ذكر تسويغ البيع لكل من الحسن والحسين دون غيرهما»[٤].

ويقول السمهودي الفقير موضعين قرب المدينة يقال لهما الفقيران. قال المجد: «وبعالية المدينة حديقة تعرف بالفقير... وسبق في الصدقات مكاتبة

(١) معجم البلدان: ج ١ ص ٦٩٧، ومعجم ما استعجم: ص ٩٥٦.
(٢) معجم البلدان: ج ٣ ص ٩٠٦، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٥٦.
(٣) الخراج: ص ٢٥٥.
(٤) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢٣، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٥٦.

سلمان سيِّدَه القرظي على أن يحيي له ذلك النخل بالفقير فالظاهر أنه المعروف اليوم بالفقير قرب بني قريظة »[١].

وقال ابن شبة: « ولعلي رضي الله عنه في صدقاته « عين ناقة » بوادي القرى يقال لها « عين حين » بالبيرة من العلا. كانت حديثاً من الدهر بيد عبد الرحمن بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي، فخاصمه فيها حمزة بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي -بولاية أخيه العباس بن حسن- الصدقة حتى قضى لحمزة بها، وصارت في الصدقة. وله بوادي القرى أيضاً عين موات خاصم فيها أيضاً حمزة بن حسن بولاية أخيه العباس رجلين من أهل وادي القرى، كانت بأيديهما يقال لهما « مصدر كبير مولى حسن بن حسن »، و « مروان بن عبد الملك بن خارست »، حتى قضى حمزة بها، فصارت في الصدقة. ولعلي رضي الله عنه أيضاً حق على عين سكر. وله أيضاً ساقي على عين بالبيرة وهو في الصدقة »[٢].

وذكر ابن شبة في صدقات علي وادٍ يقال له ترعة بناحية فدك بين لابتي حرة[٣].

ويقول ابن شبة في صدقات علي: « وله بحرة الرجلا من ناحية شعب زيد: وادٍ يدعى الأحمر، شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع وبني عدي؛ منحة من علي.. وله أيضاً بحرة الرجلاء وادٍ يقال له البيضاء فيه مزارع وعضاه وهو في الصدقة ثم قال: وله بناحية فدك بأعلى حرة الرجلا مال يقال له القصيبة... إنّ وادي القصيبة قبلي خيبر وشرقي وادي عصر »[٤].

ونقل ابن شبة أنّ علي بن أبي طالب كان مع صدقاته بالمدينة بئر الملك بقناة[٥].

---

(١) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٣٥٦.
(٢) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢٣-٢٢٤.
(٣) تاريخ ابن شبة: ج ١ ص ٢٢٤، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٧٠.
(٤) تاريخ المدينة: ج ١ ص ٢٢٤-٢٢٥، ووفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٨٨.
(٥) وفاء الوفا: ج ٢ ص ٢٥٨.

يروي يحيى بن آدم، عن قيس، عن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر: «ما قتل ابن عفان حتى بلغت غلة علي مائة ألف»[1].

يذكر الشافعي: «ولم يزل علي بن أبي طالب يلي صدقته بينبع حتى لقى الله عز وجل، ولم تزل فاطمة عليها السلام تلي صدقتها حتى لقيت الله تبارك وتعالى»[2]. ويقول أيضاً: وقد وصفت لك أنّ أهل هذه الصدقات من آل علي وغيرهم..

(١) الخراج: ص ٢٦٣.
(٢) الأم: ج ٣ ص ٢٧٦.

الملحق (٣)

نشأة دولة المماليك وتوليهم مقاليد الحكم[١]

تمهيد:

يطلق اسم (المماليك) اصطلاحاً، على أولئك الرقيق -الأبيض غالباً- الذين درج بعض الحكّام المسلمين على استحضارهم من أقطار مختلفة وتربيتهم تربية خاصة، تجعل منهم محاربين أشدَّاء.

وكان استكثار الأيوبيين من المماليك سبباً في قيام الدولة المملوكية، حيث إنهم أقاموا منذ وقت مبكرٍ سنة دولتهم ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، بجلب أعداد كبيرة من

(١) انظر:
- الظاهر بيبرس، سعيد عبد الفتاح عاشور.
- الحصار الاقتصادي الأوروبي على مصر، سعيد عبد الفتاح عاشور.
- الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، علي محمد عطا.
- المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية، علي السيد علي.
- تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، محمد عبد الغني الأشقر.
- طبقة التجار في مصر في عهد دولة المماليك، ياسر حلمي أحمد عبده.
- تاريخ المماليك البحرية، علي إبراهيم حسن.

المماليك الصغار عن طريق النخَّاسين الذين كانوا يحضرونهم من شبه جزيرة القرم، وبلاد القوقاز والقفجاق[١]، وما وراء النهر، وآسيا الصغرى، وفارس، وتركستان، وحتى من البلاد الأوربية[٢] حيث ازدهرت حركة تجارة النخاسة في أوربا قبل عصر المماليك، ومارسها البنادقة[٣] والجَنَوِيون؛ فكانوا يشترون المماليك من سواحل البحر ا الأسود ويبيعونهم في مصر، فبلغ مَن كانوا يبيعونهم في العام الواحد ألفين من المغول والشراكسة والروم والألبانيين والصقالبة والعرب.

وكانت أشهر أسواق بيع هؤلاء المماليك، خان مسرور في القاهرة[٤]، وسوق الإسكندرية. والذي شجع الأيوبيين في مصر والشام على الاستكثار من هؤلاء المماليك هو ضعف شأنهم بعد وفاة صلاح الدين ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وانقسام الدولة بين الأيوبيين الذين لقَّبوا أنفسهم بالملوك في كلٍّ من مصر، ودمشق، وحلب، والكرك، وبعلبك، وحمص، وحماه، حيث قامت بينهم منافسات وحروب كثيرة، كما قامت بينهم من جهة، وبين أبناء البيوتات الأخرى مثل آل زنكي وأهل البلاد الآخرين، حروبٌ مشابهة[٥]، مما اضطر كل منهم للبحث عن عصبية تحميه وقت الشدة، وتساعده في صد أعدائه، فكان الإكثار من الرقيق الأبيض (المماليك) خير وسيلة لتحقيق ذلك وللوقوف في وجه الصليبيين في الشام، ولذلك بنى لهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠-١٢٥٠م المعسكرات في جزيرة الروضة ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م وسماهم بالمماليك البحرية[٦] الصالحية، وسكن

---

(١) وتشمل حوض الفلجا والأراضي الواقعة حول بحر قزوين.
(٢) الحركة الصليبية: ج ٢ ص ١٠٧٥.
(٣) تاريخ المماليك البحرية: ص ٢٥.
(٤) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار: ج ٢ ص ٩٢.
(٥) العصر المملوكي في مصر والشام: ص ٣.
(٦) نسبة إلى بحر النيل الذي أحاط بثكناتهم في جزيرة الروضة، ولكن الدكتور أحمد مختار العبادي في كتابه «قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام» ص ٩٧ يرى أنّ هذه النسبة غير صحيحة، وكان أول من شك في صحتها هو الأستاذ محمد مصطفى زيادة في بحثه المنشور بمجلة كلية آداب القاهرة، المجلد الرابع، ١٩٣٦م، بعنوان: (ملاحظات جديدة في تاريخ

في القلعة عندهم ورتب جماعة منهم حول دهليز، واعتمد عليهم في صد غزوة لويس التاسع بمصر.

ومما زاد من دالتهم عليه كونهم قد دبّروا مؤامرة لخلع العادل الثاني، وأحلّوا الملك الصالح محله ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، ثم زاد خطرهم حتى أنهم دبّروا مؤامرة لقتله عندما غضب عليهم لإهمالهم في الدفاع عن دمياط أمام لويس التاسع[١] عام ٦٤٧ هـ، ولولا مرضه الذي توفي فيه لما نجا من شرِّهم[٢].

وتُعتبر دولة المماليك في مصر -في الواقع- استمراراً لدولة الأيوبيين؛ لأنّهم كانوا مماليك للأيوبيين، ولهذا نراهم يسيرون على نهجهم في إدارة البلاد وحكمها، فنُظُم الحكم واحدة في الدولتين إذا استثنينا بعض النُّظُم الجديدة التي أدخلوها فيما بعد واقتبسوها عن المغول بحكم اتصالهم وتأثرهم بهم.

وهناك فارق بين الدولتين، وذلك لأنّ الدولة الأيوبية -رغم استقلالها- كانت تدين بالولاء الروحي للخلافة العباسية؛ التي كانت لا تزال قائمة في بغداد، فهناك إذن

دولة المماليك)، وأنّ مما يؤيد عدم صحة هذه النسبة إلى بحر النيل أنّ المؤرِّخين المعاصرين للصالح أيوب أمثال ابن واصل، وأبي شامة، لم يشيروا إلى بحر النيل كأصل لكلمة بحرية، وأنّ المتأخرين كالمقريزي وأبو المحاسن من الذين أوردوا هذه التسمية. بالإضافة إلى أنّ الفاطميين قد استعملوا هذه التسمية قبل الملك الصالح، فكانوا يُطلقون على قسم من جنسهم اسم (العمل البحرية)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج ٤ ص ٩٠، كما أنّ جد الملك الصالح وهو السلطان العادل الأول كانت له فرقة مماليك سمّاها (البحرية العادلة). وذكر الخزرجي علي بن حسن (القرن الثامن الهجري) في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١ ص ٨٢، أنّ سلطان اليمن نور الدين عمر بن رسول ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م كان له مماليك بحرية رغم بعد اليمن عن نهر النيل. والأغلب أنّ التسمية جاءت من أنهم جلبوا من وراء البحار، حيث ذكر جونفيل الذي حارب جند المماليك في حملة لويس التاسع وأسر «أنهم سمّوا بحرية أو رجال ما وراء البحر».

(١) انظر: حول سيرة لويس التاسع، العدوان الصليبي على مصر للدكتور جوزيف نسيم يوسف، دار النهضة العربية: ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) السلوك: ج ١ ص ١٤٦-١٤٧.

نقص كان يشوب استقلالها، أما الدولة المملوكية فقد عاصرت عند قيامها سقوط الخلافة العباسية على أيدي المغول، وسعى سلاطينها حتى نجحوا في نقل هذه الخلافة إلى مصر، فتمَّ لهم بهذا كلُّ مظاهر الاستقلال، وأصبح لمصر منذ ذلك الحين مركز الزعامة على كل دول الشرق الأدنى، بل وعلي كل الدول الإسلامية الأخرى.

وبمقتل تورانشاه ابن السلطان الصالح نجم الدين أيوب في عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ينتهي عصر الدولة الأيوبية في مصر والشام، وبتولي شجر الدر السلطنة يبدأ عصر جديد هو عصر سلاطين المماليك الذي حكموا من خلال دولة عُرفت باسم الدولة المملوكية؛ لأنها قامت على أكتاف فئة من الرقيق الأبيض أو المماليك، وأيضاً لأنّ السلاطين الذين تعاقبوا على عرش السلطنة فيها كانوا كلهم من المماليك أو من أبنائهم.

وأول خليفة عباسي اعتمد على المماليك اعتماداً كبيراً هو الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٨هـ)؛ فلقد ضاق هذا الخليفة بنفوذ الفرس وأراد أن يقضي عليهم وعلى نفوذهم، فقرَّر أن يعتمد على الأتراك بدلاً من الفرس؛ فامتلك أعداداً كبيرة منهم، وشكَّل منهم قوة حرسه الخاص وجيشه، ثم بنى لهم مدينة خاصة بهم لم يلبث أن انتقل إليها معهم وجعلها عاصمة لملكه، وهي مدينة سامراء. ولقد كان من أثر ذلك أن تغلغل نفوذ المماليك الأتراك في كافة الولايات التابعة للخلافة العباسية ومن بينها مصر، فصار جند مصر وولاتها من المماليك والأتراك أو أولادهم.

وجاء أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية، والذي كان أبوه من المماليك الأتراك، فأكثر من شراء مماليك الديلم سكان جنوب بحر قزوين، وبلغت عدَّتهم أكثر من أربعة وعشرين ألف (٢٤٠٠٠) غلام من الأتراك وأربعين ألف (٤٠٠٠٠) من السود وسبعة آلاف (٧٠٠٠) من الأحرار المرتزقة، ثم تأسست الدولة الأخشيدية في مصر (٣٢٣-٣٥٨هـ) فجعل محمد بن طغج الأخشيد جيشه من الأتراك ومن الديلم، وبعد فتح الفاطميون لمصر عام (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) كانوا في حاجة إلى جيش كبير يوطد أركان دولتهم فيها، ويسهل عليهم ما اعتزموه من

مدّ سلطانهم إلى بلاد الشرق، وكان جيشهم بادئ الأمر مؤلفاً من المغاربة، فأضافوا إليه في مصر الأتراك والأكراد والغز والديالمة والصقالبة.

وبعد قيام الدولة الأيوبية في مصر (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) عمل سلاطينها على جلب الأتراك إليها وبذلوا الأموال في شرائهم بغية الاعتزاز بقوتهم، وكان أكثر الملوك شراء لهؤلاء المماليك هو الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان معظم هؤلاء المماليك من شبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز والقبجاق[1] وآسيا الصغرى وتركستان وبلاد ما وراء النهر، فكانوا خليطاً من الأتراك والشراكسة والروم والأكراد وأقلية من البلاد الأوربية.

وجاء في موسوعة إنكارتا في مادة «مملوك»: «المماليك رقيق تم شراؤهم ثم تحويلهم إلى الإسلام، وقد استطاعوا أن يطوّروا مواقعهم إلى القيادات العسكرية العليا في مصر. من هؤلاء ظهرت سلالتين (مجموعتين) حاكمتين، المماليك البحرية (استر حكمها من ١٢٥٠-١٣٨٠م) وقد تشكلت من الترك والمغول، والمجموعة التالية هي المماليك البرجية (حكمت من ١٣٨٢-١٥١٧م) و تألفت من الشراكسة».

أساليب تربية وتدريب هؤلاء المماليك:

عني سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم سلاطين المماليك، بتربية مماليكهم تربية خاصة، وتثقيفهم وتعليمهم فنون الحرب والقتال، وخصّصوا لذلك ثكنات

(١) القبجاق قبيلة عظيمة في الترك، وهو بكسر القاف وسكون الباء ثانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة: ج ٧ ص ٩٤. وقال الدكتور أحمد مختار العبادي: «بلاد القبجاق أو القفجاق أو القبشاق إقليم بحوض نهر الفولغا بالجنوب الشرقي من روسيا الحالية وشمال البحر الأسود والقوقاز، وأهله من الترك، وكانوا أهل حل وترحال على عادة البدو وفي ضيق من العيش، وبلادهم كانت فرضة (سوقاً) عظيمة للرقيق (المماليك) الترك»، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، أحمد مختار العبادي: ص ٧٣ .. وكان «العنصر التركي القبجاقي هو السائد في العصر المملوكي الأول»، المماليك، السيد الباز العريني ص ٢٥٦.

عسكرية في قلعة الجبل عرفت بالطباق، كان عددها اثني عشرة طبقة واسعة تشبه كل منها حارة كبيرة تشتمل على مساكن عديدة، تتسع لحوالي ألف مملوك[١]، ولم يكن يُسمح لهؤلاء المماليك، وخصوصاً الصغار منهم، بمغادرة تلك الطباق إلا فيما ندر[٢].

وقد وصف المقريزي الحياة والعادات ومواد التدريس ومراحله فقال: «كان للمماليك بهذه الطباق عادات جميلة، منها أنه إذا قدم بالمملوك تاجره، عرضه على السلطان، وأنزله في طبقة جنسه، وسلَّمه لطواشي برسم الكتابة، فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم، ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى، ومعرفة الخط والتحدث بآداب الشريعة، وملازمة الصلوات والأذكار، وكان الرسم إذ ذاك ألا يجلب التجار إلا المماليك الصغار، فإذا شب الواحد من المماليك، علَّمه الفقيه شيئاً من الفقه، وأقرأه فيه مقدمة، فإذا صار إلى سن البلوغ، أخذ في تعليمه أساليب الحرب، من رمي السهام، ولعب الرمح، ونحو ذلك فيتسع في ذلك حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج»[٣].

وكان السلاطين يشرفون بأنفسهم على تربية مماليكهم ويتفقدون أحوالهم، ومنهم السلطان الناصر قلاوون (٦٧٩-٦٨٩هـ/ ١٢٨٠-١٢٩٠م) الذي كان يهتم بطعامهم ومعيشتهم بنفسه، ويقول معتزاً بهم: «كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال ورجال وعقار، وأنا عمّرت أسواراً، وعملت حصوناً لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك»[٤].

وصدق ظنه بهم إذ قال أبو المحاسن عن مماليك قلاوون هذا: «فكان بهم -أي المماليك- منفعة للمسلمين ومضرة للمشركين، وقيامهم في الغزوات

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، لابن شاهين الظاهري عز الدين خليل: ص ٢٧.
(٢) خطط المقريزي: ج ٢ ص ٢١٤.
(٣) خطط المقريزي: ج ٢ ص ٢١٣.
(٤) خطط المقريزي: ج ٢ ص ٢١٣.

معروف، وشرهم عن الرعية معكوف »[١].

وكان السلاطين ومقدمو المماليك يوصون القائمين على شؤونهم وخصوصاً على شؤون الطباق المذكورة أن يأخذوهم بالحسنى وأن يعطفوا عليهم، حيث جاء في وصية أحد المقدَّمين إلى القائمين على شؤون تربيتهم: « ليحسن إليهم، وليعلم أنه واحد منهم، ولكنه مقدَّم عليهم، وليأخذ بقلوبهم، مع إقامة المهابة التي تخيل إليهم أنه معهم، وخلفهم، وبين أيديهم، وليلزم مقدم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم، وليكن لأحوالهم متعهداً ولأمورهم متفقداً... »[٢].

هذا ولا يعني التهاون معهم إلى الحد الذي يفسد تربيتهم فقد كانوا يُؤخذون أحياناً بالقسوة والشدة إذا ما ارتكبوا خطأً. وقد وصف المقريزي ذلك فقال: « ولهم أزمة من النواب، وأكابر من رؤوس النواب، يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة، ويناقشونه على حركاته وسكناته، فإذا عثر أحد مؤدبيه الذين يعلِّمونه القرآن، أو الطواشي الذي هو مسلّم إليه، أو رأس النوّاب الذي هو حاكم عليه، على أنه اقترف ذنباً أو أخلّ برسم أو ترك أدباً من آداب الدين والدنيا، قابله على ذلك بعقوبة شديدة قدر جرمه... فلذلك كانوا سادة يديرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل، ويردعون من جار واعتدى »[٣].

ولكن هذه السياسة المتزنة في تربيتهم بين الشدة عليهم، والرحمة بهم، لم تدم طويلاً، وحلَّ محلها الدلال والتهاون، خصوصاً في الأمور الدينية، مما سبَّب فساد أجيالهم فعمَّ بذلك ضررهم على الخاصة والعامة، وأضعف شأنهم، وحطَّ من قيمتهم.

قال المقريزي في وصف تلك التربية المتهاونة وما نتج عنها: « واستقر رأي

(١) النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ٣٢٣.
(٢) التعريف بالمصطلح الشريف للعمري: ص ٩٨-٩٩.
(٣) خطط المقريزي: ج ٢ ص ٢١٤.

الناصر على أنّ تسليم المماليك للفقيه يتلفهم، بل يُتركون وشأنهم، فبدّلت الأرض غير الأرض، وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس، وأدناهم قدراً، وأخسَّهم، وأشحَّهم نفساً، وأجهلهم بأمر الدنيا، وأكثرهم إعراضاً عن الدين، ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد، وألصَّ من فأرة، وأفسد من ذئب، ولا جرم أن خُرّبت أرض مصر والشام من حيث يصب إلى مجرى الفرات بسوء إيالة الحكام، وشدة عيب الولاة، وسوء تصرف أولي الأمر »[1].

صفات المماليك المميزة لهم في أثناء فترة نشأتهم في مصر:

عاش المماليك في مصر أثناء حكمهم لها كطائفة منفصلة عما حواليها، واحتفظوا بشخصيتهم، ولم يختلطوا بأي عنصر من عناصر السكان المصريين، ولم يسمحوا لسكان مصر أن ينخرطوا في صفوفهم، ولم يتزوجوا منهم إلا فيما ندر.

واحتكروا الجندية عليهم، بل بالغوا في ذلك حتى جعلوها وقفاً على المماليك الصغار الذين يُجلبون حديثاً، ولم يسمحوا لأبناء المماليك الكبار من الانخراط فيها، بل قصروهم على الوظائف الإدارية والكتابية.

ورغم اختلاف أصول مولدهم وانقسامهم إلى أحزاب متطاحنة، فإنهم كانوا يجتمعون ويتماسكون لمواجهة الأخطار المشتركة التي يتعرضون لها من قبل أهل البلاد من مصريين وشاميين أو من المغول أو الصليبيين.

وكانوا يتعلمون القرآن الكريم والفقه الإسلامي وينشؤون -في الغالب- تنشئة إسلامية، ويعلمون أنّ التحلي بالأخلاق الإسلامية يكسبهم ثقة العامة، فكان بعضهم يتظاهرون بالصلاح والتقوى، ويقدمون على بناء العمائر الدينية؛ من مساجد وتكايا ومدارس، بينما يمارس بعضهم في خلواتهم أشد أنواع الفسق والفجور، ولم يكونوا يتحرجون من الانتساب إلى مشتريهم الأول أو أستاذهم مثل الصالحي،

(١) خطط المقريزي: ج ٢ ص ٢١٤.

والمعزِّي، أو يُلحقون بأسمائهم ما يدل على أثمانهم التي بيعوا بها مثل الألفي[١]. وكان المملوك شديد الوفاء لسيده أو أستاذه أو رابطته مع زملائه الذين تربوا لدى سيد واحد (الخشداشية)[٢]. وهذه الرابطة كانت لها قوة واحترام فيما بينهم وكانت تجعل الواحد منهم يتعاطف مع خشداشة أي زميله ويؤازره في المحن والشدائد وينصره على أعدائه وينصر له دائماً.

وكان للمماليك نظام خاص يبدأ منذ اللحظة التي كان يتم فيها شراء السلطان للمملوك، فبعد عرض هذا المملوك الجديد على السلطان ويرسل مباشرة إلى الثكنات المخصَّصة لتربية المماليك السلطانية بالقلعة، والتي كانت تعرف بالطباق، وكانت كل طائفة من هذه الطباق مخصَّصة لجنس معيّن من أجناس المماليك، لذلك كان يبعث بالمملوك الجديد إلى الطبقة المخصصة لبني جنسه، وهناك يبدأ تهذيبه وتثقيفه وتعليمه فيشرف على تعلميه فقيه مخصَّص لهذا الغرض؛ يحضر كل يوم ويقوم بتعليمه هو وزملائه القرآن والدين والصلاة والكتابة والخط، ثم يلتحق المملوك بخدمة السلطان فيلحق عندئذ بإحدى وظائف خدمته بالقصر، وكان باب الترقي في حكومة المماليك مفتوحاً على مصراعيه لكلِّ مملوكٍ يثبت كفايته للعمل؛ فيُرقَّى من مملوكٍ بسيط إلى أمير خمسة أو عشرة أو خمسين أو مائة أو ألف حتى يبلغ السلطنة نفسها.

ومن خواص المماليك جمعهم بين الصلاح في نظر الشعب والاستمساك بقواعد الدين الحنيف من حيث الصلاة والزكاة وتشييد العمائر الدينية وغير ذلك، بينما تجدهم في حياتهم الخاصة لا يتورعون عن إتيان أشنع المنكرات والتعسف في أذى الخلق وإهراق الدماء بلا اكتراث بأبسط المبادئ الإنسانية.

ومن هنا يظهر لنا أنّ للمماليك شخصيتين واحدة عامة وأخرى خاصة؛ واحدة تعمل على إعلاء كلمة الإسلام، وأخرى لا تأبه بما يبشِّر به الإسلام من قواعد العدل

(١) فوات الوفيات: ج ٢ ص ١٣٤.
(٢) تاريخ ابن الفرات: ص ٢٥.

والخلق الكريم، وهذا طبعاً كلام عام ينطبق على المماليك في مجملهم؛ لأنه كان يوجد في صفوفهم أفراد قلائل اتصفوا بحب الخير والدين الصحيح، وعلى ذلك فإننا لا نظن أنَّ شعورهم الديني كان عميقاً، ولكنهم رغم رذائلهم وجرائمهم كانوا في بعض الأحيان يتخذون مظهراً خارجياً فيه شيء من التقوى، فيبنون العمائر ويوزِّعون الإحسان والعطايا.

كما أنهم كانوا لا يجدون بأساً في الاحتفاظ بنسبة تشير إلى صاحبهم الأول أو إلى أستاذهم وتذكر هذه النسبة بعد أسمائهم فنري المعز أيبك التركماني تسمَّى بالصالحي النجمي؛ لأنه كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، كذلك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي تسمَّى بالعلائي البندقدراي؛ لأنه كان في أول أمره من مماليك الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، ثم تسمَّى بالصالحي بعد أن انتقل إلى خدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب وصار من ممالك البحرية.

سبب تسمية دولة المماليك بدولة المماليك البحرية:

وترجع المراجع أنّ الدولة تُنسب إلى فرقة المماليك البحرية التي كوَّنها الصالح نجم الدين أيوب، وسمَّاها البحرية نسبة إلى بحر النيل، وذلك لأنه أسكنها في القلعة التي بناها خصِّيصاً لهم في جزيرة الروضة، والتي كانت تطل على النيل.

ولكنّ هذا السبب كان موضع مناقشة؛ لأنّ المراجع التي أرخت للدولة الأيوبية تشير إلى وجود فرقة أخرى من المماليك كوّنها الملك العادل أبو بكر (جد الملك الصالح) وأسماها «البحرية العادلية»، كما أنّ الفرقة التي كوَّنها الصالح كانت تُعرف باسم «البحرية الصالحية» تمييزاً لها عن الفرقة البحرية التي كُوِّنت قبل عهده أو بعد عهده مثل «البحرية الظاهرية» والتي تُنسب إلى الملك الظاهر بيبرس.

والأرجح في التسمية بالبحرية؛ لأنّ المماليك جاءوا من وراء البحار أو عن طريق البحار، ويؤيد هذا الرأي جوانفيل مؤرخ الحملة الصليبية السابعة على مصر فقد قال في كتابة «سيرة القديس لويس» إنهم يسمون البحرية أو رجال ما وراء

البحار، ورأيُ جوانفيل له قيمة لأنه اشترك في محاربة المماليك البحرية الصالحية، وأسر عندهم، واتصل بهم وتحدث إليهم.

وممن يأخذ بهذا الرأي المؤرخ التركي رضا نور، الذي ذكر في كتابه تاريخ الملوك إنهم سموا بالبحرية لأنهم جاءوا مع تجارهم البنادقة عن طريق البحر وقال في موضع آخر من كتابه إن المغول كانوا يحبون البنادقة ويقفون عليهم تجارة الرقيق الذي كانوا يأخذونه من القفجاق. وعليه نؤكد هنا أنهم سمّوا بالبحرية لأنهم جاءوا إلى مصر عبر البحار ومن وراء البحار.

قيام دولة المماليك في مصر والشام:

لم يكد النصر يتحقق على حملة لويس التاسع الصليبية -والتي تمثلت في الحملة ضد مصر عن طريق دمياط[1]- حتى شهدت مصر قيام سلطنة المماليك، وهي السلطنة التي شملت في أوج عظمتها مساحات واسعة شملت مصر وبلاد الشام، فضلًا عما كان لسلاطين المماليك من سيادة على بعض القلاع والمدن في أعالي الفرات والجهات الجنوبية الشرقية من آسيا الصغرى وشمال السودان وبرقة والحجاز.

وإذا نجحت السلطنة الجديدة في أن تخلف البيت الأيوبي في الحكم، فإن عوامل هذا النجاح لا ترجع إلى النصر الذي أحرزه القادة المماليك على حملة لويس التاسع الصليبية فحسب، بل إلى عوامل أخرى مكنت لهؤلاء القادة من إقامة دولة استطاعت أن تكسر موجة الغزو المغولي في وقعة فاصلة وأن تتزعم حركة الجهاد ضد الصليبيين في المرحلة الأخيرة من مراحل الحروب الصليبية بالشرق، وبالإضافة إلى هذه الانتصارات الكبري أسهمت السلطنة المملوكية الجديدة بسهم

---

(١) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر، وهي من ثغور الإسلام، عندها يصب نهر النيل (آثار البلاد للقزويني: ص ٢٤. ولا يعرف اليوم موقعها القديم بسبب هدم الصليبيين لها سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. (خطط المقريزي: ج ١ ص ٢٢٣).

كبير في تطور الحضارة الإسلامية وثقافتها نتيجة انتقال مركز الخلافة من بغداد إلى القاهرة، وهذا فضلاً عما أسهمت به من دور فعَّال في التجارة الدولية منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

ولقد لقي أولئك المماليك البحرية الصالحية صدمة الهجوم الصليبي على المنصورة -التي وصل الصليبيون إليها، إلى بعض أنحائها، بعد أن فرَّ أمام هجمتهم بنو كنانة وبعض المماليك[(١)]- وإليهم يرجع الفضل في انتزاع النصر في وقت كانت مصر بدون سلطان بعد أن توفي سلطانها الصالح أيوب[(٢)]، على أنّ حسن الحظ شاء عندئذ أن تمسك بزمام الدولة امرأة قديرة، هي شجر الدر[(٣)] زوجة السلطان الصالح أيوب المتوفى ريثما يصل ابنه وخليفته تورانشاه من مقره بحصن كيفا بأعالي العراق، لتسلمه شجر الدر مقاليد الحكم.

وخلال هذا الوقت تبدت بطولة الأمراء المماليك، فتصدَّى بيبرس البندقداري

---

(١) فرّ فخر الدين قائد بعض قوات السلطان من وجه الصليبيين دون قتال، وأخلى لهم مدينة دمياط التي فرَّ منها أيضاً بنو كنانة مما سهل وقوعها بأيديهم في الثاني والعشرين من صفر عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، مما أغضب الناصر فشنق أكثر من خمسين من بني كنانة، وكاد يقتل القائد فخر الدين، خطط المقريزي: ج ١ ص ٢٢٠.

(٢) يقول ابن واصل: «كان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو بأشموم طناح، قد عرض له مرض في مخاصيه، ثم فتح وحصل له تعسر بول، وبعد ذلك حصلت له قرحة تيقنت الأطباء أنه لا خلاص له منها، لكنه لم يشعر بذلك...»، مفرج الكروب: ج ٢ ص ٣٥٣، وخطط المقريزي: ج ١ ص ٢١٩. وأشموم طناح بلدة قرب دمياط، وهي مدينة الدهقلية (معجم البلدان: ج ١ ص ٣٠٠).

(٣) شجر الدر أو شجر الدر بنت عبد الله، أول سلطانة لمصر من غبر الأيوبيين، كانت أرمنية الأصل وقيل تركية، ذكية، جميلة، أهداها الخليفة العباسي المستعصم إلى نجم الدين أيوب في عهد ابن السلطان الكامل، فأنجبت منه ابنه خليل، الذي كان جميلاً ومات صغيراً، وأصبحت أم ولده فأحبها ورافقته في رحلته إلى المشرق وكذلك عندما حبسه الملك ناصر داود في الكرك ٦٣٧هـ، النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٩١. وقد أعتقها الملك الناصر وتزوجها عندما أصبح سلطاناً. واختلف المؤرخون حول اسمها الصحيح وفيما إذا كان شجر الدر أم شجر الدر، والأغلب أنّ الأول هو الصحيح لإجماع معظم المصادر عليه. انظر: العدوان الصليبي على مصر جوزيف نسيم: ص ١٣٦.

ومعه فرقة من المماليك البحريين الصالحين للصليبيين، فشنَّ عليهم هجوماً من خارج المنصورة، وطردهم من بعض نواحيها ثم لاحقهم الأمير أقطاي -القائد العام للجيش- مستعملاً النار الإغريقية حتى قرروا الهروب إلى دمياط.

وعندما وصل تورانشاه بن السلطان الملك إلى صالح إلى مصر عام ٦٤٧ هـ/ ١٢٥٠م[١] ولي السلطة دون معارضة، فكان من أول أعماله أن حاصر الصليبيين وحاد بينهم وبين وصول المدد إليهم عن طريق دمياط، وقطع عليهم طريق العودة. وعندما اضطر الملك لويس التاسع بسبب حراجة موقفه إلى طلب الهدنة، ولكن المصريين رفضوا طلبه، وعندئذ حاول التسلل ليلاً والانسحاب تحت جنح الظلم، فلم تفلح حيلته، حيث إنَّ المسلمين قد علموا بالأمر فاستعدوا لإفشاله وطاردوا الصليبيين حتى فارسكور[٢]، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً بلغ أكثر من ثلاثين ألفاً[٣]، وسقط الملك نفسه أسيراً، فسجنه المسلمون في دار ابن لقمان بالمنصورة، وكلفوا الطواشي صبيح بحراسته.

وظل الملك لويس التاسع في أسره حتى أخلى المسلمون سبيله مقابل انسحاب الصليبيين من دمياط ودفع مبلغ طائل من المال فدية لنفسه وتعويضاً للمسلمين عما خسروه في هذه الحرب، ومقابل إطلاق أسرى المسلمين في مصر والشام وإطلاق سراح أسرى الصليبين وغير ذلك[٤].

وبذلك تم فشل هذه الحملة المسعورة على يد فرسان المماليك كأقطاي وبيبرس الذين سمَّاهم ابن واصل (داوية الإسلام)[٥] إعجاباً منه بشجاعتهم.

---

(١) المختصر لأبي الفداء: ج ٦ ص ٨٤.

(٢) قرية قرب دمياط من كور الدقهلية، معجم البلدان: ج ٦ ص ٣٢٧.

(٣) السلوك: ج ١ ص ٣٥٧، والمختصر: ج ٦ ص ٨٥.

(٤) العدوان الصليبي على مصر جوزيف نسيم يوسف: ص ٢١٦.

(٥) مفرج الكروب: ج ٢ ص ٣٧٠، نسبة إلى فرقة فرسان الداوية الصليبية التي اشتهرت بشجاعتها في قتالها للمسلمين ويعرفون أيضاً بفرسان المعبد، تأسست جماعتهم عام ١١١٨م، وهم من الرهبان المشهورين بالشجاعة.

مقتل السلطان تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب:

لم يكن تورانشاه بالشخص المناسب فكان سيئ التدبير غير مستقيم الأخلاق، مفتقراً للمعارف والأنصار من المماليك والمصريين على السواء، لأنه قضى معظم حياته في حصن كيفا، وقد وصفه ابن الجوزي بأنه «كان سيئ التدبير والسلوك ذا هوج وخفة»[١].

وقد دفعه ندماؤه الذين كانوا لا ينفكون عن تذكيره بأنه ليس ملكاً إلا بالاسم، وأنّ السلطة الفعلية بيد زوجة أبيه شجر الدر والمماليك[٢]، إلى الإساءة للمماليك الذين عليهم جل اعتماده، كبيبرس وأقطاي ورفاقهم، فأبغضوه وصاروا يخشون غدره ويتحينون فرصة القضاء عليه[٣].

ولم يحفظ جميل شجر الدر التي أخذت له البيعة، واستدعته من مقره البعيد، وولته السلطة، فاتهمها بإخفاء أموال كانت لأبيه، حتى اضطرت لمعاداته ومغادرته إلى القدس هرباً من مضايقاته[٤]، ثم لم تلبث أن عادت وجعلت تتصل بأنصارها من المماليك البرجية المعادين لتورانشاه، فقاموا بمهاجمته وهو في معسكره في فارسكور، وذلك في ٢٩ محرم عام ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م[٥] مما اضطره لإلقاء نفسه في البحر من فوق برج خشبي كان قد التجأ إليه، فحرقوه عليه بعد أن قذفوه بالسهام، فمات جريحاً غريقاً حريقاً، دون أن تنفعه استعطافاته وصياحه «ما أريد ملكاً، دعوني أرجع، خذوا ملككم ودعوني أعود إلى حصن كيفا»[٦]، ولكنهم لم يلاقوا بالاً لأقواله وقالوا: «بعد جرح الحية لا ينبغي إلا قتلها»[٧].

---

(١) مرآة الزمان لابن الجوزي، حوادث سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م.
(٢) تاريخ مختصر الدول لأبي الفداء: ص ٤٥٤-٤٥٥.
(٣) السلوك: ج ١ ص ٣٥٨-٣٥٩، والنجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧.
(٤) تاريخ مختصر الدول: ص ٤٥٤-٤٥٥.
(٥) مفرج الكروب: ج ٢ ص ٣٧١، والمسطر لأبي الفداء: ج ٣ ص ١٩٠.
(٦) مفرح الكروب: ج ٢ ص ٣٧١، والنجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧١.
(٧) الذيل على الروضتين: ص ١٨٠.

وقيل إنه حاول الاستنجاد بأبي عز الدين رسول الخليفة العباسي، الذي كان معه في المعسكر فصاح: «يا أبا عز أدركني» ولكن أبا عز الدين لا يملك أن يفعل شيئاً تجاه هؤلاء القادة الغاضبين(١).

وقيل: بقيت جثته على شاطئ النيل ثلاثة أيام، ثم دفنت مكانها وقيل: بل كشف عنها الماء بعد ثلاثة أيام، فنقلت إلى الجانب الآخر وذلك بجرها في الماء بصنارة من قبل شخص راكب في مركب كما يجر الحوت(٢).

حكم شجر الدر:

بعد مقتل تورانشاه على أيدي زعماء المماليك البحرية الصالحية -وهو الحادث الذي أنهى الدولة الأيوبية في مصر وأدّى إلى فراغ- كان لا بد من الإسراع إلى ملئه، قبل أن يفلت زمام الموقف من أيدي أولئك الزعماء، ذلك أنه كان بالشام عدد كبير من أمراء البيت الأيوبي الذين تطلعوا منذ سنين إلى الفوز بالسلطنة على مصر، هذا فضلاً عن الخوف من مجيء نجدة صليبية حربية إلى مصر للانتقام مما حلَّ بحملة الملك الفرنسي لويس التاسع، ولذا وقع الاختيار على شجر الدر(٣) لمواجهة الأمراء الأيوبيين الطامعين في عرش مصر، باعتبارها زوجة السلطان الصالح أيوب.

فنصَّبوا شجر الدر سلطانة على مصر في الثالث من صفر عام ٦٤٨هـ/ السابع من مايو آيار ١٢٥٠م، في ذروة احتفال مصر بهزيمة لويس التاسع ملك فرنسا وحملته الصليبية السابعة، ومغادرتهم لدمياط، ولقَّبوها باسم «الملكة عصمة الدين شجر الدر والستر العالي والدة الملك خليل»(٤) ودعواها على المنابر، وكانت علامتها «والدة خليل» كما كان نص الدعاء لها على المنابر: «احفظ اللهم الجهة

---

(١) الذيل على الروضتين: ص ١٨٥.
(٢) الذيل على الروضتين: ص ١٨٥.
(٣) الذيل على الروضتين: ص ٩٦.
(٤) السلوك: ج ١ ص ٣٦٢.

العالية الصالحية ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية، صاحبة الملك الصالح» كما نقشوا على السكة «المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة خليل، أمير المؤمنين»[١].

ثم عرض بعد ذلك منصب أتابكة العسكر -وهو من أهم مناصب الدولة- على أحد الأمراء الذين ظلوا مغمورين حتى ذلك الوقت، وهو عز الدين أيبك التركماني[٢]، في ربيع الآخر سنة ٦٤٨هـ[٣]، ويبدو آن هذا التعيين لم يكن لأن أيبك كان أقوى الأمراء[٤] وإنما لتجنب حلول أقطاي في هذا المركز لما كان الأمراء يخشونه من قوته وتسلطه[٥].

لقد اشتهرت شجر الدر بالدهاء حتى وصفها ابن إياس بأنها «صعبة الخلق، قوية البأس، ذات شهامة زائدة، وحرمة وافرة، سكرانة من خمرة التيه والعجب»[٦] إضافة إلى ما تقدم من مقدرتها الإدارية في إخفاء موت زوجها الملك الصالح بحجة مرضه، حتى لا ينخذل المسلمون أمام الصليبيين، وكيف قامت بنقله إلى القاهرة ودفنته سراً في قلعة الروضة، في حين أرسلت تستدعي ابنه تورانشاه من حصن كيفا، وحال حضوره سلمت إليه السلطة.

كان أول ما قامت به شجر الدر بعد تسلمها السلطة أن صفت الموقف مع الصليبيين، ففاوضت لويس التاسع ملك فرنسا، وقائد الحملة الفاشلة، واتفقت

---

(١) ذكر الدكتور أحمد العبادي في كتابه «قيام دولة المماليك الأولى: ص ١١٩» أنه توجد بالمتحف البريطاني عملة ذهبية ضربت في القاهرة سنة ٦٤٨هـ تحمل ألقاب شجر المذكورة.

(٢) لفظ أيبك من التركية بمعنى «الأمير القمر» وكان في الأصل مملوكاً لأولاد التركماني، وهم بنو رسول في اليمن فعرف بأيبك التركماني، ثم انتقل لخدمة الملك الصالح أيوب. النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ١٩.

(٣) المختصر: ج ٦ ص ٨٦.

(٤) المختصر: ج ٦ ص ٨٦.

(٥) النجوم الزاهرة: ج ٤ ص ٧.

(٦) بدائع الزهور في وقائع الدهور: ج ١ ص ٨٩-٩١.

معه على رحيله من مصر وتسليم دمياط، وذلك في يوم الأحد الرابع من صفر ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، ونص هذا الاتفاق على أن ينسحب لويس من دمياط ويردّها إلى المصريين، وأن يطلق جميع أسرى المسلمين، وأن يتعهد بألا يعود لمهاجمة سواحل بلاد الإسلام مرة أخرى، كما يدفع لها ثمانمائة ألف دينار فدية لنفسه وللأسرى الصليبيين، وعوضاً عما أتلفه في دمياط، ومقابل ذلك يتعهد المسلمون برعاية الجرحى من أسرى الصليبيين، وقيل أيضاً مقابل أن يحافظوا على بعض معدات الصليبيين التي سيضطرون لإبقائها بمصر إلى أن يتمكنوا من نقلها، وجعلت مدة الاتفاقية عشر سنوات[١].

ورغم كل ذلك فقد اضطربت الأمور في مصر عامة والقاهرة خاصة، وذلك احتجاجاً وأنفة من حكم امرأة، وعمَّت الفوضى القاهرة، مما اضطر شجر الدر إلى الأمر بإغلاق أبوابها منعاً لانتشار خبر هذه الاضطرابات.

وزاد من خطورة هذا الوضع انضمام علماء المسلمين إلى العامة في هذه المعارضة، وعلى رأسهم الشيخ عز الدين عبد السلام[٢]، الذي كتب كتاباً حول ما قد يبتلي به المسلمون بولاية امرأة[٣]. كما لم يوافق الخليفة العباسي المستعصم بالله على توليها السلطة، وعيَّر أهل مصر بذلك قائلاً في ردّه على رسالة من المماليك يطلبون فيه تأييده لحكمها: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نُسيِّر لكم رجلاً»[٤].

---

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي: ج ٢ ص ٣٥، والسلوك: ج ١ ص ٣٦٣.

(٢) ولد الشيخ عز الدين عبد السلام عام ٥٧٧هـ، ودرس في دمشق على يد ابن عساكر، وتولى إمامة وخطابة المسجد الأموي، ورحل عن دمشق احتجاجاً على استعانة الملك الصالح إسماعيل بالفرنج سنة ٦٣٩هـ، فولّاه الملك الصالح خطابة جامع عمرو بن العاص ثم عهد إليه بتدريس المذهب الشافعي في مدرسته بين القصرين بالقاهرة، وتوفي سنة ٦٦٠هـ. المختصر في أخبار البشر: ج ٣ ص ٢٢٤، وحسن المحاضرة: ص ٣٤.

(٣) حسن المحاضرة: ص ٣٤.

(٤) السلوك: ج ١ ص ٣٦٨-٣٦٩.

تولية الملك المعز عز الدين أيبك السلطنة المملوكية:

أمام هذا الموقف الرافض لشجر الدر رأى المماليك البحرية الصالحية المؤيدين لشجر الدر أنه لا بد لهم من حلٍّ لهذا الموقف وقالوا: «لا يمكننا حفظ البلاد والملك لامرأة، ولا بدّ من إقامة رجل للمملكة تجتمع الكلمة عليه»[١].

وزاد من اقتناعهم بهذا الرأي، خوفهم من خطر الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب[٢]، الذي استغل هذا الموضوع لصالحه ورأى فيه فرصة سانحة للاستيلاء على مصر، فقام بالاستيلاء على دمشق وبعض نواحي الشام، مما أخاف المماليك[٣].

ولذلك أسرعت شجر الدر بالزواج بأحدهم وهو الأمير عز الدين أيبك التركماني الذي لُقِّب بالملك المعز، وتنازلت له شجر الدر عن السلطنة بعد أن حكمت البلاد ثمانين يوماً. فأصبح عز الدين أيبك سلطاناً[٤] -ولو بالاسم- حيث إنّ شجر الدر «كانت هي المسئولة عنه في كل أحواله ليس له معها كلام»[٥].

وكان التقليد المتبع في عهد الأيوبيين أنّ السلطان لا تصبح ولايته شرعية إلا إذا اعترف بها الخليفة العباسي وأرسل إليه التقليد بذلك.

---

(١) مفرج الكروب: ج ٢ ص ٣٧٦.

(٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف، بن العزيز محمد، بن الظاهر غازي، بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ولد ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م، وحكم حلب ٦٣٤-٦٥٨هـ/ ١٢٣٦-١٢٦٠م، ودمشق ٦٤٨-٦٥٨هـ/ ١٢٥٠-١٢٦٠م، وقتل سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. الذيل على الروضتين: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) امتنع الأمراء القيمرية بدمشق عن مبايعة شجر الدر وذلك بزعامة الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطة بدمشق، وكتبوا يستعينون بالملك الناصر صلاح الدين بن يوسف صاحب حلب فجاء ودخل دمشق ١٠ ربيع الثاني ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م دون قتال.

(٤) السلوك: ج ١ ص ٣٦٧-٣٦٩.

(٥) النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧٤، وبدائع الزهور: ج ١ ص ٤٠.

وكما أثار تولي شجر الدر استنكار الخليفة العباسي، كذلك أثار انتقال الملك إلى المماليك معارضة جديدة؛ وذلك لأنهم لا ينتمون إلى أسرة مالكة، وإلى هذا فهم ليسوا أحراراً، بل هم من سهم الرق فاستقر الرأي أخيراً بين أمراء المماليك على أن يشترك في الحكم مع أيبك في السلطنة أحد أمراء بني أيوب في السلطنة، ووقع الاختيار على طفل من بني أيوب وهو الأشرف موسى[(١)] -حفيد الكامل محمد- لم يتجاوز السادسة من عمره، وجعله شريكاً له في الحكم، فخطب باسمهما على المنابر وسُكَّت العملة باسمهما[(٢)].

ولما لم تنطلِ حيلته هذه على الناس، التجأ أيبك إلى الاستعانة بالخليفة العباسي المستعصم بالله في بغداد، ونصَّب نفسه نائباً له على مصر[(٣)]، وأراد كذلك أن يكسب عطف الرأي العام فاحتفل بنقل جثمان أستاذه الملك الصالح احتفالاً مهيباً من قلعة الروضة إلى المقبرة التي بناها لنفسه بين القصرين.

ثم أخذ في الاستعداد للتصدي للملك الناصر يوسف، الذي كان قد كاتب الملك لويس التاسع في عكا، عارضاً عليه التعاون ضد أيبك مقابل تسليمه القدس للصليبين -وكانت تحت حكم الأيوبيين-. ولما علم أيبك بهذه المفاوضات أرسل إلى لويس التاسع مهدداً بقتل أسرى الصليبيين الذين لديه، وواعداً إياه إن رفض عرض الناصر أن يقوم بتعديل اتفاقية دمياط لإعفائه من نصف الفدية المتفق عليها، وطلب منه بدوره أن ينضم إلى جانبه، فرد عليه لويس بأنه قرر الوقوف على الحياد بينه وبين الناصر[(٤)].

---

(١) الملك الأشرف مصطفى الدين موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود بن الملك الكامل بن العادل بن أيوب، أقيم في السلطة سنة ٦٤٨هـ، وخلعه أيبك سنة ٦٥٠هـ، وظل اسمه يذكر في الخطبة حتى سنة ٦٥٢هـ. مفرج الكروب: ج ٢ ص ٣٧٦.

(٢) السلوك: ج ١ ص ٣٦٩، بدائع الزهور: ج ١ ص ٩٠. وأفاد ابن كثير، البداية والنهاية: ص ١٧٩، أنّ عمره كان عشر سنين.

(٣) المختصر: ج ٣ ص ١٩٢.

(٤) العدوان الصليبي على مصر: ص ٢٧٤.

وتقدم الملك الناصر الأيوبي حتى العباسية بين مدينتي بلبيس والصالحية ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م فهزمه أيبك[١] بسبب انحياز مماليكه العزيزية إلى المماليك، ولاحقه حتى الشام، واتفق أيبك مع لويس التاسع على أن يساعده ضد الناصر يوسف مقابل تسليمه القدس، ولكن هذا الاتفاق لم ينفذ، حيث تدخل الخليفة العباسي بين الناصر وأيبك ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م لمنع تسليم القدس للصليبيين حيث أرسل رسوله الشيخ نجم الدين البادورائي فأصلح بين صاحب مصر وصاحب الشام، وأيضاً لإحساسه -أي الخليفة- ببداية الخطر المغولي الذي داهم الخلافة من الشرق[٢]. واتفق على أن تكون مصر وجنوب فلسطين بما فيها غزة والقدس للمماليك[٣].

نظام تولية السلطنة في العصر المملوكي:

وهذا تقليد بدأ في عهد نور الدين علي بن المعز أيبك وسيظل متبعاً طول عصر المماليك، وذلك أنّ كل سلطان من سلاطينهم كان يُعنى عناية كبيرة بتوريث ابنه السلطنة، فيأخذ له الأيمان ويوصي له بولاية العهد، فإذا توفي احترم الأمراء المماليك هذه الأيمان مؤقتاً، وأقاموا الصغير على العرش، ولكنه لا يمكث سلطاناً إلا ريثما يصفي الأمراء ما بينهم من حساب وتنتهي مؤامراتهم ومنافستهم إلى الاتفاق على تولية واحد منهم، فيعزل الصبي الصغير دون جلبة، وينفى إلى دمياط أو الإسكندرية، وقد يبعد خارج مصر فيرسل إلى أراضي الدولة البيزنطية مثلاً.

ومعنى هذه الظاهرة أنّ الدولة المملوكية لم تعرف النظام الوراثي، وإن كانت قد حاولته فإنها لم تفلح في التمكين له أو الأخذ به، وذلك باستثناء حالات قليلة حدثت لأبناء قلاوون.

---

(١) مفرج الكروب: ص ٣٨٢-٣٨٣.
(٢) خطط المقريزي: ص ٣٨٥-٣٨٦، والبداية والنهاية: ج ١٣ ص ١٨٤.
(٣) السلوك: ج ١ ص ٣٨٥-٣٨٦.

ويرجع السبب في عدم نجاح نظام الوراثة الشرعية عند المماليك إلى أنهم كانوا جنوداً محاربين، نشأوا نشأة واحدة وربّوا تربية واحدة متجانسة، فهم قوم قد انقطعت صلاتهم بأسرتهم منذ اشتروا في أسواق الرقيق أو أسروا في ميادين الحروب، فضعفت عندهم مع الزمن معاني الصلات الأسرية وقويت عندهم في نفس الوقت معاني صلات أخرى كان لها شأن كبير في حياتهم وهي:

- صلات الأستاذ التي تربط بين المملوك وأستاذه (أي السلطان أو الأمير الذي اشتراه ورباه).

- وصلات الخشداشية (الخجداشية) أو الزمالة التي تربط المملوك بالمملوك.

فكان من الصعب على المماليك دائماً أن يلي السلطنة ابن سلطان سابق، لأنه لم ينشأ نشأتهم، ولم يُربَّ تربيتهم، وليس بينهم وبينه من العلاقات ما يلزمهم بالولاء له، فكانوا في العادة يقبلون سلطنة هذا الابن مؤقتاً، احتراماً لما أخذ عليهم من مواثيق وأيمان إلى أن تنتهي المشاورات بين كبار أمرائهم ويتفقوا على تولية أحدهم، وكان الاختيار يقع عادة على أقرب الأمراء إلى السلطان السابق، وأقرب الأمراء إلى السلطان السابق كان في العادة أقدمهم، والأخذ بنظام الأقدمية من المبادئ الهامة التي كان يحترمها ويعمل بها المماليك.

الصعوبات التي واجهت قيام الدولة المملوكية:

أولاً: موقف بني أيوب من السلطنة المملوكية:

لقد اشتعلت نار الثورة في الشام ضد السلطنة الوليدة في مصر، فقد رفض بنو أيوب أن يعترفوا بما تَمَّ في مصر من قيام المماليك في الحكم وإعلان شجر الدر سلطانة، كما امتنعت فئة من المماليك يُعرفون بالقيمرية عن الاعتراف بالولاء للنظام الجديد، وما لبث أن أصبح ملوك بني أيوب يتكتلون بالشام للوقوف في

وجه المماليك بمصر بل لغزو مصر واستردادها للأيوبيين، وقد بدأت بوادر الثورة من دمشق حيث رفض الجند الأكراد أن يقسموا يمين الولاء للسلطانة المملوكية الجديدة، وأعلنوا الثورة واستعان هؤلاء الثوار بالملك الناصر يوسف الأيوبي أمير حلب، وطلبوا منه النهوض وهو سليل صلاح الدين ضد مغتصبي الحكم في القاهرة، ولذا زحف الناصر يوسف على دمشق التي فتحت له أبوابها، فقبض على جميع من كانوا فيها من المماليك.

وفي نفس الوقت أخذ الخليفة المستعصم بالله يعيب على أهل مصر لاختيارهم امرأة تحكمهم وأرسل إليهم يقول: «إن كان الرجال قد عدمت عندكم، فأخبرونا حتى نسير إليكم رجلاً» هذا فضلاً عن وجود بعض آراء دينية تنكر قيام إمرأة في حكم أية دولة إسلامية.

وعليه رأى رجال المماليك أن تتزوج الملكة رجلاً منهم وهو الأمير عز الدين أيبك أتابك العسكر وتترك له السلطنة، وبالفعل تنازلت الملكة شجر الدر عن الحكم لأيبك بعد أن حكمت مصر لمدة ثمانين يوماً، برهنت خلالها على مهارة نادرة وكفاءة وحسن تدبير في تسيير أمور البلاد.

وعليه بادر الأيوبيون بالاستيلاء على السلطنة بالشام فاستولى الملك الناصر يوسف صاحب حلب على دمشق، والملك المغيث عمر على الكرك والشويك، والملك السعيد حسن على قلعة الصبية فاستقر رأي أمراء المماليك على أن يشترك في الحكم مع المعز أيبك طفل من سلالة الأيوبيين هو الأشرف موسى حفيد الملك الكامل محمد وكان في نحو السادسة من عمره، على أن تكون جميع الأمور في يد المعز أيبك، ولكن هذا الإجراء لم يسكِّت غضب الأيوبيين في الشام، فاضطر المعز أيبك إلى أن يعلن في جميع أنحاء البلاد أنّ مصر تابعة للخليفة العباسي المستعصم بالله، وأنّ الملك المعز أيبك نائبه بها، ورغم ذلك صمم الملك الناصر يوسف على المسير إلى مصر والقضاء على المماليك.

خرج الناصر يوسف بعساكره من دمشق يوم الأحد منتصف رمضان سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م بصحبة عدد من ملوك الأيوبيين بالشام في طريقة إلى مصر، فلما وصلت هذه الأخبار إلى القاهرة، أسرعت العساكر المملوكية بقيادة الأمير حسام الدين أبو علي، والأمير فارس الدين أقطاي الجمدار إلى الصالحية، كما سار الملك المعز أيبك إلى الصالحية أيضاً، وفي نفس الوقت وصل الملك الناصر يوسف إلى قرية كراع القريبة من العباسة، وكان التفوق واضحاً لجيوش الناصر لكثرة عساكره ولميل أكثر عسكر مصر إليه ولكن سرعان ما انتهي القتال لصالح الملك المعز أيبك وفرار الملك الناصر يوسف وأسر عدد من ملوك الأيوبيين، وكان من نتائج هذا النصر أن أقدم المعز أيبك على عزل الملك الأشرف موسى وانفرد باسم السلطنة في عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م.

وفي عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م عقد الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، عندما أرسل الخليفة العباسي المستعصم بالله رسوله نجم الدين البادرائي للقيام بالوساطة بين الطرفين، ونجح في عقد الصلح على أن تكون مصر وجنوب فلسطين، بما فيه غزة والقدس وبلاد الساحل، للمعز أيبك، وأن تكون الأجزاء الواقعة شمال هذه المنطقة لملوك البيت الأيوبي، وأن يطلق المعز سراح مَنْ أسره من رجال الناصر يوسف.

ومع الوقت نفسه بدأ نفوذ المماليك البحرية يزداد حتى خشي المعز أيبك من سيطرتهم على البلاد، فاضطر للتخلص من أقطاي فقتله مجموعة من جنوده وقطعوا رأسه، وألقوا بها للماليك فخافوا على أنفسهم وفروا إلى الشام، وفي نفس الوقت بدأ أيبك ينفرد بالحكم، فقررت شجر الدر التخلص منه فقد كانت دائماً تشعر بالندم لتنازلها عن الحكم له، إلا أنّ المعز أيبك علم بهذه المؤامرات التي كانت تدبرها له فحاول الابتعاد عنها إلى أن دبرت له مكيدة، وبالفعل بدأت في تنفيذ خطتها واستدعته إلى القصر، وحرضت جماعة من الخدم لقتله إلا أنَّ مماليك المعز انتقموا له حيث قتلوها بعد قليل.

ثانياً: ثورة القبائل العربية في مصر:

ثارت القبائل العربية في مصر وبلاد الصعيد وبعض المناطق من الوجه البحري وقطعوا الطرق براً وبحراً فتوقف التجّار عن القيام بنشاطهم، وكان الدافع الرئيسي، وراء ثورة هذه القبائل العربية هو رفضهم الخضوع للمماليك لأنهم من الجنس التركي وليسوا أحراراً، وتولّى زعامة تلك الثورة الشريف حصن الدين ثعلب الذي نُسب إليه قوله «نحن أصحاب البلاد، وأنا أحق بالملك من المماليك، وقد كفي أنا خدمنا بني أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد»، كما سارع حصن الدين ثعلب بالكتابة إلى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق يستحثه على القدوم إلى مصر.

اجتمعت حشود القبائل العربية بالقرب من ديروط، وأقسموا يمين الطاعة والولاء لحصن الدين ثعلب، وبلغ عددهم اثني عشر ألف فارس، فجهَّز إليهم الملك المعز أيبك فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب في خمسة آلاف فارس، فبرز إليهم الأمير حصن الدين ثعلب ولكن الهزيمة لحقت بحصن الدين ثعلب، وفرَّ هارباً، ثم طلب الأمان من المعز فأمنه، واستدعاه إليه، وسرعان ما قبض عليه وعلى سائر أصحابه وكانت عدتهم نحو ألفي وستمائة رجل، فأمر الملك المعز بشنقهم جميعاً، أما حصن الدين ثعلب فقد أُرسل إلى الإسكندرية وحُبس بها، وفي نفس الوقت سارع الملك المعز بإخماد ثورات العرب في أنحاء البلاد، وفرض عليهم المزيد من الضرائب والمكوس ومعاملتهم بالعسف والقهر فانتهت ثوراتهم طوال العصر المملوكي.

ثالثاً: الصراع بين أمراء المماليك:

استفحل نفوذ فارس الدين أقطاي خاصة بعد نجاحه في القضاء على ثورة العرب، وانضمت إليه المماليك البحرية، فأصبح ملجأ لهم يسألونه في حوائجهم ويكون هو المتحدث باسمهم مع الملك المعز. وقد اضطر الملك المعز إلى

السكوت عن تصرفات أقطاي وحاول استرضائه فأقطعه ثغر الإسكندرية، ولكن سكوت الملك المعز جعل أقطاي يتمادى في تصرفاته بحيث كان إذا ركب من داره إلى القلعة، سار في موكب فخم يفوق موكب الملك المعز، ثم صاهر أقطاي الملك المظفر صاحب حماة، وطلب أقطاي من الملك المعز أن يسكن قلعة الجبل مع عروسه، فقرر المعز قتله قبل أن يفكر في عزل المعز وتولّي السلطنة في مصر بدلاً منه.

أرسل الملك المعز إلى أقطاي يستدعيه إلى القلعة للتشاور، وبمجرد دخوله القلعة أغلقت الأبواب، وأمر المعز بالقبض عليه وقتله، وانتشرت الإشاعات في القاهرة بقتله، فسارع أصحابه في نحو السبعمائة فارس، ووقفوا تحت القلعة، وفي ظنهم أنه لم يقتل وإنما قبض عليه، ولكن المعز أمر بإلقاء رأس المعز إليهم، فسقط في أيديهم، وقرروا ترك القاهرة، فمنهم من قصد الملك المغيث صاحب الكرك، ومنهم من سار إلى الملك الناصر صاحب دمشق، ومنهم من ذهب إلى الملك علاء الدين ملك سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وقد تتبع الملك المعز أيبك من بقي منهم بالقاهرة، فقبض على من بقي منهم، وقتل بعضهم، وحبس الباقي، وصادر أملاكهم وأموالهم ونسائهم وأتباعهم واستصفى أموالهم، ونودي في القاهرة ومصر بتهديد من أخفى أحداً من البحرية.

ومن بعد أن صفى الجو للمعز أيبك مدة، واستمر الحال على ذلك إلى سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م حين ساءت العلاقة بينه وبين زوجته شجر الدر، فقد نغّص عليها حياتها أنها كانت شديدة الغيرة على زوجها أيبك، حتى أرغمته على التخلص من زوجته الأولى أم ولده علي ومنعته من زيارتها هي وابنها، ويبدو أنّ الملك المعز سأم هذه الحياة الزوجية وأرسل إلى الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يخطب ابنته ويظهر أنه كان يرمي من وراء ذلك إلى هجر شجر الدر[1]، التي ما لبثت أن فطنت إلى ما يدبر لها، مما جعلها تقرر قتله، وتتصل سرّاً بالملك الناصر في

(١) السلوك: ج ١ ص ٣٩٥، والمعزية نسبة إليه (عز الدين أيبك).

دمشق تعرض عليه التعاون معها في ذلك، وأن يتزوجها ويشركها معه في السلطة مقابل تسليمه مصر، ولكن الناصر لم يتحمس لهذا العرض ظاناً أنه خدعة منها[١].

وعَلم بدر الدين لؤلؤ بأخبار هذا الاتصال بين شجر الدر والناصر يوسف، فقام بإعلام أيبك به، فاحتاط لنفسه من غدر شجر الدر، وقرر في طويته قتلها، ولم تلبث شجر الدر أن سبقته في تنفيذ عزمها بأن تحايلت عليه، فاستدعته إلى القلعة -بعد أن كان هجرها إلى مناظر اللوق- ودست إليه خمسة من غلمانها فقتلوه في الحمام، وذلك في ٢٣ ربيع الأول ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م[٢].

استيلاء المظفر قطز على السلطنة:

عندما علم المماليك المعزية بوفاة سيدهم في القلعة، حامت شكوكهم حول زوجته شجر الدر، لما كانوا يعلمونه من خصام بينها وبينه، فصعدوا إلى القلعة ليحققوا في سبب وفاته، فعلموا بالحقيقة، لذلك حاولوا قتلها، وكادوا ينجحون في ذلك لولا تدخل بعض المماليك الصالحية، الذين نقلوها على عجل إلى البرج الأحمر في القلعة حماية لها[٣].

أما المماليك المعزية فقاموا بتعيين الطفل نور الدين علي ابن معز الدين أيبك مكان أبيه باسم الملك المنصور، وكان عمره خمس عشرة سنة[٤]، وعينوا قطز أتابكاً له وذلك رغم معارضة المماليك الصالحية، ورغم تعيين الأمير علم الدين سنجر الحلبي نفسه نائباً للسلطنة، فقد رفض المعزية تأييد سنجر وقاموا باعتقاله وولوا قطز هذا المنصب[٥]، وقيل إن شجر الدر فور قتلها للسلطان معز الدين أيبك

---

(١) السلوك: ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧٥-٣٧٦، والمختصر: ج ٦ ص ٩٥-٩٦، والسلوك: ج ١ ص ٤٠٣.

(٣) النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧٧.

(٤) النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧٦.

(٥) ذكر جوزيف نسيم في كتابه «العدوان الصليبي على بلاد الشام: ص ١٤٠»، حاشية ١ ما

قد عرضت السلطنة على عدد من الأمراء، ولكنهم رفضوها خوفاً من المماليك المعزية[١].

وكان أول عمل قام به السلطان علي وأتابكه قطز، هو الأمر بقتل السلطانة السابقة شجر الدر، وذلك بتحريض من والدته، بعد أن ضعف شأن حماتها من المماليك الصالحية، فأمر بحملها إلى أمه حيث أمرت بقتلها، بأن أمرت جواريها «فضربتها الجواري بالقباقيب إلى أن ماتت، وألقوها عن سور القلعة إلى الخندق، وليس عليها سوى سروال وقميص. فبقيت في الخندق أياماً. أخذ بعض أراذل العامة تكة سراويلها، ثم دفنت بعد أيام وقد نتنت، فحملت في قفة إلى تربتها قريب المشهد النفيسي »[٢].

وكان أول خطر واجه قطز هو محاولة المغيث صاحب الكرك الاستيلاء على مصر في عامي ٦٥٥-٦٥٦هـ/ ١٢٥٧-١٢٥٨م بمعاونة المماليك البحرية الفارين من مصر.

ولكن قطز قضى على هاتين المحاولتين ثم قام بعزل السلطان علي بن عز الدين أيبك، مستغلاً في ذلك ما أصاب المصريين من ارتباك أثر سماعهم بما حلَّ ببغداد، وبنوايا التتار تجاههم، ووصولهم إلى حلب. وتم له ذلك في عام ٦٥٧هـ/

موجزه: إنّ هناك خلافات بين المؤرخين حول نهاية الدولة الأيوبية وبداية الدولة المملوكية، فقد ذكر الغزي في (تاريخ حلب: ج ٣ ص ١٢٦) أنّ الصالح نجم الدين أيوب هو آخر الملوك الأيوبيين. كما ذكر آخرون أنّ آخرهم هو ابنه تورانشاه. (نهاية الأرب: ج ٧ ص ٩٥، السلوك: ج١ ص ٣٦١) كما رأى فريق ثالث أنّ الطفل الملك الأشرف موسى هو آخر الملوك الأيوبيين (عقد الجمان: ج ٨ ص ٣٣، العبر: ج ٥ ص ٣٦٣، المختصر: ج ٣ ص ١٩٩). وذكر فريق رابع أنّ عز الدين أيبك هو أول ملوك الترك. وذكر آخرون أنّ شجر الدر هي آخر الأيوبيين باعتبارها زوجة الملك الصالح. انظر: العدوان الصليبي على الشام: ص ١٤٠ . وأصح الآراء أنّ تورانشاه هو آخر الأيوبيين وشجر الدر أول المماليك.

(١) النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٣٧٥.

(٢) السلوك: ج ١ ص ٤٠٤.

١٢٥٨م، حيث عزله ونفاه مع أمه وإخوانه[١].

وبدأ قطز في إعداد مصر للتصدي للخطر المغولي، وتمكن -كما سنبين فيما بعد- من التصدي للمغول وهزيمتهم في معركة عين جالوت الحاسمة في الخامس عشر من رمضان عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. وبعد أن رتب الأوضاع في الشام عاد إلى مصر التي استعدت لاستقباله استقبال الفاتحين، ولكن أعداءه الألداء من المماليك قتلوه غيلة في قرية القصير إحدى قرى مركز فاقوس، بمديرية الشرقية، وذلك في السابع عشر من ذي الحجة عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وكانوا بزعامة بيبرس، ثم دفن هناك بعد حكم دام سنة فقط[٢].

الخطر المغولي:

بعد أن قتل عز الدين أيبك -أول سلاطين دولة المماليك- اجتمع المماليك المعزية وبايعوا ابنه نور الدين علي الذي كان في الخامسة عشرة من عمره، ولقبوه بالملك المنصور، واختار سيف الدين قطز أتابكاً له، هذا وقد حاول الأيوبيون في الشام العودة إلى مصر إلا أنهم فشلوا بسبب صد سيف الدين قطز لهم.

كان نائب السلطنة لنور الدين علي؛ وتولى السلطنة بعد عزله، ويقال إنه من البيت الخوارزمي، فلما قضى المغول على الدولة الخوارزمية شرد مع من شرد من جنودها وسيق إلى أسواق الرقيق، وقادته المقادير إلى مصر حيث ترقّى في سلك الجندية إلى أن أصبح نائباً للسلطنة.

وكان نور الدين علي بن أيبك غلاماً صغيراً ومع هذا لم تكن له حميّة الملوك، بل كان يقضي معظم وقته في اللهو واللعب بالحمام ومنافرة الديوك ومناطحة الكباش وركوب الحمير، ولهذا تركت السلطة كلها في يد نائب السلطنة سيف الدين قطز.

---

(١) البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢١٦.

(٢) المختصر: ج ٣ ص ٢٠٨، وخطط المقريزي: ج ٢ ص ٣٠٠-٣٠١

وأهم حدث جرى في عهد نور الدين علي هو محاولة الأيوبيين في الشام للمرة الثانية الإغارة على مصر واستعادتها من أيدي المماليك، وقد قام بهذه المحاولة الملك المغيث عمر بن العادل الثاني بن الكامل محمد صاحب الكرك وذلك في سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، فتولَّى الدفاع عن مصر وعن الدولة الناشئة سيف الدين قطز، وتقابل بجيشه مع المغيث عمر عند مدينة الصالحية وهزمه هزيمة شنعاء ارتد بعدها إلى الكرك.

وفي عهد نور الدين علي -أيضاً- هاجم هولاكو العراق وقضى على الخلافة العباسية، وقتل المستعصم بالله وخرّب البلاد تخريباً شديداً.

وبهذا النصر قرب الخطر المغولي من الشام ومصر ولم يكن في الشام ملك قوي يستطيع الوقوف أمام هذا الخطر الداهم ومقاومته، فعقدت الآمال كلها على مصر وعلى جيشها المملوكي، وبعبارة أدق على سيف الدين قطز؛ لأنّ السلطان الشرعي نور الدين لم يكن له من السن أو المقدرة ما يؤهّله لتحمل هذا العبء.

ويضاف إلى هذا سبب آخر وهو أنّ قطز كان موتوراً من التتار، وكان أعرف الناس بهم وبخطرهم على العالم الإسلامي، إذا هم نجحوا في الاستيلاء على الشام ومصر؛ وذلك لأنّه كما يقال من أصل خوارزمي؛ فيقال إنّ أمه كانت أخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه، وأنّ أباه كان ابن عم السلطان. وأنه حضر المعارك الأخيرة التي قضى فيها المغول على الدولة الخوارزمية، وقد أُسر في أعقابها وبيع في دمشق ثم حُمل إلى القاهرة.

ولهذا كله رأى قطز أنه لا يستطيع العمل وهو نائب السلطنة، والسلطان الفعلي غلام يلهو، فأقدم على عزله وإعلان نفسه سلطاناً على مصر بعد أن نادى بأنّ الملك المنصور علي ابن المعز أيبك صبي صغير لا يعرف تدبير أمور السلطنة وأنه لا بدّ من وجود سلطان قوي على عرش السلطنة ليقاتل التتار. الذين قد وصلوا سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م إلى بغداد واستولوا عليها وحرقوا المساجد وسفكوا الدماء،

ووجد الفرصة سانحة أمامه لكي ينصِّب نفسه سلطاناً على البلاد؛ فقد انتهز فرصة غياب الأمراء في الصيد وقَبَض على المنصور علي وأخيه وأمه ونصَّب نفسه سلطاناً معللاً هذا التصرف بأنه خشي المغول كما خشي الملك الناصر من ناحية أخرى؛ ودافع قطز عن فعلته هذه أمام أمراء المماليك بقوله: «لا بدّ للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة»[1]، وقبض على الملك المنصور علي وعلى أخيه وأمه وأبعدهم إلى دمياط ثم إلى الإمبراطورية البيزنطية.

وقد غضب لعزل المنصور علي بعضُ مماليك أبيه، فاعتذر لهم قطز بقوله: «إني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتار، ولا يتأتى ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم أقيموا في السلطنة من شئتم»[2]. وأخذ يترضاهم بعد هذا حتى هدأت غضبتهم.

وفي نفس الوقت اندفع هولاكو بجيوشه إلى شمال الشام، فاستولى على حلب وقلعتها، ومنها إلى دمشق فاستولى عليها، فاضطر الملك الناصر يوسف إلى الانسحاب إلى غزة، وفي غزة استمر جنده ينفضون من حوله وانضم بعضهم إلى المماليك، فاضطر إلى أن يتجه إلى قطيا الواقعة على حدود مصر ولكن المغول بعثوا ببعض رجالهم فأسروه.

وفي سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م أرسل هولاكو إلى مصر خطاب تهديد ووعيد إن هي امتنعت عن التسليم إليه والإذعان له، فلما وصل الخطاب إلى قطز جمع أمراءه وشاورهم في الأمر، فاتفقوا على قتل رسل المغول والمسير إلى الصالحية، وتناسى المماليك وأمراؤهم خصوماتهم السابقة، وأسرعوا يتحدون مع بعضهم كتلة واحدة لمواجهة هذا الخطر الذي يهددهم جميعاً، ومما يذكر في هذا الشأن أنّ كثيراً من المماليك البحرية من أنصار أقطاي الذين كانوا قد فرّوا من مصر على إثر مقتله

---

(١) البداية والنهاية: ج١٣ ص ٢١٦؛ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ج ١ ص ٢٢٠.
(٢) السلوك: ج ١ ص ٥٠٨.

أخذوا في العودة إليها ثانية وعلى رأسهم بيبرس البندقداري ليساندوا حكوماتهم وسطانهم في هذه الفترة العصيبة، فرحب قطز بهم وأقطع الإقطاعات لكبارهم.

ونودي في القاهرة ومختلف مدن مصر بالخروج للجهاد في سبيل الله، ونصرة لدين رسول الله ﷺ، وأرسل الملك المظفر سيف الدين قطز إلى ولاته على مدن وأقاليم مصر العساكر تمهيداً للخروج إلى الشام، وتضامن الأمير بيبرس البندقداري أحد أمراء المماليك البحرية بالشام مع سيف الدين قطز لتوحيد جبهة المسلمين ضد خطر المغول واستعان قطز ببيبرس بجلب أخبار عن التتار الذين وصلوا إلى غزة وقد انسحبوا منها فاحتلها بيبرس، وسار قطز قاصداً بحيرة طبرية ونزل بالصالحية وتكاملت عنده العساكر، فطلب اللقاء مع أمراء المماليك، وتكلم معهم في الرحيل لقتال المغول، فوجد منهم تقاعساً ورفضوا الرحيل، فقال لهم: «يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإنّ الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في قارب المتأخرين» فاضطروا إلى الرحيل مع قطز.

عاد هولاكو إلى بلاده بسبب وفاة الخان الأعظم مانجوخان، وجعل متبغا نوين نائباً عنه بحلب، وبيدراً نائباً عنه بدمشق.

عهد السلطان قطز إلى الأمير بيبرس البندقداري بأن يتقدم إلى بلاد الشام مع فرقة من العسكر ليقف أو ليستطلع أخبار المغول، فسار بيبرس إلى غزة، واضطرت حامية المغول التي تنزل بها إلى الإنسحاب، فاستولى بيبرس على غزة.

وفي نفس الوقت سار قطز إلى بلاد الشام ببقية جيشه، ثم تقدم الجيش المملوكي كله نحو الشمال، فلما وصل غزة واصل المسير على رأس العساكر المصرية محاذياً الساحل نحو الشام، وضمن حياد الصليبيين بعكا، ثم اجتمع بالأمراء وحثهم على إنقاذ الشام من المغول ونصرة الإسلام والمسلمين.

والتقى الجيش المملوكي بجيش المغول قرب مدينة بيسان في موضع يقال له عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ/ الثالث من سبتمبر سنة ١٢٦٠م وفي موقعة عين جالوت أظهر الجيش المملوكي شجاعة نادرة، حتى يقال أنّ العسكر اضطرب في أول الأمر، فألقى السلطان قطز خوذته عن رأسه إلى الأرض وصاح بأعلى صوته «واإسلاماه» وحمل بنفسه على المغول، وانتهت معركة عين جالوت بانتصار حاسم للإسلام والمسلمين. ومقتل كتبغا، وفرار التتار من دمشق ومن شمال الشام كله، فاستولى عليه قطز، وبذلك أصبحت مملكته تضم مصر والشام كله.

أعاد قطز الأمن إلى نصابه في جميع المدن المخربة بالشام كما أعاد أمراء الأيوبيين على ولاية حمص وحماة على أن يدفعوا له الجزية.

طمع بيبرس بعد الانتصار على المغول وضم الشام لملك مصر أن يولّى على حلب، ولكن قطز أقطعها للملك السعيد علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ -صاحب الموصل- مكافأة له على ما أداه أبوه للدولة المملوكية الناشئة من خدمات جليلة، فقد دل سلاطينها على حركات المغول وعلي أسرار مشروعاتهم الحربية للتقدم نحو الشام.

ولكن بيبرس كان يعتقد أنّ جهوده في مقاومة المغول لا تقل عن جهود بدر الدين لؤلؤ إن لم تتفوق عليها، فإليه يرجع الفضل الأكبر في إثارة المماليك بالشام لمقاومة التتار، وهو صاحب الفضل الأكبر في إحراز النصر الأول عليهم عند غزة، ثم هو من الأمراء القلائل الذين صدقوا القتال مع قطز في عين جالوت، لهذا غضب بيبرس الغضب كله عندما آثر قطز ابن بدر الدين لؤلؤ بنيابة حلب.

عند عودة قطز إلى مصر تعرض له قواد الجيش وعلى رأسهم بيبرس الذي ثار الحقد إلى نفسه، وصمم على الانتقام من قطز في أول فرصة مواتية، ولم تلبث أن واتته الفرصة عندما وصل ركب السلطان قطز إلى الصالحية في طريقه إلى القاهرة،

إذ أظهر قطز رغبته في الصيد، ولما فرغ السلطان من الصيد تقدم منه بيبرس وطلب منه امرأة من سبي التتار، فأجابه السلطان إلى طلبه وأنعم عليه بما أراد، وكان أن تظاهر بيبرس برغبته في تقبيل يد السلطان -وكانت إشارة بينه وبين شركائه من الأمراء المتآمرين- فقبض بيبرس على يد قطز ليمنعه من الحركة في حين انهال عليه بقية الأمراء من البحرية بسيوفهم ورماحهم وألقوه عن فرسه حتى أجهزوا عليه يوم السبت الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. ثم تقدم الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب وبايع الأمير بيبرس بالسلطنة وتبعه بقية الأمراء قرب الصالحية، ولم يجد أمراء القلعة في مصر غضاضة في أن يحلفوا للسلطان الجديد على الرغم من هول الصدمة عليهم عندما وصلهم نبأ مقتل قطز حيث كانوا في انتظاره إذ اقترن اسم الانتصار في عين جالوت باسم قطز.

نتائج موقعة عين جالوت:

موقعة عين جالوت تعتبر من أهم المواقع الحاسمة في تاريخ المماليك، بل في تاريخ الشرق الأدنى الإسلامي، بل في تاريخ العالم كله، وأهميتها بالنسبة للمماليك أنها كانت تجربة من أخطر التجارب التي مرت بها الدولة المملوكية الجديدة، وأنها كانت من أقوى العوامل التي ساعدت على تدعيم ملكهم، وقد كان حتى ذلك الحين مزعزعاً غير معترف به، وذلك أنّ القوى الإسلامية كلها لم تستطع الوقوف في وجه هذا التتار الجارف المدمر، فهُزم الخوارزميون، رغم قوتهم ونضالهم العنيف، وهُزمت الخلافة العباسية في العراق وقُضي عليها نهائياً هناك، ثم هُزمت جيوش الأيوبيين في الشام.

فالتتار منذ خروجهم من موطنهم الأصلي لم يذوقوا طعم الهزيمة أبداً قبل هذه الموقعة، ولهذا أثاروا الرعب الشديد في العالم الإسلامي كله، وليس أوضح في التعبير عن هذا الرعب من الأوصاف التي أثبتها ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ)، أدرك ابن الأثير قبيل موته السنوات الأولى من تاريخ هذه الغارات وهي في طريقها إلى قلب العالم الإسلامي، وظل سنوات يقاوم نفسه أن تسطر أخبارها،

فإنه كان يستشف ما وراء الأفق ويعي وعياً باطنياً أنّ في تاريخ هذه الحوادث نعياً للإسلام والمسلمين، إنه يعبر عن هذا كله بقوله في حوادث سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م:

«لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة، استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدِّم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمَنْ الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومَنْ الذي يهون عليه ذكر ذلك؟! فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً»[١].

ثم يعدد ابن الأثير بعد ذلك الأقطار والبلدان الإسلامية التي اجتاحتها جيوش المغول في أقل من سنة فيقول:

«فإنّ قوماً خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلاد تركستان، مثل كاشغر وبالاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما تذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خرسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلًا ونهباً، ثم يتجاوزونها إلى الري وهمذان وبلاد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم بلاد أذربيجان وأرمينية ويخربونها ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله»[٢].

لم يشاهد ابن الأثير هذه الغارات فقد كان مقيماً في الشام حينذاك، ولكنه كان معاصراً لها واستمع إلى أولئك السعداء الذين نجوا بأنفسهم وفرّوا بأرواحهم إلى الشام، ثم روى بعض ما سمع، ومما يدل دلالة واضحة على مبلغ الذعر والرعب اللذين أصابا نفوس المسلمين في ذلك الوقت أنه يتابع حديثه فيقول:

«ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم إليه، ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومُدد يأتيهم، فإنهم معهم الأغنام والبقر

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ٣٩٩؛ تاريخ الإسلام: ج ٤٤ ص ٣٨.
(٢) الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ٣٩٩؛ البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٨٧؛ سمط النجوم العوالي: ج٣ ص ٥٢٥؛ تاريخ الإسلام: ج ٤٤ ص ٣٨.

والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحمها لا غير، وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل من عروق النبات، ولا تعرف الشعير، فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون لشيء من خارجه »[١].

إلى أن يقول:

« ولقد حكي لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذّب بها من الخوف الذي ألقاه سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم، حتى قيل إنّ الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحداً واحداً لا يتجاسر أحد بمد يده إلى ذلك الفارس، ولقد بلغني أنّ إنساناً منهم أخذ رجلاً ولم يكن من التتري ما يقتله به فقال له: ضع رأسك على الأرض ولا تبرح، فوضع رأسه على الأرض ومضى التتري أحضر سيفاً فقتله به... الخ »[٢].

أما المؤرخ الجغرافي ياقوت فقد كان مقيماً بمدينة مرو وشاهد هذه الكارثة ففر منها كما يقول:

« بقلب واجب، ودمع ساكب، ولب عازب، وحلم غائب، وتوصل، وما كاد حتى استقر بالموصل، بعد مقاساة أخطار، وابتلاء واصطبار، وتمحيص أوزار وإشراف غير مرة على البوار والتبار، لأنه مرّ بين سيوف مسلولة، وعساكر مغلولة، ونظام عقود محلولة، ودماء مسكوبة مطلولة، وكان شعاره كلما علا قتباً، أو قطع سبسباً: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد، وأولانا نعماً تفوق الحصر والعد، وجملة الأمر أنه لولا فسحة الأجل، لعز أن يقال: سلم البائس أو وصل، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون، وألحق بألف ألف هالك بأيدي الكفار أو يزيدون، وخلف خلفه ذخيرته، ومستعد معيشته... إلخ »[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ٤٠٠؛ البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٨٨؛ سمط النجوم العوالي: ج ٣ ص ٥٢٥؛ تاريخ الإسلام: ج ٤٤ ص ٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ٤٩٤؛ نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢٧ ص ٢٣٥.

(٣) وفيات الأعيان: ج ٦ ص ١٣٦؛ تاريخ الإسلام: ج ٤٥ ص ٢٦٩.

وعندما أغار المغول على شمال الشام واستولوا على معظم مدنه وخاصة حلب (في سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م). فمر منها من استطاع النجاة بنفسه وحياته إلى جنوبي الشام ومصر يمتلكهم النصر، ويروون من قوة التتار وتخريبهم تاريخاً جديداً، وكان من الفارين مؤرخ حلب القاضي كمال الدين بن العديم، وقد عاد إليها في سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م بعد أن استردها المسلمون سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م فشاهد من تخريب المغول لها ما أثار حفيظته وأيقظ شاعريته، فرثاها رثاءً قوياً بقصيدة طويلة باكية[1].

هذه الأقوال وغيرها كثير تبين في وضوح القيمة الكبري للانتصار الذي أحرزه المماليك في موقعة عين جالوت، وتؤكد ما ذكرناه من أنها كانت من أهم الأسباب التي ساعدت على تدعيم ملك المماليك، فقد بدأ العالم الإسلامي ينظر إليهم نظرة عطف وإكبار.

ويعترف المؤرخون الأوربيون عند التأريخ لهذه المعركة أنها لم تنقذ العالم الإسلامي وحده من خطر المغول المخرب المدمر، بل لقد أنقذت العالم المسيحي كذلك، لأنه لم يكن في أوروبا المسيحية وقتذاك ملك قوي يستطيع مقاومة المغول لو أنهم انتصروا على المماليك وتقدموا في اتجاههم الطبيعي نحو أوربا.

ومن النتائج الهامة لهذه الموقعة أيضاً أنها قضت نهائياً على المعارضة الأيوبية، بل لقد وضعت السلطان المملوكي موضع السيادة ممن بقي من ملوك الأيوبيين، فقد طلب صاحب حمص الأمان من قطز، فأمنه وأعاده إلى ملكه، وكذلك فعل بصاحب حماة، أما الملك الناصر صاحب حلب فكان قد أرسل يستغيث بالمماليك في مصر عندما قرب الخطر المغولي في بلاده، ولما تأخرت النجدة وهاجم المغول حلب اضطر أن يستسلم لهم، ثم قصد هولاكو بعد عودته إلى فارس فأكرمه وأعطاه فرمانا بتوليته على الشام ومصر، وخرج من عنده قاصداً

---

(١) تاريخ ابن الوردي: ج ٢ ص ٢٠٨؛ المختصر في أخبار البشر: ج ٣ ص ٢١٥؛ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: ج ١ ص ٣٤٠.

الشام فوصلت أخبار هزيمة المغول عند عين جالوت فأعاده هولاكو إليه وقتله.

تولي السلطان ظاهر بيبرس السلطنة:

وبمقتل السلطان قطز خرج أمراء المماليك الذين تآمروا عليه إلى الدهليز السلطاني بالصالحية وسلطنوا عليهم بيبرس[١] سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م؛ لأنه هو الذي قتله وأجلسوه مكانه[٢] على مرتبة السلطان، فأخذ الملك بالقوة[٣]. وبعد أن حلف له القادة بمن فيهم فارس الدين أقطاي، والجند يمين الولاء، دخل القاهرة ظافراً[٤].

ويعتبر بيبرس من أعظم سلاطين المماليك لما قام به من أعمال شملت تنظيمات وعمران وغير ذلك. وكان من أهم أعماله إحياؤه الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م، بعد أن قضى عليها التتار في بغداد. مما أكسبه سلطة شرعية مدعومة بموافقة الخليفة العباسي، كما استن نظام ولاية العهد في أسرته، بتعيين ابنيه السعيد بركه خان والعادل بدر الدين سلامش- الذي اغتصب قلاوون عرشه فيما بعد سنة ٦٧٩هـ[٥]. وحفر الترع، وأصلح الحصون، وأسس المعاهد، وبنى المساجد، وكان حاكماً مستبداً مستنيراً، كما قوّى الجيش واستحضر أعداداً كبيرة من المماليك، وكرَّس همته في محاربة الصليبيين. ولذلك يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية في مصر. وتوفي في السابع والعشرين من محرم عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م في دمشق وهو عائد من وقعة قيسارية.

وتتابع سلاطين المماليك البحرية على الحكم حتى عام ٧٨٣هـ/ ١٣٨٢م،

(١) كان قفجاقياً في الأصل بيع في مدينة سيواس، ثم أحضر إلى حماه، وعرض على صاحبها الملك المنصور فلم يعجبه، فاشتراه الأمير علاء الدين البندقدار مملوك الصالح نجم الدين أيوب، وعندما انتقل الأمير علاء الدين لخدمة الملك الصالح أخذ معه بيبرس الذي أخذه الملك الصالح إليه فانتسب إليه دون أستاذه، خطط المقريزي: ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) السلوك: ج ١ ص ٤٣٦، النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ٨٤.

(٣) بدائع الزهور: ج ١ ص ٩٧.

(٤) بدائع الزهور: ج ١ ص ٩٨.

(٥) النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ٢٦٧.

ثم خلفهم على الحكم سلاطين دولة المماليك البرجية ٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م[1].

جهاد المماليك البحرية ضد الصليبيين:

لم يبق من الأراضي الإسلامية تحت حكم الصليبيين سوى شريط ساحلي يمتد على محاذاة البحر الأبيض المتوسط من ناحية الشرق، يضيق أو يتسع باختلاف الظروف والأزمنة، وذلك لأنّ الصليبيين حتى في عنفوان قوتهم، لم يتمكنوا من التوغل في داخل بلاد الشام، فبقيت حلب وحماه وحمص ودمشق بعيدة عن متناولهم[2]. وبفقدهم المبكر لإمارة الرها ظلوا محاطين بالمسلمين من الشمال والشرق والجنوب، لا يربطهم بأوربا مصدر قوتهم وإمدادهم سوى البحر، واقتصرت أملاكهم في مطلع عهد الدولة المملوكية البحرية على إمارتي طرابلس[3] وأنطاكيا[4]، ومدينة عكا[5] التي أضحت مقرّاً لمملكة بيت المقدس بعد أن استرد المسلمون القدس.

---

(١) سموا بالبرجية لأنّ غالبية سلاطينهم من المماليك الذين كانوا يقيمون في برج القلعة على جبل المقطم. وأبرزهم من بلاد الشركس (القوقاز بجوار بحر قزوين) وهم من الترك أيضاً. وقد سقطت دولتهم على يد العثمانيين، وظلت بقاياهم تشارك في حكم مصر معه العثمانيين حتى قضى عليهم محمد علي باشا. (دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، عبد المنعم ماجد: ج ١ ص ٢٥).

(٢) تاريخ العرب، فيليب حتي: ص ٢٨٩.

(٣) مدينة ساحلية حصينة، يحدها من القبلة جبل لبنان، تطل على بحر الروم من ثلاث جهات، وتقع شمالها قلاع الدعوة الإسماعيلية، وشرقها قلعة منيعة من الحجر، استولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م. السلوك لمعرفة دول الملوك: ج ١ ص ٧٤٧-٧٤٨، وصبح الأعشى. ج ٤ ص ١٤٤.

(٤) تقع أنطاكية إلى الغرب من حلب، على ساحل البحر المتوسط، لها سور عظيم من الصخر، يمر بظاهرها نهر العاصي، والنهر الأسود مجموعين. تقويم البلدان: ص ٢٥٧، وصبح الأعشى: ج ٤ ص ٢٢٩.

(٥) تقع على الساحل الشرقي لبحر الروم، جنوب صور وشمال غرب طبرية، استولى عليها الصليبيون عام ٤٩٧ هـ/ ١١٠٤م واستردها صلاح الدين عام ٥٨٣هـ/ ١١٥٧م، واستولى عليها الصليبيون مرة أخرى عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، ثم استردها الأشرف خليل. صبح الأعشى: ج ٤ ص١٥٢، ودائرة المعارف: مادة: عكا.

لهذا فبعد أن باءت بالفشل، حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر المسماة بالحملة السابعة، خرج هذا الملك مذموماً مدحوراً خاسراً، فاشلاً في تحقيق أحلامه في استرداد بيت المقدس عن طريق مصر، وغادر دمياط متوجهاً نحو قبرص، بعد أن فك المماليك أسره، مقابل فدية كبيرة وشروط مذلة.

ولم يلبث أن غادر قبرص متوجهاً نحو عكا، التي كان حاكمها يوحنا، شقيق ماري، إمبراطورة القسطنطينية، وزوجة الإمبراطور يلدوين الثاني، ومنها أخذ يعمل على تحقيق حلمه الذي لم يفارقه رغم كل النكبات، بل عاش معه حتى مات في تونس وهو يقود الحملة الصليبية الثامنة عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م.

استغل هذا الملك فرصة النزاع الذي شبَّ بين المماليك البحرية الذين استولوا على السلطة في مصر، بعد مقتل تورانشاه بن الملك الصالح أيوب وبين بقايا الأيوبيين في الشام، الذين رأوا في ذلك ضياعاً لجزء هام من أملاك الأسرة الأيوبية، فعارضوا ذلك بشده وعلى رأسهم السلطان يوسف صاحب حلب ودمشق، فصار الملك لويس يساوم كلا الجانبين -الأيوبيين والمماليك- ويعدهما بالمساعدة حتى اتفق أخيراً مع السلطان عز الدين أيبك على أن يطلق المماليك عدداً كبيراً من الأسرى الصليبيين، وعلى إعادة رؤوس الفرنجة المعلقة حول أسوار القاهرة منذ وقعة غزة، وأن يتنازل المماليك عن النصف الثاني من الفدية المفروضة على لويس التاسع، وتعهدوا بإعادة بيت المقدس إلى الصليبيين، وذلك كله مقابل أن يقف الملك لويس، إلى جانبهم في حِربهم ضد الناصر يوسف صاحب الشام واتفق على «أن تكون هذه الاتفاقية خمسة عشر عاماً»[1].

هذا ولم تشر المصادر الإسلامية إلى هذه الاتفاقية غير ما أورده العيني عندما قال: «ومال الجيش المصري بالفرنج، ووعدوهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس -إن نصروهم على الشامين- وكانت قد اشتدت الحرب بينهم»[2]، ورغم شعور

(١) العدوان الصليبي على بلاد الشام: ص ١٧٧-١٨٧.

(٢) عقد الجمان: ج ٢ ص ٣٤٤ و ج ٢ ص٢١٥، والبداية والنهاية: ج ١٣ ص ١٨٤.

الإنسان بالأسى والأسف لهذه المعاهدة، إلا أنّ من يعرف المماليك يوقن أنهم لم يكونوا معنيين بتنفيذ بعض بنودها، وخصوصاً ما يتعلق منها بإعادة القدس إلى الصليبيين، أو تسليمهم ما هو غرب نهر الأردن، وأنهم كانوا يرون فيها خدعة تكتيكية لكسب الصليبيين إلى جانبهم أو إبقائهم على الحياد، فباشروا أولاً في تنفيذ بعض البنود كدليل على مصداقيتهم، فأخلوا سبيل باقي أسرهما الإفرنج، وتنازلوا عن بقية الفدية المتبقية والبالغة حوالي ٢٥٠٠٠٠ جنيه ذهبي مصري، وأعادوا رؤوس قتلى الفرنج التي كانت معلقة على أسوار القاهرة منذ واقعة غزة[١].

وعليه توجه لويس التاسع من جانبه بقواته من قيسارية إلى يافا، وانتظر وصول المماليك للانضمام إليه لمحاربة الناصر يوسف، ولكن الملك الناصر يوسف أرسل جيشاً رابط في غزة ليحول دون اجتماع جيوش الصليبيين والمماليك[٢]، مما أفسد عليهم خطتهم، وأخيراً تدخل الخليفة العباسي المستعصم باللّه فسارع إلى التوسط بين الأيوبيين والمماليك فجنَّب بذلك القدس من السقوط مرة أخرى بأيدي الصليبيين[٣]، كما جنَّب المسلمين سفك دماء بعضهم خصوصاً وأنّ الخطر المغولي قد أصبح على الأبواب.

ومع ذلك فإنّ لويس التاسع لم يفقد الأمل، فاستغل فترة خلاف المسلمين هذه لإصلاح أحوال الصليبيين، وتحصين مدنهم وحصونهم[٤]، فبدأ بتحصين مدينة عكا، باعتبارها عاصمة الصليبيين، ومقر إقامته، ومركز مملكة بيت المقدس، وأتمَّ تحصينها عام ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م حتى أصبحت في منتهى المنعة.

وبعد ذلك توجه لويس إلى قيسارية[٥] التي كان يحكمها يوحنا اليمان، فأمضى

(١) العدوان الصليبي على بلاد الشام: ص ١٨٢؛ نقلًا عن جونفيل.
(٢) السلوك: ج ص ٣٨١، والعبر: ج ٥ ص ٣٧٥.
(٣) قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام: ص ٢٢١.
(٤) العدوان الصليبي على بلاد الشام: ص ٢٩٠.
(٥) مدينة بساحل الشام بينها وبين الرملة ٣٢ ميلًا، كانت شديدة المناعة، لها قلعة حصينة، وسور وباب حديد. تقويم البلدان: ص ٢٣٩.

عاماً في بناء سورها، وأقام أبراجاً عدة، كما حصّن مدينة حيفا[1]، وبعدها سار إلى يافا[2]، وأقام حولها سوراً له ثلاثة أبواب وأربعة وعشرين برجاً وخندقين.

كما حصّن صيدا[3] وجدَّد بناء ما هدَّمته قوات الناصر يوسف عندما أغارت عليها أثناء مهاجمة لويس التاسع لدمياط، وأحاطها بالأسوار والأبراج والخنادق[4]. وذلك في زمن أميرها جوليان دي باليان.

ومن جهة أخرى حاول الملك لويس التاسع جمع كلمة الصليبيين الذين فرقتهم الخلافات والحروب المحلية، سواء كانت أسبابها تجارية كالتي كانت تحدث بين البنادقة والبيازنة والجنوية الذين تعرضوا بالمضايقة للويس التاسع نفسه، لاعتقادهم بأنّ حملته على مصر أضرت بعلاقتهم معها، أو دينية كالتي وقعت بين الجماعات الرهبانية العسكرية من داوية واسبتارية، أو عرقية بين أجناس السكان المختلفة؛ لأنّ سكان الإمارات الصليبية كانوا خليطاً متنافراً من الأمم والأخلاق والأهداف والميول.

كما حاول توطيد علاقاته مع نصارى الشرق (السريان المسيحيين)[5] خصوصاً الأرمن والموارنة[6] حيث كان للموارنة وضع خاص لدى الصليبيين منذ

---

(١) لم يبق منها اليوم سوى آثار قليلة، ومنها بعض المدافن بسفح جبل الكرمل، وحيفا، الموجودة حالياً شيدت في القرن ١٨، وتقع في شمال حيفا القديمة لكيلو مترين. الكرمل: حيفا ص ٦٩-٧١.

(٢) تقع يافا على مسافة ٦ أميال شمال غرب مدينة الرملة، وهي ميناء ترسو فيه السفن الواردة إلى فلسطين والمنطلقة منها. تقويم البلدان: ص ٢٣٩، وصبح الأعشى: ج ٤ ص ١٠٠. قال عنها البشاري المقدسي: «خزانة فلسطين، وفرضة الرملة، عليها حصن منيع بأبواب محددة، وباب البحر كله حديد» (أحسن التقاسيم: ص ١٧٤).

(٣) مدينة بساحل البحر الرومي ذات حصن حصين. صبح الأعشى: ج ٤ ص ١١١.

(٤) العدوان الصليبي على الشام: ص ٢٩٩.

(٥) كان الصليبيون يطلقون هذا الاسم على الجماعات الشامية النصرانية، من إغريق، ونساطرة، وأرمن، وموارنة، وغيرهم. (العدوان الصليبي على الشام: ص ٣١٢).

(٦) ينسبون إلى القديس مارون الذي ظهر في جهات افامية في أواخر القرن الرابع الميلادي، وأقيم بعد موته دير في أوائل القرن الخامس على ضفاف العاصي قرب افامية. وقد تواجد

بداية الحروب الصليبية لأنهم لعبوا دور الحلفاء للصليبيين، مما جعل الصليبيين يأنسون إليهم، ويدخلونهم تحت حمايتهم[١] ولم ينسوا أنهم شاركوهم مرات عديدة في محاربة المسلمين، أهمها مشاركتهم في حملة لويس التام على مصر حيث حاربوا إلى جانبهم في المنصورة[٢].

وفي نفس الوقت حاول لويس التاسع إصلاح الفساد المستشري في الإمارات الصليبية حيث كانت مرتعاً للشرور التي وصفها القاصد الرسولي في حديث له إلى جونفيل يبين فيه مقدار الفساد في عكا «لا يعلم أحد مثلي الآثام والمعاصي التي ارتكبت في عكا ولذا فإن المولى سينتقم من سكانها حتى تغسل المدينة بدمائهم، وحينئذ سوف يأتي شعب آخر للإقامة فيها» وقد ساعد على هذا الفساد الأخلاقي كون الصليبيين خليطاً متنافراً من الناس! كما سبق وذكرنا.

كل هذه الأعمال التي قام بها لويس التاسع ساهمت بالإضافة لعوامل أخرى في تأخير سقوط الإمارات الصليبية مدة ليست قليلة، وإن كانت لم تلبث الخلافات أن دبت بينهم خصوصاً بين الجماعات اللاتينية وذلك عام ١٢٥٨م ودارت عامين وتسببت في إضعاف الصليبيين وذلك بعيد مغادرة لويس للشام عائدا إلى بلاده التي دبَّت فيها الفوضى، وليقود بعد فترة طويلة الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس حيث توفي في بدايتها عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م.

دور بيبرس في التصدي للصليبيين:

لم ينس بيبرس لحظة عداوة الصليبيين وخطرهم على الشام ومصر، وهو الذي شارك في صدهم عن المنصورة ودمياط، ورأى محاولات لويس التاسع في

أكثر الموارنة في بلاد حمص وجبل لبنان، وكانوا متمسكين بمذهب الطبعتين المقر في مجمع خلقدونية عام ٤٥١م مما جعلهم مقربين إلى اللاتين بعكس الأقباط والأرثوذكس. (نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية، يوسف دربان: ص ٤٢-٤٥).

(١) لباب البراهين الجلية عن حقيقة أمر الطائفة المارونية، يوس-ف دربان: ص: ٥٩-٦٠.

(٢) أصل الطائفة المارونية، يوسف دربان: ص ٥٦.

تأجيج الصراع بين دولة المماليك الحديثة النشأة والملك الناصر ملك الشام، ثم تعاونهم مع الخطر الجديد القادم من الشرق، حيث رأوا فيه حليفاً طبيعيّاً ساقه الله لنصرتهم، ألا وهو خطر المغول، فاتصلوا بهم، وعملوا أدلّاء لجيوشهم وجواسيس يطلعونهم على عورات المسلمين، بل سمح بعضهم لبعض الحاميات المغولية بالنزول في حصونهم، فوقعوا هم أنفسهم تحت سيطرة ورحمة تلك الجماعات[١]، وكذلك تآمر الصليبيين الدائم مع الحشيشيين[٢] الذي كانوا خطراً دائماً يهدد كل مجاهد مسلم من زعماء المسلمين.

لهذا قرر بيبرس كما قلده في ذلك خلفاؤه أمثال قلاوون والأشرف خليل، اجتثاث الخطر الصليبي نهائيا من بلاد الشام[٣].

وكتمهيد لتحقيق هذا الهدف تحالف بيبرس مع الإمبراطور البيزنطي باليولوجس عدو الصليبيين، حيث عقد معه معاهدة دفاعية عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م[٤] كما حالف مغول القفجاق المسلمين (القبيلة الذهبية) وهادن أعداء المسلمين مغول فارس الوثنيين[٥].

بعد كل هذه الترتيبات توجه بيبرس نحو الشام عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م قاصداً إعداد قواته وإعادة توزيعها، تمهيداً لتنفيذ غرضه، وعند ذلك أحس الصليبيون بالخطر الكائن في استعدادات بيبرس ونيته نحوهم، فأرسلوا إليه وفودهم تعرض عليه المسالمة، وتعبر عن حسن نيتها نحوه، ولكنه كان يردها قائلاً: «ردّوا ما أخذتموه من البلاد، وفكوا أسرى المسلمين جميعهم، فإني لا أقبل غير ذلك» ثم

---

(١) قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام: ص ٢٢٢

(٢) الحشاشون والحشيشية يقصد بهم الفداوية، لاشتهارهم بتناول المخدرات المعروفة بالحشيش، وقيل إنه ربما أطلق عليهم هذا الاسم لكثرة اغتيالهم المراء، من الحش بمعنى القطع، وبذلك تكون التسمية بعيدة عن موضوع الحشيش المخدر.

(٣) النهج السديد: ص ١٩٢، والسلوك: ج ١ ص ٥٨٤-٦٠٠.

(٤) زبدة الفكر، بيبرس الدوادار: ج ٩ ص ٢٦٢.

(٥) السلوك: ج ١ ص ٤٦٥.

يطردهم من حضرته[١].

وكان من حماس بيبرس في جهاد الصليبيين، أنه لم يخل عام من الأعوام العشرة ما بين ٦٥٩-٦٦٩هـ/ ١٢٦١-١٢٧١م إلا وكان يشن فيه حرباً، ويسترد أرضاً من أرض إحدى الإمارات الباقية بأيديهم وهي: أنطاكية، وطرابلس، وبعض مملكة القدس.

فبادر عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م بمهاجمة مدينة الناصرة، ثم هاجم بنفسه مدينة عكّا الحصينة، ولكنه لم يتمكن من فتحها بسبب ما أقامه فيها لويس التاسع من تحصينات[٢].

وفي عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م حاصر مدينة قيسارية وفتحها رغم حصانتها[٣]، ثم غادرها جنوباً إلى قلعة أرسوف البحرية[٤] التي كانت تحت سيطرة شرسان الاسبتارية المشهورين ببسالتهم، فقاموا بالدفاع المستميت عنها، ولم يمكنوا بيبرس من فتحها فلجأ إلى الحيلة بأن اتفق معهم على أن يستسلموا مقابل تأملات حياتهم، ولكنه قام بنقلهم إلى القاهرة بعد أن أمرهم بهدم قلعتهم[٥].

وبعد ذلك قام بفتح يافا وعتليت، ثم استولى في العام التالي على صفد[٦]

(١) السلوك: ج ١ ص ٤٨٥-٤٨٦.
(٢) البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٤٤.
(٣) السلوك: ج ١ ص ٥٢٩.
(٤) ارسوف مدينة ساحلية على بحر الروم، بها قلعة وعليها سور، كانت في زمن أبي الفداء خراباً (تقويم البلدان: ص ٢٣٩).
(٥) السلوك: ج ١ ص ٥٢٩ «ولا يعتبر هذا غدراً منه لأنّ هؤلاء الفرسان جبلوا على الخيانة والغدر وطالما غدروا بالمسلمين». البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٤٤.
(٦) البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٤٩، أمر بأن يكتب على أسوار قلعة صفد «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون». قيل إنها فتحت صلحاً، ثم قتل بيبرس ألفين من أهلها وخرب قلعتها، ثم بناها ونقش عليها عبارة تدل على زهوه بالنصر جاء فيها: «عماد الدين الذي حول الكنائس إلى مساجد، ورنين النواقيس إلى أصوات المؤذنين، وقراءة الإنجيل إلى ترتيل القرآن». (علي إبراهيم حسن: ص ١٨٠).

وهونين وتبنبن[١]، والرملة[٢] مما جعل الإمارات الصليبية في حالة احتضار يائسة دفعتها إلى معاودة استعطاف السلطان بيبرس طالبة مصالحته، أو على الأقل عقد هدنة معه، وفي هذه المرة رأى أنَّ من المناسب إجابة طلبهم، فصالحهم عَلى أساس المناصفة أو المشاركة وذلك بأن تصبح له حصة في غلاتهم ومنتجاتهم[٣]. ومن أطرف هذه الاتفاقيات بين بيبرس والإمارات الصليبية تلك الاتفاقية التي عقدتها معه ازابيلا، ملكة بيروت عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م ومدتها عشر سنوات، فقد ذكر القلقشندي[٤] أنّ هذه الملكة قد وثقت ببيبرس إلى درجة أنها كانت عندما ترغب في السفر إلى جهة ما، تذهب بنفسها إلى بيبرس وتستودعه بلادها[٥]، وعندما خطفها الملك هيو الثالث ملك جزيرة قبرص قام بيبرس بتخليصها عن طريق توجيه تهديدات لهيو. لهذا اتخذت لنفسها حرساً من المماليك حتى ماتت عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م، وقلدتها في هذه السياسة أختها وخليفتها حتى استولى المسلمون على بيروت[٦].

أما عن موقف السلطان الظاهر بيبرس تجاه العدو الآخر والحليف الدائم لكل من الصليبيين والمغول، وأعني به مملكة أرمينيا الصغرى[٧] فقد وجه إليها

---

(١) حصون تحيط بمدينة بانياس التي كان بها قلعة الصبيبة، ومن هذه المدن والحصون شقيف أرنون، وشقيف تيرون، والجليل وصفد والناصرة وصفورية. (أبو الفداء: تقويم البلدان: ص ٣٤٥).

(٢) الرملة مدينة بفلسطين بناها سليمان بن عبد الملك، بينها وبين القدس يوم واحد. (صبح الأعشى: ج ٤ ص ٩٩، والسلوك: ج ١ ص ٥٥٠، وذكر في: ص ٥٤٤-٥٤٧ أنّ الاستيلاء على يافا كان سنة ٦٦٦هـ.

(٣) صبح الأعشى: ج ٤ ص ٤٤-٥١، والنجوم الزاهرة: ج ٧ ص ١٥٠.

(٤) صبح الأعشى: ج ٤ ص ٣٩.

(٥) تاريخ ابن الفرات: ج ٧ ص ٣٥.

(٦) يذكر رنسيمان أنّ بيروت سقطت بيد الأشرف خليل عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ، بينما يذكر المقريزي أنها سقطت بيد الناصر قلاوون سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م (السلوك: ج ١ ص ٦٤٦-٦٤٧).

(٧) سميت أرمنية الصغرى تمييزاً عن أرمنية القديمة الممتدة جنوب القوقاز والبحر الأسود، أي ما بين بلاد فارس والعراق شرقاً وبلاد الروم غرباً، وتقع أرمينيا الصغرى في جنوب الأناضول

في عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م القائد قلاوون. بقصد تأديب ملكها على تحالفه مع التتار زمن هولاكو وأبقاخان، وتشجيعه لهما على مهاجمة الشام ومصر، والمساهمة في دعمهما بفرض حصار اقتصادي على دولة المماليك، حيث منع عنها مادتي الخشب والحديد[١]. وقامت قوات قلاوون بهزيمة الأرمن قرب دراساك، ودمرت مدن سيس وأضنه وطرسوس والمصيصة، وألحقت بها دماراً هائلاً في هجومها الذي استغرق عشرون يوماً فقط، وقتل قلاوون أحد أبناء ملك أرمينيا وأسر الابن الثاني، في حين كان الملك نفسه -هيثوم الأول- في زيارة للمغول في بلاد فارس. ولم يوافق بيبرس على إطلاق أسيره إلا مقابل تنازل والده عن عدة مواقع استراتيجية ودفع جزية سنوية[٢].

ومنذ ذلك الحين أصبحت أرمينية الصغرى ضعيفة لم تسبب للمسلمين أي مشكلة، إلا مرة واحدة في عهد السلطان محمد قلاوون حيث أخضعها نهائيّاً[٣]. وفي عام ٦٦٦ هـ قام بأخذ يافا عنة وأجلي أهلها إلى عكا ثم استولى على حصن الشقيف وأجلي أهله إلى صور، ثم هاجم صور فنهب وأرعب، ثم هاجم حصن الأكراد، ثم سار عنوة إلى حمص ومنها إلى حماه ثم إلى فامية[٤].

سقوط أنطاكية بيد السلطان بيبرس:

وجه بيبرس همه إلى أنطاكية أقوى الإمارات الصليبية المتبقية والمتحالفة مع التتار، فبدأ بمهاجمة البلاد المحيطة بها، حيث استولى على عدة قلاع تقع إلى الشمال منها، ثم وجه همّه نحوها بجيشه المؤلف من ثلاث فرق، استولت الفرقة

وقيليقية من الرها شرقاً إلى أضنه غرباً وعاصمتها سيس. (القوى البحرية والتجارية: ص ٣٣٤) وهي اليوم مقسمة إلى منطقتين، إحداهما مع روسيا باسم جمهورية أرمينيا الاشتراكية والأخرى تركية مكونة من عدة ولايات أهمها ولاية أرضروم. (الحركة الصليبية: ج ٢ ص ١١٤٨).

(١) قبرص والحروب الصليبية: ج ٢ ص ١١٤٧.

(٢) النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ١٤، والسلوك: ج ١ ص ٥٥٢.

(٣) السلوك: ج ٣ ص ٥٥٢.

(٤) البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٥١.

الأولى منها على ميناء السويدية، لتقطع اتصال أنطاكيا بالبحر، ورابطت الفرقة الثانية في ممرات قيليقيه لتمنع وصول الإمدادات من أرمينية الصغرى، ثم هاجم المدينة بالفرقة الثالثة، واستمرت الهجمات، ودام الحصار. ثم جرت مفاوضات لتسليمها صلحاً، ولكنه رفض، واستطاع أن يفتحها عنوة، في رمضان عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م فأحرقها[١]، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً[٢]، وأسر أعداداً هائلة منهم، وغنم ما لا يحصى من الأموال بلغ من كثرتها (أن قسمت الأموال بالطاسات) وبلغ الأسرى من الكثرة حتى أنه لم يبق غلام إلا وله غلام، وبيع الصغير باثني عشر درهماً)[٣]. فكان سقوطها معلماً خطيراً على طريق نهاية الصليبيين بالشام لأنها كانت بحكم موقعها الجغرافي سنداً لهم منذ بداية الحروب الصليبية، وسبّب سقوطها ذعراً شديداً في صفوف الصليبيين، حتى أرسل ملك أرمينية الصغرى يعرض على بيبرس أن يسلمه بلاده مقابل الاستمرار في مهادنته[٤].

ولم يكتف بيبرس بهذا النصر، فوجَّه همَّه نحو جزيرة قبرص ليؤدِّب ملكها هيو الثالث، الذي كان دائم التهديد للسفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، ودائم المساعدة للصليبيين، فوجَّه نحوه حملة بحرية عام ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م[٥]، ولكنها فشلت بسبب العواصف التي حطمت معظم سفنها[٦] فنجا بذلك ملكها من عقاب بيبرس[٧].

لم يثن هذا الفشل في فتح قبرص، بيبرس عن مواصلة الجهاد ضد الصليبيين،

---

(١) السلوك: ج ١ ص ٥٤٤-٥٤٧، والبداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٥١.
(٢) قيل أنه قتل من أهلها مائة ألف، ومن جنود قلعتها ثمانية آلاف.
(٣) السلوك: ج ١ ص ٥٦٨.
(٤) ونتبين استهانة بيبرس بالصليبيين من الرسالة التي كتبها لأمير أنطاكية بوهيمند السادس الذي كان لدى سقوط مدينته يقيم في إمارته طرابلس. (النجوم: ج ٧ ص ١٤٧).
(٥) قبرص والحروب الصليبية: ص ٤٧-٤٨.
(٦) عقد الجمان، حوادث سنة ٦٦٩هـ.
(٧) البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٥٩.

فاستولى في عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م على صافيتا وحصن الأكراد، وحصن عكار، والقرين، ثم واصل مهاجمة إمارة طرابلس، فاستولى على ما حولها من حصون وممرات وكاد أن يفتحها، ولكنه عندما علم بخروج الحملة الصليبية الثامنة من فرنسا خشي أن تكون جهتها مصر، فسارع إليها للاستعداد لمواجهة هذا الخطر[١]، وعندما تيقن من توجه تلك الحملة إلى تونس عاد عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م لمواصلة هجومه على طرابلس فطلب أميرها بوهيمند السادس الصلح، ووصلت الأخبار بوصول الأمير إدوارد[٢] الأول إلى عكا، فظن أنها مقدمة لحملة صليبية كبرى، فاستجاب بيبرس لطلب بوهيمند وعقد معه صلحاً مدته عشر سنوات[٣]، وتبعتها مملكة بيت المقدس فعقدت صلحاً مماثلاً، مما مكن بيبرس من التفرغ لقتال المغول والإسماعيلية، فوجه همه نحو الإسماعيلية، «الحشاشين» الذين كانوا يعادون المسلمين ويتآمرون مع الصليبيين ضدهم، ويغتالون كبار المجاهدين من قادتهم كما تعاونوا مع المغول، ودفعوا لهم الأتاوات[٤]، فعزل مقدمهم نجم الدين الشعراني، وهدم حصونهم وقضي عليهم، بعد أن سلموها له وأشهرها الكهف والقدموس والمنطقة، وعوضهم عنها بإقطاعات[٥].

إحياء الخلافة العباسية في القاهرة:

خدم بيبرس السلطنة المملوكية خدمة جليلة عندما أقام الخلافة العباسية بالقاهرة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، على أنّ بيبرس لم يكن أول من فكر في إحياء الخلافة

(١) طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ص ٢٦٩.
(٢) أصبح ملك إنجلترا فيما بعد، كان معه حوالي ١٠٠٠ محارب، جاء البلاد بناء على اتفاق مع أبغاخان المغولي على غزو مصر والشام، ولكن انشغال ابغا بمحاربة مغول التركستان حال دون ذلك، فعاد إدوارد بعد أن طعنه أحدهم بسكين، وبعد أن عقد هدنة مع بيبرس مدتها عشر سنوات (الحروب الصليبية: ص ١١٥٩).
(٣) أثناء المفاوضات اندس بيبرس بين أعضاء وفده إلى بوهيميند كخادم ليتمكن من الاطلاع على حصون طرابلس. السلوك: ج ١ ص ٥٩٤.
(٤) طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ص ٢٦٩.
(٥) البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢٦٤.

العباسية، بل سبقه إلى التفكير في ذلك أحمد بن طولون الذي أراد في سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م أن يكسب حكمه الصفة الشرعية باجتذاب الخليفة المعتمد إلى مصر هرباً من أخيه الموفق، الذي كانت له السلطة العليا في الجيش والإدارة والذي اغتصب كل السلطات حتى لم يبق للخليفة شيء، ولكن الخليفة المعتمد لم يفلح في الهرب إلى مصر، إذ قبض عليه عيون أخيه الموفق وأعادوه إلى عاصمته شبه سجين، كما فكر محمد بن طغج الإخشيد مؤسس الدولة الإخشيدية حين ذهب إلى الشام سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م، لإنجاد الخليفة المنفي من جور الحمدانيين بالموصل واستبداد الأتراك الذين تنازعوا على الاستئثار بالسلطة في بغداد، فلقيه بالرقة في شمال نهر الفرات، وطلب منه أن يصحبه إلى مصر، ولكن الخليفة المتقي رفض هذا العرض، كما أنّ الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق فكرا أيضاً في إحياء الخلافة العباسية، فما كاد يعلم من الأمير عيسى بن مهنا أنّ أميراً عباسياً قدم إلى دمشق حتى أرسل يستدعيه إليه، غير أنه فوجئ بقدوم التتار، فعاد الأمير ثانية إلى عيسى بن مهنا، وعندما قدم الملك المظفر قطز إلى دمشق على إثر انتصاره على التتار في موقعة عين جالوت أخبره الأمير عيسى بن مهنا بقدوم ذلك الأمير العباسية فقال له قطز: «إذا رجعنا إلى مصر أنفذه إلينا لنعيده إن شاء الله»، غير أنّ العمر لم يمهل قطز لينفذ مشروعه الخاص بإحياء الخلافة العباسية إلى مكانتها الأولى على أن يكون مقرها القاهرة.

وفي سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م استدعى بيبرس الأمير أبا العباس أحمد غير أنه لم يحضر عندما علم أنّ أميراً عباسياً آخر في طريقه إلى مصر وهو الأمير أبو القاسم أحمد، وكان قد فرّ من بغداد من وجه التتار ووصل إلى دمشق، فكتب إلى الظاهر بيبرس الأميران علاء الدين طيبرس نائب دمشق وعلاء الدين أيدكين البندقداري، كتاباً يذكر أنّ فيه رجلاً وصل دمشق يدعى أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر العباسي، ومعه جماعة من عرب خفاجة فكتب إليهما بيبرس يوصيهما به خيراً ويرسلا معه حجاباً إلى مصر.

ووصل أبو القاسم أحمد إلى القاهرة في الثامن من رجب سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، فأعد بيبرس العدة لاستقباله، وخرج للقائه ومعه الوزير بهاء الدين بن حنا وقاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وجميع الأمراء والجند وأعيان القاهرة ومصر، والعلماء والمؤذنون والشهود واليهود يحملون التوراة والنصارى يحملون الإنجيل، وساروا جميعاً إلى المطرية لمقابلته وحين وقع نظر الظاهر بيبرس عليه ترجل وعانقه، ثم ركب الخليفة وهو يلبس شعار بني العباس ومعه بيبرس يتبعهما الجيش حتى وصل إلى قلعة الجبل.

وفي يوم الاثنين الثالث عشر من رجب ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م[1]، عقد بيبرس مجلساً في قاعة الأعمدة بالقلعة، ودعا إليه القضاة والعلماء والأمراء، وشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وسائر أرباب الدولة والعرب الذين قدموا إلى مصر مع أبي القاسم أحمد وذلك لإثبات نسبة وتقرير بيعته، ولما انتظم عقد المجلس جلس بيبرس بين يدي الإمام أبي القاسم أحمد واستدعى العربان الذين قدموا معه من بغداد، فأقروا جميعاً بين يدي قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز بأنّ الإمام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله بن الخليفة الناصر لدين الله المتصل النسب بالعباس بن عبد المطلب، وأقرّ ذلك بعض القضاة والفقهاء، فقبل قاضي القضاة شهادتهم، وحكم صحة نسبه وبايعه بالخلافة ثم قام بعد ذلك الملك الظاهر وبايعه، وكذلك بايعه القضاة ولقبوه بالمستنصر بالله، ثم أرسل الظاهر بيبرس لأخذ البيعة له من الناس على اختلاف طبقاتهم، وتم ذلك ونقشت السكة في مصر باسميهما، كما أمر بالدعاء للخليفة قبل الدعاء له في خطبة الجمعة، ولم يكتف بذلك بل دعا الخليفة ليخطب ويصلي بالناس صلاة الجمعة بجامع القلعة، فاجتمع القضاة والعلماء وسائر الأمراء بالجامع وخطب الخليفة خطبة أثنى فيها على فضل الملك الظاهر الذي رد الخلافة إلى بني العباس.

(١) سمط النجوم العوالي: ج ٣ ص ٥٣٠-٥٣١؛ عقد الجمان في ت اريخ أهل الزمان: ج ١ ص ٢٩٦-٢٩٨.

وفي الرابع من شعبان سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، ركب الخليفة والظاهر بيبرس والوزير والقضاة والأمراء وكبار رجال الدولة إلى خيمة أقيمت بالمطربة خارج القاهرة، وهناك ألبس الخليفة الملك الظاهر بيبرس خلعة السلطنة وهي عمامة سوداء مذهبة مزركشة وجبة حرير سوداء ودراعة بنفسجية اللون وطوق ذهب، وقيد من ذهب، وضع في رجليه، وسيف، ولواءان منشوران على رأسه، وعلى كنبوش (أي بردعة) أسود، وعلي أثر ذلك عقد اجتماع تلا فيه فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء تفويض الخليفة العباسي للملك الظاهر بيبرس وذلك لتقوية عرشه على أعدائه من أمراء المماليك، وإثباتاً لأحقية المماليك في تولية شئون مصر، ولما فرغ فخر الدين بن لقمان من قراءة هذا التفويض، سار الظاهر بيبرس وعليه الخلعة يتقدم موكب السلطنة عائداً إلى القاهرة حتى وصل إلى باب النصر ثم سار في طريق مفروش بالبسط يمتد من باب النصر إلى القلعة.

عزم الظاهر بيبرس بعد ذلك على إعادة الخليفة إلى بغداد فرتب له جيشاً من عشرة آلاف فارس وجهّزه بالمال والسلاح لمعاونته في إعادته الخلافة العباسية وإقامة نفسه خليفة في بغداد، وخرج بيبرس بصحبة الخليفة حتى وصلوا إلى دمشق، غير أنّ أحد أمراء الموصل أسر إلى الظاهر بيبرس أن يعدل عن فكرة تأسيس خلافة قوية في بغداد لأنّ الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر، فخاف بيبرس عاقبة هذا الأمر، ولم يجهز الخليفة إلا بثلاثمائة فارس سار على رأسهم إلى بلدة الرحبة الواقعة على نهر الفرات، حيث انضم إليه أربعمائة فارس من عرب العراق الذي لجأ إليهم عقب هربه من بغداد بعد مقتل الخليفة المستعصم، ثم رحل من الرحبة إلى مشهد علي ومنها إلى عانة، وهناك تقابل بالأمير أبي العباس أحمد وكان معه سبعمائة فارس من التركمان تمكن الخليفة من استمالتهم إليه واضطر أخيراً هذا الأمير إلى الانضمام إلى الخليفة بعد أن أمنّه، ثم رحل إلى الحديثة ففتحها دون مقاومة، وقصد بعد ذلك إلى هيت فأغلق أهلها الباب دونه، فظل محاصراً لها حتى تمكن من فتحها ونهب أموال من بها من اليهود والنصاري، فلما علم التتار بذلك أدركوا أنّ الخليفة ما جاء إلا للاستيلاء على كرسي الخلافة فخرجوا لقتاله،

ووقعت بين الفرقتين معركة دموية انتهت بانتصار التتار وهزيمة الخليفة وجيشه واستشهاده، ولم ينجو سوى الأمير أبي العباس أحمد ونحو خمسين فارساً.

حزن بيبرس لما علم بمقتل الخليفة المستنصر بالله لأنه لم يستفد من إرساله لاسترداد بغداد سوى ضياع الأموال التي أنفقها في سبيل إعداد هذه الحملة والتي قدرها المؤرخون بنحو مليون دينار، كما أنّ بيبرس بمقتل هذا الخليفة قد فقد الأمل في استمرار قيام خلافة عباسية في مصر، تجعل سلطانه وسلطان خلفائه شرعياً، ولكن سرعان ما تبددت همومه وسنحت له الفرصة بإحياء الخلافة العباسية في مصر في شخص أبي العباس أحمد، وكان قد نجا في موقعة هيت التي قتل فيها الخليفة المستنصر بالله وقد إلى عيسى بن مهنا فكاتب الأمير عيسى الظاهر بيبرس يخبره بقدوم الأمير أبي العباس أحمد، فأمره بيبرس بإرساله إلى القاهرة.

وفي يوم الخميس الثاني من المحرم سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦١م، أحضر الظاهر بيبرس الأمير أبي العباس أحمد واحتفل بمبايعته بالإيوان بقلعة الجبل بحضور القضاة والأمراء وكبار رجال الدولة، ثم قرئ نسبه بعدما ثبت صحته لقاضي تاج الدين بن بنت الأعز الذي بايعه على أثر ذلك، ثم بايعه الظاهر بيبرس على العمل بكتاب الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد أعداء الله وأخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها والوفاء بالعهود وإقامة الحدود وما يجب على الأئمة فعله في أمور الدين.

فلما تمت البيعة أقبل الخليفة على بيبرس وقلده أمور البلاد والعباد، وبعد ذلك بايعه الوزير، والأعيان، ومختلف طبقات الشعب، ولقب بالحاكم بأمر الله، ثم أمر بيبرس أن يخطب باسم الخليفة واسمه على منابر قبل اسمه، وفي يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة ٦٦١هـ/ السابع عشر من نوفمبر سنة ١٢٦٢م خطب الخليفة بالناس في مسجد القلعة وتعرض فيها إلى ما حدث من زوال الخلافة العباسية وفضل بيبرس في إقامتها بعد زوالها.

وهكذا أعيدت الخلافة العباسية ثانية إلى مصر، ولم يكن هناك تفكير هذه المرة الثانية في الاستيلاء على بغداد، كما أنّ الخلفاء العباسيين بمصر أصبحت سلطتهم قاصرة على الأمور الدينية.

والخلافة العباسية لم تستفد شيئاً من هذا الإحياء، وحتى مظهر التبعية القديم وهو ضرب اسم الخليفة على السكة مع اسم السلطان، والذي تمتع به الخليفة السابق المستنصر حرم منه الخليفة الجديد الحاكم، وإنما الذي استفاد منه إحياء الخلافة العباسية هم سلاطين المماليك وعاصمتهم القاهرة، فقد أصبح سلاطين المماليك منذ ذلك الحين إلى الفتح العثماني لمصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ولهم المقام الأسمى على كل ملوك وحكام العالم الإسلامي باعتبار أنهم حماة الخلافة العباسية والمتمتعون ببيعتها، وكذلك أصبحت القاهرة مكانة سياسية ممتازة، تفوق كل عواصم العالم الإسلامي، لأنها مقر للخلافة الفاطمية، قبل ذلك، ولكن كانت هناك خلافتان أخريان تعاصرانها وتنافسانها وتناوئانها وتطعنان في نسبها وشرعيتها، وهما الخلافة العباسية في بغداد والأموية في قرطبة.

أما في العصر المملوكي فلم يكن هناك في العالم الإسلامي سوى خلافة واحدة هي خلافة القاهرة، وحتى الخلافة الأموية في الأندلس كانت قد زالت ولم يكن يدين لها بالولاء، حتى في عنفوان قوتها إلا الأندلس وحدها.

جهاد السلطان الناصر قلاوون ضد الصليبيين:

لم يكد السلطان قلاوون يعتلي عرش مصر، حتى تمرد عليه نائب الشام، الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، فأعلن نفسه ملكاً باسم الملك الكامل، واستولى على عدة حصون من حصون الشام، منها قلعة صهيون، ثم اتصل بأعداء المسلمين من مغول وصليبيين[1] محاولًا الاستعانة بهم ضد قلاوون، مما جعل أهل الشام ينفرون منه، وينفضون من حوله، ويتخلون عن نصرته، واستغل المغول هذه

(١) المختصر: حوادث سنة ٦٧٩.

الفرصة، فاحتلوا بعض حصون الشام ٧٦٩هـ/ ١٢٨٠م، واستولوا بقيادة أبغا على مدينة حلب، التي أحرقوا مساجدها ومدارسها وقتلوا معظم أهلها[١]، ولم يُضع الصليبيون هذه الفرصة، فقاموا بمحاولة لاسترداد حصن الأكراد، ولكنهم فشلوا. وعندما علم قلاوون بهذا التحالف وهذه الجرائم خرج من مصر متوجهاً إلى الشام للقضاء على هذا الخطر، ولكنه لم يكد يغادر أرض مصر، حتى تعرض لمؤامرة داخلية جاءت من قبل بعض المماليك الذين يدعون بالمماليك الظاهرية[٢]. حيث تآمروا عليه بالاتفاق سرا مع الصليبيين. فواجه الموقف بسرعة وقبض عليهم فأعدم بعضهم وسجن البعض الآخر وأعاد النظام إلى صفوف جيشه[٣].

فر المغول عندما علموا بوصول جيش الناصر قلاوون إلى غزة في طريقه لمحاربتهم، فأخلوا مدينة حلب والحصون التي كانوا قد احتلوها وأسرعوا عائدين نحو العراق[٤] ولم يصمد الأمير سنقر بدوره أمام جيش قلاوون وفر هارباً إلى المغول محاولا مرة أخرى حضهم على غزو مصر[٥].

عندئذ رأى السلطان قلاوون أن أخطر هؤلاء الأطراف الثلاثة المتآمرين هم المغول، عقد صلحاً مع الصليبيين من داوية واسبتاريه ومع بوهيمنند السابع أمير طرابلس، مدته عشر سنوات، وذلك عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م. وعفا عن الأمير سنقر الأشقر وعينه حاكماً على أقليم أنطاكية[٦]، واتفق مع الصليبيين في عكا بأن يكونوا على الحياد. وبهذا تفرغ لمقارعة المغول الذين عادوا التوجه نحو الشام بقيادة أبغا، يؤازرهم حليفهم ليو الثالث ملك أرمينيا الصغرى، فالتقى بهم قلاوون عام ٦٨٠هـ/

(١) النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ٢٩٩.
(٢) نسبه إلى الظاهر بيبرس.
(٣) النهج السديد: ج ٢ ص ٣٢٢. وذكر ابن إياس في وقائع الدهور أنّ هذه الحادثة من قبل المماليك الظاهرية كانت سبباً لإقدام الناصر قلاوون على إنشاء المماليك البرجية.
(٤) النجوم: ج ٧ ص ٢٩٩.
(٥) السلوك: ج ١ ص ٦٧٦.
(٦) نهاية الأرب: ج ٢٩ ص ٢٧٠.

١٢٨١م في حمص وهزمهم بعد أن هلك منهم خلقاً كثيراً[١].

وهنا قرر الناصر أن ينتقم من الصليبيين مستغلًا، نصره على المغول وغير عابئ بصلحه معهم عام ٦٨٠هـ الذي كانت مدته عشر سنوات ولما يمض عليه سوى أربع سنوات فهاجم عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م حصن المرقب[٢]، ففتح ذلك الحصن الهام الذي كان فتحه خسارة كبرى للصليبيين لأنه أهم حصونهم[٣]، ثم أتبع ذلك بالاستيلاء على اللاذقية عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م التي كانت آخر أملاك إمارة أنطاكية المتبقية بين الصليبيين. بعد ذلك جاء دور طرابلس، وكانت حصينة، وقد مات أميرها بوهيمند السابع دون وريث، فدب النزاع بث الطامعين في إمارتها، حتى استعان بعضهم بالسلطان قلاوون[٤]، فاستغل هذه الفرصة وهاجمها في جيش لجب يضم أربعين ألفا من الفرسان وأكثر من مائة ألف من الرجال، وفتحها سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٩م[٥]. ثم استولى على بيروت وجبله وبهذا لم يبق بيد الصليبيين سوَى صور[٦] وصيدا وعتليت وعكا التي كانت مركز مملكة بيت المقدس بعد سقوط القدس.

ورأى قلاوون أن يؤجل إلى حين الاستيلاء على بقية البلاد من أيدي الصليبيين، فوافق على تجديد الهدنة معهم لمدة عشر سنوات[٧] وتوجه إلى دمشق ولكن جموعاً صليبية متحمسة وصلت من إيطاليا ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م ونزلت في عكا، وأخذت في الاعتداء على المسلمين المتواجدين خارجها، مما أغضب السلطان

(١) جامع التواريخ: ج ٢ ص ٨٣.
(٢) المُرَقَّب بالفتح ثم السكون وقاف وباء بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام. آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٢٤.
(٣) السلوك: ج ١ ص ٦٢٨.
(٤) النجوم الزاهرة: ج ٧ ص ٣٢٠-٣٢١.
(٥) السلوك: ج ١ ص ٦٤٦-٦٤٧.
(٦) مدينة ساحلية حصينة على بحر الروم (البحر المتوسط) على مرتفع من الأرض، تقويم البلدان: ص ٢٤٣.
(٧) الحركة الصليبية: ج ٢ ص ١١٧٧.

قلاوون ودفعه لأن يقسم على الانتقام منهم، وأخذ في الاستعداد لهذا الغرض، ولكنه توفي فجأة وهو في الطريق لتحقيقه[١] عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م.

وقد وصف ابن العمري قلاوون بقوله: «كان رجلاً مهيباً شجاعاً، فتح الفتوحات الجليلة، مثل المرقب وطرابلس، التي لم يجسر أحد من الملوك مثل صلاح الدين وغيره على التعرض لها لحصانتها، وكسر جيش التتار في حمص، وكانوا في ثمانين ألفاً»[٢].

وقد خلف الأشرف خليل بن قلاوون أباه في السلطنة، لأن أخاه الملك الصالح علي بن قلاوون الذي أقامه أبوه ملحَا في حياته قد مات في سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م بعد أن بقي ثماني سنوات سلطاناً في حياة أبيه.

ولم يكن الأشرف خليل محبوباً من الأمراء؛ لأنه كان قاسياً وغير متمسك بحسن الخلق[٣]، حتى اتهم بدس السم لأخيه علي، وقد استلم الحكم فور وفاة أبيه، وقضى على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة الذي تآمر عليه، ثم استعد للخروج إلى الشام، ورغم محاولة الصليبيين ثنيه عن ذلك بأن أرسلوا إليه يسألونه العفو فإنه لم يقبل منهم ما اعتذروا به[٤].

توجه نحو عكا، واجتمعت إليه جيوش مصر والشام سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م فقام بمحاصرتها مدة أربعة وأربعين يوماً، ورماها بالمنجنيق، حتى فتحها في جمادى الأول من عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها حاميتها، وإمدادات قبرص لها -حيت إنّ الصليبيين كانوا يعلمون أنها آخر أمل لهم في البقاء في الشام- وقد فر بعض سكانها إلى عرض البحر المتوسط وتكدسوا في السفن

(١) السلوك: ج ١ ص ٧٥٤.
(٢) علي إبراهيم: ص ٦١.
(٣) السلوك: ج ١ ص ٧٩٢-٧٩٣.
(٤) السلوك: ج ١ ص ٧٦٢.

التي غرق بعضها لكثرة من كانوا على ظهرها[١].

وبعد ذلك قام الأشرف خليل بالاستيلاء بسهولة على بقية ما تبقى بأيدي الصليبيين مثل صور وحيفا اللتين قاومتا مقاومة كبيرة، ثم اضطرتا للتسليم فنجتا بذلك من التخريب[٢]، ثم استولى الأشرف خليل على عتليت وصيدا وانطرسوس[٣]، وبهذا تم القضاء نهائيا على الوجود الصليبي في الشام، وإن كان الصليبيون في جزيرة إرواد[٤] المقابلة للساحل الشرقي قد ظلوا يغيرون على السواحل بين الفينة والأخرى ويقطعون الطرق، مما أزعج نائب السلطنة المملوكية على الشام، وجعله يطلب معونة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فجهز أسطولاً ووجهه نحو هذه الجزيرة بعد أن ضم إليه جيش طرابلس ففتحها وملكها وقتل من أهلها خمسمائة[٥] وذلك عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م.

وهكذا بالقضاء على الصليبيين في عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وبزوال الخطر المغولي عن الشام ومصر، أصبح لدولة المماليك شأن عظيم في السياسة الدولية خصوصاً في عهد سلطانها الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة.

أدرك الصليبيون في أوربا فشل محاولاتهم المتلاحقة للعدوان على بلاد الإسلام في الشام ومصر، ورأوا زوال آخر إماراتهم بعد قرنين من تأسيسها، رغم ما بذل في سبيل إقامتها من جهود مادية ومعنوية، ومن سفك في سبيلها من دماء، كما لمسوا فتور الحماس الصليبي، بعد فشل حملتي لويس التاسع السابعة والثامنة على مصر وتونس، لذلك اضطروا إلى تقبيل اليد التي حاولوا قطعها فلجأوا إلى الدبلوماسية والمراسلات والسفراء والهدايا، علهم يحققون عن طريقها ما فشلوا

---

(١) النجوم الزاهرة: ج ٨ ص ٦-٧.
(٢) السلوك: ج ١ ص ٧٦٥.
(٣) الحركة الصليبية: ج ٢ ص ١١٨٣-١١٨٤.
(٤) جزيرة على ساحل بلاد الشام، فتحها المسلمون سنة ٥٤هـ.
(٥) المختصر: ج ٣ ص ٤٣.

في تحقيقه بالتعصب والسيف.

انهال سفراء الدول الأوربية على بلاط الملك الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة، محملين بالهدايا والرسائل التي تلح في طلب الصداقة والموادعة، وتوثيق عرى الصداقة، في حين كان غرضها الأساسي هو استدرار عطف الناصر على النصارى في دولته، سواء من كان منهم من الأقباط في مصر أو من أهل الشام، فأرسل البابا يوحنا الثاني والعشرين في عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م رسالة إلى الناصر طالبا منه أن يعامل نصارى الشرق معاملة عادلة، مقابل معاملة مماثلة للمسلمين، فرد عليه الناصر مجيباً طلبه.

وفي نفس السنة أرسل شارل الرابع ملك فرنسا رسالة مماثلة لنفس الغرض فرد عليه الناصر أيضاً مجيباً طلبه، كما أرسل إليه إمبراطور بيزنطة سفراء محملين بالهدايا راجياً إياه معاملة النصارى الملكانيين لديه بالرعاية والعدل، فقبل الناصر طلبه، وعقد معه حلفا لصد الأتراك العثمانيين.

وبلغت العلاقات بين الناصر ويعقوب ملك أرغونة شأواً كبيراً بسبب المراسلات بينهما ما بين سنتي ٧٠٣-٧٢٨هـ/ ١٣٠٣-١٣٢٧م، التي كان هدفها إيجاد علاقة صداقة بينهما، والحصول على ميزات تجارية لأرغونة في مصر، وتسهيل الحج للأراضي المقدسة، وإطلاق سراح النصارى المسجونين في مصر، وضمان حسن معاملة الأقباط والنصارى عامة في الشرق[1].

وقد رأى الناصر محمد -الذي كان ملكاً مستنيراً محنكاً، يميل إلى المسالمة- رأى ذلك فرصة لتوثيق العلاقات بين دولته والآخرين في الشرق والغرب[2]، يحقق بها مصالح مشتركة وخاصة حماية المسلمين في أسبانيا التي كانت خاضعة لحاكم أرغونة، بالإضافة إلى المصالح التجارية والعسكرية في الوقوف أمام الخطر التركي العثماني.

(١) إبراهيم حسن: ص ١٨٥.
(٢) علي إبراهيم: ص ١٨٤-١٨٥.

ولا أدل عام أهمية دولة المماليك الإسلامية في هذا العصر من أن يصبح سلاطينها محط أنظار السفراء والرسل من مغول ويمنيين وأرمن ونوبيين، حتى وصفهم المقريزي بقوله[١]: «وفيه (٢٥ محرم ٥ ٧٢هـ) اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع منهم في الدولة التركية، وهم رسل اليمن ورسل صاحب إسطنبول! ورسل الأشكري[٢] ورسل متملك سيس، ورسل أبي سعيد (ملك التتار)، ورسل ماردين ورسا بن قرمان ورسل متملك النوبة وكلهم يبذلون الطاعة».

إلا أن هذه المكانة قد ضعفت بموت السلطان الناصر محمد فسبحان مغير الأحوال[٣].

(١) السلوك: ج ٢ ص ١٦٣-١٦٤ و ١٥٩.
(٢) هو نفسه صاحب اسطنبول إمبراطور الدولة البيزنطية.
(٣) المنهل الصافي: ج ٣ ص ٢٥٢.

الملحق (٤)

الدولة الرسولية[1] ٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م

يرفع النسابون نسب الرسوليين إلى جبلة بن الأيهم الغساني، والغساسنة فرع من قبيلة الأزد اليمنية التي نزحت إلى شمال الجزيرة بعد تهدم السد وسادوا في بلاد الشام، وفي أزمنة لاحقة سكن أحفاد ابن الأيهم بلاد التركمان وتكلموا لغتهم ومن هنا جاء الوهم عند بعض النسابة فجعلوهم تركماناً، أما الجد القريب للرسوليين فهو محمد بن هارون الذي استوطن العراق ودخل في خدمة أحد خلفاء بني العباس الذي وثق بحكمته وفصاحته، فجعله رسوله إلى الشام ومصر حتى غلب عليه لقب رسول، فصار علماً عليه وعلى أسرته من بعده، ثم انتقل رسولٌ هذا من العراق إلى الشام ومن هناك إلى مصر، فلما استوثق الحكم للأيوبيين في مصر أدخلوا أبناء رسول في خدمتهم ومكَّنوهم من اليمن، فكان في اليمن من بني رسول خمسة، صحبهم توران شاه، أحدهم المؤسس سالف الذكر نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي جاهد مع الأيوبيين في اليمن لتوطيد دولتهم حتى آلت إليه الأمور

(١) أنظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية؛ لعلي بن الحسين الخزرجي، والدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية؛ محمد بن يحيى الفيفي.

على النحو الذي مر بنا.

وتُعد دولة الرسوليين التي اتخذت من تعز عاصمة لها من أطول الدول عمراً في تاريخ اليمن الوسيط إذ استمرت قرنان وثلث القرن، وحكمها خمسة عشر ملكاً أولهم نور الدين عمر الرسولي وآخرهم المسعود وهو أبو القاسم صلاح الدين بن الأشرف الرسولي، ويجعل بعض المؤرخين من المؤيد وهو منافس المسعود في الحكم آخر الملوك، لكن كليهما انتهى أمره في العام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م على يد الطاهرين.

أعلن الرسوليون استقلالهم عن الدولة الأيوبية في مصر في العام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م وخطبوا للخليفة العباسي المعاصر لهم بعد أن طلبوا منه أمر نيابة مباشر عنهم في اليمن دون وساطة الأيوبيين، وكانت الخلافة العباسية في نزعها الأخير ولا تملك إلا الموافقة على طلبات من لا يزال يرى في غطائها الروحي أهمية لتوطيد ملكه وهو بالضبط ما احتاج إليه الرسوليون الذين ظلوا على ولاء للخلافة العباسية ويخطبون في مساجدهم لآخر خلفائها المستعصم دهراً طويلاً بعد وفاة دولتهم في بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على يد المغول، إذ يذكر الخزرجي مؤرخ بني رسول المعاصر والمتوفى عام ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م أنَّ المستعصم «هو الذي يدعى له على سائر المنابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة» أي بعد مائة وستة وخمسين عاماً من انتهاء الخلافة العباسية، وربما استمر بعد ذلك وإلى بدايات تصدع الدولة.

تمكن الرسوليون وبقيادة مؤسس ملكهم الملك المنصور من توحيد اليمن كله تحت حكمهم، من حضرموت جنوباً وحتى مكة شمالاً، وبسطوا سيادتهم الفعلية على كل جهات اليمن، ودخلوا مناطق وحصون لم يستطعها قبلهم الأيوبيون، ودانت لهم القبائل والأسر الحاكمة كالأئمة الزيديين في صعدة وجهاتها وآل حاتم في صنعاء وما حولها، ومع ذلك فقد جابه الرسوليون توثبات قوى مختلفة وأولها تمرد واليهم في صنعاء الأمير أسد الدين لأكثر من مرة رغم العفو المتكرر عنه،

ثم جابهوا قوى زيدية بزعامة الإمام المهدي أحمد بن الحسين من جهة ثم بزعامة أبناء وأحفاد الإمام عبد الله بن حمزة وهم من تطلق عليهم المصادر إجمالاً لقب الحمزات، وقد دخل الأئمة الحمزات في حرب تنافسية على السيادة والنفوذ مع الإمام المهدي أحمد بن الحسين وأذيقوا شر الهزائم وخسروا كثيراً من مواقعهم قبل أن يتدخل المظفر الرسولي إلى جانب الحمزات ويمكنهم من النصر فاعترف الأئمة بسيادة الرسوليين على البلاد.

كما جابه الرسوليون تمرداً من سلطان حضرموت سالم بن إدريس فجهزوا له بعد المراسلات والأعذار حملات برية وبحرية انتهت بهزيمته ومقتله.

وبعد المظفر يأتي الملك الأشرف الذي يدخل في حرب قصيرة مع أخيه المؤيد غير المعترف بحكم أخيه، لكن الموت يعاجل الأشرف الرسولي بعد ما يزيد قليلاً عن العام ليأتي أخوه المؤيد فيحكم اليمن لخمس وعشرين سنة يتمكن خلالها من ترسيخ هيبة الدولة عبر قضائه على التمردات في المخلاف السليماني بتهامة، ومقاومته لوثبات الأئمة الزيديين في الجبال.

ويخلف المؤيد ولده المجاهد ٧٢١-٧٦٤هـ/ ١٣٢١-١٣٦٢م الذي يبقى في الحكم ثلاثاً وأربعين سنة يجابه فيها أعنف وأعتى التمردات ضد ملكه من مختلف الأطراف، من داخل بيته وأعوانه، من جيشه ومن الطامحين في الاستقلال، تضطره للاستعانة بقوة مملوكية من مصر، لتنقلب هذه القوة عبئاً جديداً عليه فيعيده إلى مصر، بل إنّه يتعرض للأسر في مكة في واحدة من حجاته، ويُنقل إلى مصر ليمكث هناك عاماً كاملاً، بعده يكرم السلطان المملوكي وفادته ويردَّه إلى بلاده مكرَّماً ليواصل الحكم والتصدي للصعاب، وقد أظهر المجاهد صموداً وعناداً وبطولة وحنكة في مجابهة المستجدات، تجعله بحق واحداً من عمالقة الرسوليين، وإن كانت سني حكمه المليئة بالاضطرابات قد أحدثت شرخاً في شباب دولتهم وهو الشباب الذي دام قرناً من الزمان احتفظ الرسوليون خلاله باليمن موحداً ومهاباً.

أما السنوات الأخيرة من حكم المجاهد فقد شهدت تصدعاً في وحدة اليمن السياسية، إذ لم يمت الملك المجاهد إلا وقد تمكن جيل جديد من الأئمة الزيديين في القسم الأعلى من اليمن أمثال المتوكل مطهر بن يحيى وابنه محمد بن المطهر ثم المهدي علي بن محمد والناصر صلاح الدين وابنه المنصور علي، من بناء قوة جديدة لهم مكنتهم في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري من السيطرة على القسم الأعلى من اليمن حتى ذمار وسلخه من جسم الدولة الرسولية لتتقوض من جديد أركان الوحدة اليمنية للمرة الثانية بعد الصليحين.

وخلف المجاهد ابنه الأفضل، وجاء بعده الملك الأشرف الثاني، ثم الملك الناصر ليعقبه الأشرف الثالث، ثم الأشرف الرابع، ثم يأتي الملكان المتنافسان المظفر والمفضل، ثم يليهم الملك الناصر الثاني ليخلع وليتم تنصيب الملك المسعود آخر ملوك بني رسول ليذهب هو ومنافسه المؤيد.

وفي أزمنة هؤلاء الحكام تميزت فترات حكمهم في المحافظة على مناطق نفوذ الدولة الرسولية، وفي القضاء على التمردات المختلفة هنا وهناك في تهامة ومخلاف جعفر اب، ثم بالقضاء على التمردات داخل البيت الحاكم وهي التي قام بها الإخوان والأعمام ضد بعضهم مستعينين بقوى المماليك والتي حاول الملك الأشرف الثالث التنكيل بهم لإخراجهم من حسابات القوة محرزا بعض النجاح.

كما قامت حرب بين الملك الناصر الرسولي وإمام الزيدية علي بن صلاح الدين عندما حاول الأخير غزو بلاد رداع التابعة للرسوليين والمحكومة من قبل ولاتهم آل معوضة جدود المؤسسين لدولة بني طاهر فيما بعد، وهم الذين وفدوا على آل رسول أول الأمر عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م ثم عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، ليأخذوا بعد ذلك في تقوية أنفسهم في جهاتهم، في وقت أخذت فيه الدولة الرسولية تزداد ضعفاً جرّاء المنازعات الأسرية على السلطة وهي التي مزقت دولة الرسوليين بين المتنافسين على السلطة.

وكانت آخر المنازعات الحربية هي بين الملك المسعود، الذي استطاع استعادة التهائم وعدن، ليزحف من هناك إلى تعز وطرد الملك المظفر الثاني منها، وقد استغل مماليك تهامة الحرب بين الملكين ليشددوا قبضتهم على تهامة ولينصبوا الأمير حسين بن الملك الظاهر ملكاً ويلقبوه بالمؤيد في العام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، لنجد أنفسنا أمام ثلاثة ملوك رسوليين في وقت واحد يتنازعون الملك والسيادة.

وقد شجع هذا التنازع الصريح بين آل رسول ولاتهم وحلفاءهم من بني طاهر على الطمع في وراثة أسيادهم من بني رسول، وذلك بدخولهم عدن عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م وأسر الملك المؤيد آخر حكام بني رسول ويعتبر البعض أن المسعود هو آخر ملوك بني رسول على أساس أن المؤيد منافس له فقط ومن صنيعة المماليك، لكن المماليك كانوا قد استبدوا بكثير من الأمور وهم الذين خلعوا الملك الناصر الثاني قبل ذلك ونصبوا المسعود ملكاً، وعليه يمكن اعتبار المؤيد آخر ملوك بني رسول.

وقد تميز حكم بني رسول الطويل الأمد -بغض النظر عن التاريخ السياسي الحربي- بكثير من الإنجازات المهمة في ميدان العلم والتجارة والزراعة والطب، فقد بنوا المدارس الكثيرة وأجزلوا العطاء للعلماء، وكان كثير من ملوك بني رسول علماء وشعراء وأصحاب رأي ومؤلفو كتب في أفرع المعرفة المختلفة. ولا تزال مدينة تعز إلى يومنا هذا تتزين بمنجزاتهم العمرانية كجامع المظفر وجامع الأشرفية وحصن تعز المسمى الآن قاهرة تعز، بالإضافة إلى أثار المدارس الفقهية.

وفي زمانهم برز العلماء والشعراء في كل فن، وهو سر الإعجاب المتزايد بالدولة الرسولية، التي أخذت في الآونة الأخيرة تلقى من المؤرخين والدارسين عموماً اهتماماً، ولعل أبرز ما يشير إلى سطوع نجم الدولة الرسولية وتبوئها مكاناً لائقاً بين أمم عصرها تلك الرسالة التي وجهها مسلمو الصين إلى الملك المظفر يشتكون من تعسف ملك الصين ومنعهم من ختان أولادهم كما يطلب منهم

الدين الإسلامي، فمجرد توجيه هذه الرسالة إلى الملك المظفر تفيد أنَّ مسلمي العالم كانوا يرون في الملك الرسولي خليفة للمسلمين يتوجهون إليه بالشكوى، وقد تصرف الملك المظفر بما يتفق ومكانته في نفوس مسلمي الصين، إذ بعث إلى ملك الصين برسالة يطلب فيها منه السماح لمسلمي الصين بممارسة واجب الختان لأبنائهم وبعث إليه بهدية تليق بمقامه، فرفع ملك الصين الحضر على ختان المسلمين لأبنائهم، وهو ما يشير إلى تقدير ملك الصين لمكانة الدولة الرسولية خاصة وأنَّ ملوك الصين المعاصرين للدولة الرسولية قد عدوا أنفسهم سادة على العالمين وأنَّ غيرهم من ملك أو سواه إنما هو عبد لهم كما تبين رواية بهذا المعنى تصف مقابلة وفد بلاد الصين للملك الناصر الرسولي.

الملحق (٥)

«رسالة مفرحة الأنام في تأسيس (تجديد) بيت الله الحرام»

تأليف: زين العابدين بن نور الدين الكاشاني المكي.

ويبدو أنّ ناسخ هذه الرسالة لم يكن يُجيد العربية، فقد وقع في هفوات كثيرة، ولأهمية رسالته التي كتبها نوردها هاهنا:

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام بين جبال خَشنة، وأمر عباده بالحجّ به(؟) ليحيى مَن حيَّ من المطيعين بمناسكهم الحسنة عن بيّنة، ويَهلَكَ من هَلَكَ من المتمردين بعقيدتهم الفاسدة عن بيّنة، وصلّى الله على سيّدنا محمّد، المبعوث على حين فترة من الرُّسل من الأزمنة، وآله المعصومين الذين مَن تبعهم جعله الله من أصحاب الميمنة.

أمّا بعد: فلمّا كان إدخال السرور على المؤمنين من السعادة العظمى، كما رُويت أحاديث كثيرة في أصول الكليني في باب (إدخال السرور على المؤمن) وأنا أروي طرفاً منها:

حدثني سلطان المحققين والمدققين الشيخ محمد أمين الاسترابادي رحمه الله

بأسانيده الصحيحة وطرقه المضبوطة في مضانها عن ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَرَّ مؤمناً فقد سَرّني، ومَنْ سرّني فقد سرّ الله»[1].

وعن عبيدالله بن الوليد الوصّافي قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ فيما ناجى الله به عبده موسى عليه السلام قال: إنّ لي عباداً أبيحهم جنّتي وأحكّمهم فيها.

قال: ياربّ ومَن هؤلاء الذين تبيحهم جنّتك وتُحكّمهم فيها؟

قال: مَن أدخل على مؤمن سروراً.

ثمّ قال: إنّ مؤمناً كان في مملكته جبّارٌ، فولع به فهرب منه الى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك، فأظلّه وأرفقه وأضافه. فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه: وعزّتي وجلالي لو كان في جنتي مسكنٌ لأسكنتك فيها، ولكنّها مُحرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يانار هيديه ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار.

قلتُ: مِنَ الجنّة؟

قال: من حيث ما شاء الله»[2].

وعن محمد بن يحيى، عن محمد بن جمهور، قال: كان النجاشي، وهو رجلٌ من الدهاقين، عاملًا على الأهواز وفارس، فقال بعض أهل عمله لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ في ديوان النجاشي عليّ خراجاً، وهو مؤمن يدين بطاعتك، فإن رأيت أن تكتب لي اليه كتاباً.

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٨٨.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩.

فقال: فكتب اليه أبو عبدالله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، سرّ أخاك يسرك الله».

قال: فلمّا أورد الكتاب عليه وهو في مجلسه، فلمّا خلى ناوله الكتاب فقال له: هذا كتاب أبي عبدالله عليه السلام! فقبّله ووضعه على عينيه وقال له: ما حاجتك؟

قال: خراجٌ عليّ في ديوانك.

فقال له: وكم هو؟

قال: عشرة آلاف درهم.

فدعا كاتبه وأمره بأدائها عنه، ثمّ أخرجه منها وأمر أن يثبتها له لقابل.

ثمّ قال له: سررتك؟

قال: نعم جُعلتُ فداك.

ثمّ أمر له بمركب وجارية وغُلام، وأمر له بتخت ثياب، في كلّ ذلك يقول له: هل سررتك؟

فيقول: نعم جُعلت فداك.

فكلما قال: نعم زاده حتى فرغ، ثم قال له: أحمل فراش هذا البيت الذي كنت جالساً فيه حين دفعتَ اليّ كتاب مولاي الذي ناولتني فيه، وارفع إليَّ حوائجك.

قال: ففعل، وخرج الرّجلُ الى أبي عبدالله عليه السلام، فحدّثه الرجل بالحديث على جهته، فجعل يسرُّ بما فعل.

فقال له الرجل: يا بن رسول الله كأنّه قد سرّك ما فعل بي؟

فقال: إي والله، لقد سرّ اللهَ ورسولَه»[١].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١.

وإظهار معجزة المعصومين عليهم السلام من المقصد الأقصى، فأردتُ أن أُدخل السرور على المؤمنين، وإظهار معجزاتهم التي ظهرت منهم صلوات الله عليهم سنة ألف وأربعين في تأسيس الكعبة المشرفة -زيدت مهابتها- فكتبتُ هذه الرسالة مشتملة على ثلاثة فصول وخاتمة وسمّيتها بـ« مفرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام » وأرجو من كرم الله أن يجعلها سبباً لمرضاته عني وعن جميع المؤمنين، بجاه محمد وآله الطيبين.

الفصل الأول: في سبب سقوط الكعبة المعظمة -زادها الله مرتبةً وتعظيماً- وكيفية بنائها.

الفصل الثاني: في علة بناء الكعبة في الأرض، وبدء الطواف بها، وذكر صفة الكعبة المشرفة، وطولها وعرضها وارتفاعها من خارجها وداخلها وسقفها وأساطينها، وغلظ جدارها، وبابها وسلميها الداخل والخارج، والحِجر، والميزاب، والحَجَر الأسود، والحطيم، والمستجار، وكسوتها الخارجة والداخلة، وشاذروانها، ومطافها، والمقام والمنبر.

الفصل الثالث: في ذكر صفة المسجد الحرام، وأبوابه وأسمائها، وأساطينه، وما فيه من القباب في صحن المسجد، وفي رواقه، وصفة زمزم المكرّم.

الخاتمة: في صفة الأمكنة المشرّفة التي بمكة المعظمة -سوى ماذكر- مثل المولد الشريف لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله، ومولد سيّدة نساء العالمين صلوات الله عليها، وعلامة مرفقه الشريف في الحَجَر المبنيّ، وذكر الجَّبانتين المُعلّى والشبيكة، وما في المُعلّى من قبور أهل الصلاح، والكلام على نثرها وسجعها يوم الأربعاء سابع شوال عام ألف وأربعين.

وألتمس من إخوان الصَّفا وخلاّن الوفاء إذا نظروا فيها ورأوا خللاً يُصلحونه، ويذكرونني بالخير، فإنّ الإنسان محلُّ الخطإ والنسيان، إلا من عصمه الله في كلّ أُمة، وجَلّ من لا فيه عيبٌ وعُذر، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفصل الأول: (في سبب سقوط الكعبة المعظمة -زيدت مهابتها- وكيفيّة بنائها):

اعلم يا أخي وفقك الله وإياي في الدارين، أنّ نهار الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان المعظّم سنة تسع وثلاثين بعد الألف أمطرت السماء بمكة المعظمة -زادها الله شرفاً وتعظيماً- ودخل سيلٌ عظيمٌ في المسجد الحرام، وامتلأ المسجد الى أن دخل الماءُ في جوف الكعبة طول إنسان مربوع القامة وشبر وإصبعين مضمومتين، وأنا الذي قستُ الماءَ بطولي، حيث دخلتُ الكعبة بعد سقوطها. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[1] وخرب بيوتاً كثيرةً، وأهلك من الناس كبيرهم وصغيرهم أربعمائة واثنتين وأربعين نسمة تخميناً -والله أعلم- من جملتهم معلّم أطفال مع ثلاثين طفلاً في نفس المسجد، لأنه كانَ في صُفة مرتفعة في أصل جدار من جدرانه، ولمّا دخل السيل من أبواب المسجد ماقدر على الخروج مع أطفاله، ورجا نقصان السيل، وآخر الأمر ما قدر أحدٌ من خارج المسجد يصل اليهم حتى غرقوا. نعوذ بالله من شرور أنفسنا.

ثمّ فتحوا دربَ خروجِ الماء من باب إبراهيم، وخرج السيل وبقي الماء حوالى البيت الشريف الى... الآدمي. ودخلتُ يوم الخميس نهار عشرين من الشهر المذكور، ورأيت المطاف خالياً من الطائفين بسبب ماء السيل الذي حواليه، فدخلتُ في الماء وطفتُ بالبيت الشريف سبعة أشواط، فلمّا دعوتُ في الحطيم وأردتُ أن أصلي ما لَقيتُ مكاناً أُصلّي فيه؛ لأنّ كل واحد من مقام إبراهيم وحِجر إسماعيل عليه السلام والمطاف كان ممتلئاً من ماء السيل، فطلعتُ المنبر فصليّتُ ركعتي الطواف عليه، ولمّا نزلتُ من المنبر سقطت الكعبة الشريفة تمام العرض الشامي، وطول وجه الكعبة الى الباب تقريباً، وطول ظهرها الى قريب من النصف تخميناً، وكنتُ آخر طائف بالبيت الشريف،...فتعجبتُ وقلتُ في نفسي سبحان الله هذه إشارة عجيبة من المعصومين عليهم السلام لأنّ تجديد الأساس كان من سيّد العابدين

(١) هود: ٧.

والزاهدين علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فكان انتهاء قيام جداره بطواف عبد من عبيده زين العابدين بن نور الدين الحسيني والحمد لله.

وكنت قبل هذه القضيّة قرأتُ في كتاب الحجِّ من كتاب الكليني في باب (ورود تُبّع...) حديث تأسيس علي بن الحسين عليه السلام الكعبة المشرفة، وخطر ببالي أنّ الشيعة رضي الله عنهم كانت تفتخر بأنّ مؤسس الكعبة الشريفة بعد إبراهيم عليه السلام كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان علي بن الحسين عليه السلام فإذا جاء رجلٌ من عند سلطان الروم وبنى الكعبة الشريفة ينسَّدُ بابُ هذا الافتخار عن الشيعة...

واجتهدتُ اجتهاداً عظيماً، وكنت أقول عسى تبني البيتَ بدراهم المؤمنين بأيّةِ حيلة تكون، وأُحاول مع شريف مكّة المعظمة، حتى أرضيه بأن نبنيها ظاهراً باسم سلطان الروم (يقصد به الخليفة العثماني فقد كانت العرب تسمّي بلاد الأناضول وتركيا الحالية باسم الروم)، وباطناً بمال أخي في الله وسلطان العارفين صدر الدين علي، الملقب بمسيح الزمان -أطال الله بقاه، وبلّغه غاية ما يتمناه- لحسن ظني به، ويكون لي طريقٌ إلى أساسها، وكلّما أرضيه يجيء الناس يخوّفونه من سلطان الروم، حتى وقف على البناء، وأُرسل الخبرُ الى مصر وقسطنطينية، فلمّا سمعوا أرسلو رجلين وكيلاً من جهة السلطان ومباشراً، وشرعوا يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الثاني الآخرة سنة ألف وأربعين في هدم بقية جدران البيت الشريف، فحثني داعي الشوق وغلبة الوجد، ودخلت معهم في الشُّغل ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾[1]، وسألت الله أن يمنحني حُسن الأدب في ذلك المحل العظيم، ويُلْهِمني ما يستحقه مِنَ الإجلال والتعظيم، وأن يرزقني منه القبول والرضا والتجاوز عمّا سَلَف ومضى، وكنتُ في بعض الأوقات أجلسُ في وسط الكعبة الشريفة وأتلو القرآن، فلمّا رآني الوكيل والمباشر والبنّاؤون والفَعَلة اعتقدوا فيَّ اعتقاداً عظيماً ببركة المعصومين عليهم السلام وكلّ كلام أقول لهم من جهة البيت الشريف يقولون: سمعاً وطاعة، حتى هدموا بقية جدران البيت إلا الحَجَر الفوقاني الذي

(١) البقرة: ٢٢٠.

على الحجر الأسود، والحَجَر الذي تحته، فرأيت الفعلة يدوسون بأرجلهم على الحَجَر الفوقاني الذي على الحجر الأسود، فقلتُ للمباشر: الوقوف على الحجر الفوقاني وقوفٌ على الحجر الشريف بواسطة، فينبغي أن يُمنع الركنُ من الدوس بأن تجعله خارجاً عن محطّ أقدام المشتغلة، فقال: بسم الله، فطلبتُ ألواح الخشب وجعلنا الزاوية خارجاً عن محل تردد الفَعَلَة، فانسترت الزاوية بخمسة ألواح من الخشب عدد آل العباء عليهم السلام فخطر ببالي أنّ هذه إشارة من آل العباء عليهم السلام بأنّهم يحفظون الحَجَر الأسود... وذكرتُ لبعض الصالحين هذه الإشارة، وآخر الأمر صار كما خطر ببالي والحمد لله.

فلما فرغوا من هدم الجُدران لقينا أساس الجدران الثلاثة في غاية الاستحكام، ودخلوا في الأساس من جهة العرض الشامي الذي فيه الميزاب قريب ذراع وربع، وأخرجوا الصخور العظيمة، والذي احتاج إلى التغيير غيّروه، وليلة الأحد الثاني والعشرين من الشهر المذكور وقع القول بأنّ غداً في الصبح يشرعون في التأسيس، وكنتُ أنا أُفكر تلك الليلة وأقول في نفسي: ياربّ وقت الصبح إذا حضر أشراف مكة والقاضي وشيخ الحرم ووكيل السلطان والمباشر وعلماء مكة... كيف يكون حالي حين التأسيس؟ وأتضرع إلى من له الحول والقوة، وأناجي بهذه الأبيات:

بالبيت، بالحرم الشريف، بزمزم	بالحِجر والميزاب والأستار
بمقام إبراهيم مع ما حوله	بالركن إلاّ... سيد الأحجار
بالمروة العُظمى فضلا بالصَّفا	بفضيلة المسعى وجرى الجار
بمنى بجميع المشاعر كلّها	بالواقفين بموقف الأخيار
بمحمد بوصيّه وبنيّه	بأئمة النجباء والأبرار

أسألك أن تجعلني مؤسساً لبيتك الحرام، وقمتُ سحر تلك الليلة، واغتسلتُ غسل دخول الكعبة ودخلتُ المسجد، وصلّيت صلاة الليل وصلاة الصبح، فرأيتُ المباشر دخل الكعبة مع جماعة قليلة من البنّائين وليس معهم أحدٌ من أهل المناصب، حتى الوكيل، كأنَّ الله سبحانه وتعالى قيّدهم ﴿**في سِلْسِلَة ذَرْعُها سَبْعُونَ**

ذِراعاً﴾[١] فدخلتُ معهم، فقال المباشر: ياسيّد العابدين اقرإ الفاتحة.

فرفعت يدي وقرأت الفاتحة، بعدها دعوتُ بالدعاء المسمّى بدعاء سريع الإجابة، الذي رواه محمد بن يعقوب الكليني في أصول الكافي، في كتاب الدعاء وهو هذا:

«اللهم إنّي أسألك باسمك العظيم، الأعظم، الأجلّ، الأكرم، المخزون، المكنون، الحقّ، البرهان المبين، الذي هو نورٌ على نور، ونورٌ من نور، ونورٌ في نور، ونورٌ على نور، ونورٌ فوق كلّ نور، ونورٌ على كلّ نور، ونور يُضيء به كُلّ ظُلمة، وتكسرُ به كلّ شدة، وكلّ شيطان مريد، وكلّ جبار عنيد، ولا تقرُّ به أرضٌ، ولا تقوم به سماءٌ، ويا من يؤمن به كلّ خائف، ويُبطل به سِحرُ كلّ ساحر، وبغي كلّ باغ، وحسد كلّ حاسد، ويتصدّع لعظمته البرُّ والبحر، ويستقر به الفلك حين يتكلم به الملك فلا يكون للموج عليه سبيل، وهو اسمك الأعظم، الأجلّ، الأكرم، النور الأكبر الذي سمّيت به نفسك، واستويت به على عرشك، واتوجَّه إليك بمحمد وأهل بيته، وأسألك بك وبهم أن تُصلّي على محمد وآل محمد».

ودعوتُ... وأخذتُ حَجَر الركن المبارك الغربي وهو الآن في داخل الأساس، وجاء رجلٌ من المؤمنين اسمه محمد حسين من أهل أبرقوه[٢] بطاس من النّورة وكبّ في الأساس، وفرشتُ تلك النُّورة بيدي، وقلتُ: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم ثبّت دولة محمد وآل محمد، وعجّل فرجهم».

وحطّيت ذلك الحَجَر في زاوية الركن الشريف الغربي في أساس إبراهيم عليه السلام والحمد لله.

وشرعت في البناء، وقلتُ أوّل شروعي:

«اللهم إني أُشهدك وملائكتك المقربين بأني أشركتُ معي جميع المؤمنين

---

(١) الحاقة: ٣٢.

(٢) مدينة من أعمال شيراز بإيران.

والمؤمنات، أحيائهم وأمواتهم، والذين في أصلاب الرجال، وفي بطون الأُمهات الى يوم الدين في عملي هذا »، واغتنمت الفرصة، ولله دَرُّ القائل:

تمتّع إن ظفرتَ بنيل قرب	وحصّل ما استطعت من ادخار
فقد وسعت أبواب التداني	وقد قربت للزوار داري
وقد بنيت نسيمات بنجد	فطب واشرب بكاسات لباري
فودّع أهل نجد قبل بُعد	فما نجدٌ ولم تُحلل بدار
أقولُ لمن لم يمرَّ بأرض نجد	ويظفر مِنْ رُباها بالديار
تزوّد من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار

واشتغلت الى نصف النهار، وحطّيت أحجاراً كثيرة حتى ارتفع تمام جدار العرض الشامي من أصل الأساس قريب ثلاثة أذرع، فلمّا قضيتُ من ذلك الوطر، ومتَّعتُ عيني من ذلك الأساس بالنظر لاتحف بوصفه المشتاقين، وأنشر من طيّب أخباره في المحبّين، وقع الكلام... بأنّ الذي أسس الكعبة مجتهدُ الرافضة، فلمّا سمعتُ هذه الحكاية قلتُ: « موتوا بغيضكم ما لكم من علاج، قد كان ما كان » فقلّلت المدخلَ؛ لأنّ الذي يُفهم من حديث علي بن الحسين عليه السلام الآتي ذكره نفس التأسيس فقط، لا بناء الجدران، فأحضر بعض الأوقات وأغيب بعضها حتى وصل العمل الى الركن الذي فيه الحَجَر الأسود يوم التاسع من رجب، هذا وأنا أتّقي وما أدخل معهم في الشغل، فذكرتُ لبعض أشراف بني حسن -هو شريك سلطنتهم- وقلتُ له: أحضر الكعبةَ عسى أن تمنعهم من أن يرفعوا الحَجَر، وأُلهمتُ في ذلك اليوم بقراءة الدعاء المبارك السّيفي، فلمّا قرأت سبعاً وعشرين مرةً وصل إليّ الخبر بأنْ لما كشفوا الحجر تخيّل لهم كأنّه تنينٌ عظيم يريد أن يأكلهم، ودخل السيد علي بن بركات - أيده الله تعالى - وهو من أكابر أشراف بني حسن ومنعهم أيضاً وقال لهم لا تشيلوه!

فالحاصل، منع المعصومون عليهم السلام الآخرين أن يرفعوا الحَجَر الأسود، وأعطانا الله بركاتهم عليهم السلام منصب التأسيس ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ**

حِسَابٍ﴾[1]، ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ويوم الثاني والعشرين من رجب هذا المذكور علّقوا الباب الشريف، ويوم الثالث عشر من شعبان بعد رجب أدخلنا أعمدة سقف بيت الله الحرام، ويوم الخامس عشر دخلتُ الكعبة ووضعت في باطن جدارها أربعةً من الأحجار: وضعت حجراً في نفس زاوية الحَجَر الأسود، وحجراً في الحطيم، وحجراً في مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو بعيد عن زاوية الحَجَر بثلاثة أذرع من جهة الركن اليماني تخميناً، والله أعلم، وحجراً قرب زاوية الركن اليماني.

ويوم الثامن عشر من هذا الشهر أدخلنا ألواحاً بين أعمدة السّقف ورُكِّبت مع الأعمدة، ويوم التاسع عشر من شعبان المذكور رُكّبَ ميزاب الرّحمة، ويوم الثاني من شهر رمضان المعظم بعد شعبان المذكور المبارك شرعوا في عمل الرّخام في سطح الكعبة الشريف، ويوم التاسع منه ابتدأوا في شغل رخام باطن جدران الكعبة وأرضها، وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين منه تمّ العمل، ويوم الجمعة آخر الشهر، أعني شهر رمضان المذكور دخل الخلقُ الكعبة. والحمد لله.

فأول التأسيس الى آخر البناء ثلاثة أشهر وخمسة أيام. وموافقة ابتداء هذا الأساس مع أساس علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وهو أساس العرض الشامي الذي رماه الحجّاج بالمنجنيق؛ لأن أساس الجدران الثلاثة على حالها الأوّل، وموافقة اسم العبد الذليل مع اسم شريف علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وكمال ضعفه، وقلة حيلته... مع هذا يؤسس بيت الله الحرام، لا شك في أنّ هذا معجزة من معجزات المعصومين عليهم السلام لإدخال السرور على محبّيهم كي يفرحوا ويذيعوا في التواريخ والتصانيف حتى بهذا الخبر من كان في أصلاب الرجال، ويتيقّنوا بأنّ المعصومين عليهم السلام ليسوا غافلين عن حال رعيتهم في كلّ أوان

---

(١) ص: ٩.

(٢) الروم: ٤٧.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ﴾[١].

ونُشرّف هذا الفصل بالحديث الشريف الذي فيه ذكر تأسيس علي بن الحسين عليه السلام الذي رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في (كتاب الحج) في باب (ورود تُبّع) عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن أبي عُمير، عن أبي علي صاحب الأنماط، عن أبان بن تغلب قال:

«لمّا هَدّم الحجّاجُ الكعبة فرّق الناس ترابها، فلمّا صاروا الى البناء فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حَيّة فمنعت النّاس البناء، حتّى هربوا فأتوا الحجّاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد مُنع بناؤها، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال:

أنشد الله عبداً عنده مما ابتلانا به علمٌ لما أخبرنا به.

قال: فقام اليه شيخٌ فقال: إن يكن عند أحد علمٌ فعند رجل رأيته جاء الى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى!

فقال الحجاج: من هو؟

فقال: علي بن الحسين عليه السلام.

فقال: هو معدنُ ذلك، فبعث إلى علي بن الحسين عليه السلام فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إيّاه البناء.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا حجّاج! عمدتَ الى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وأنميته، كأنك ترى أنه تراثٌ لك، اِصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحدٌ منهم أخذ منه شيئاً إلاّ ردّه.

قال: ففعل وأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحدٌ عنده شي إلا ردّه فردّوه، فلمّا رأى جميع التراب علي بن الحسين عليه السلام فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا منه

(١) التوبة: ١٠٥.

فتغيّبت عنهم الحيّة، وحفروا حتى انتهوا إلى مواضع القواعد.

قال لهم: تنحّوا، فتنحوا فدنا منها فغطّاها بثوبه ثم بكى، ثمّ غطّاها بالتراب بيد نفسه، ثمّ دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب في جوفه، فلذلك صار البيت مرتفعاً يُصعد اليه بالدرج»[(١)].

الفصل الثاني: «علة بناء الكعبة المشرفة، وبدء الطواف بها، وفضلها، وذكر صفة الكعبة المُعظّمة، وطولها وعرضها وارتفاعها من خارجها وداخلها، وسقفها وأساطينها وغلظ جدارها، وبابها وسلميها الداخل والخارج، والحِجْر، والميزاب، والحَجَر الأسود، والحطيم، والمستجار، وكسوتيها الخارجة والداخلة، وشاذروانها، ومطافها، والمقام، والمنبر».

ولنزيّن هذا الفصل بأحاديث المعصومين عليهم السلام:

روى محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في أول كتاب الحج من الكافي في باب (بدء البيت والطواف) بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال:

«... أمّا بدء هذا البيت، فإنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿**إني جاعلٌ في الأرضِ خَليفةً**﴾[(٢)] فردّت الملائكة على الله عزوجل ﴿**أَتَجْعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ**﴾[(٣)] فأعرض عنها، فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه، فأمر الله ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة يُسمى الضراح بازاء عرشه فصيّره لأهل السماء، يطوف به سبعون ألف ملك في كلّ يوم لا يعودون ويستغفرون. فلما أن هبط آدم الى سماء الدنيا أمره بمرمّة هذا البيت وهو بإزاء ذلك، فصيّره لآدم وذريته كما صيّر ذلك لأهل السماء... »[(٤)].

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٢.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ١٨٧-١٨٨.

وبسنده عن أبي خديجة قال: «إنّ الله عزوجل أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنة، وكان البيت دُرّة بيضاء، فرفعه الله عزّ وجلّ الى السماء وبقي أسّه وهو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فامر الله عزوجل إبراهيم وإسماعيل ببنيان البيت على القواعد»[١].

وبسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجل دحا الأرض من تحت الكعبة إلى منى، ثم دحاها من منى إلى عرفات، ثم دحاها من عرفات إلى منى، فالأرض من عرفات، وعرفات من منى، ومنى من الكعبة»[٢].

وبسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل حول الكعبة عشرين ومائة رحمة منها: ستون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين»[٣].

والأحاديث في فضل الكعبة كثيرة فمَن أرادها فليرجع الى كتاب الكليني رحمه الله وأدام منفعته للمؤمنين الى يوم الدين، بحقّ محمد وآله الطاهرين.

اعلم يا أخي أيّدني الله وإياك، أنّ الكعبة المشرفة -زيدت مهابتها- بعض جدرانها أطول من بعض ولها طولان وعرضان:

أما الطول الأول: من الركن العراقي -وهو الذي فيه الحَجَر الأسود- إلى الركن الشامي، وهو خمسة وعشرون ذراعاً، وهو وجهها وفيه بابها.

وأمّا الطول الثاني: فمن الركن اليماني إلى الركن الغربي، وهو خمسة وعشرون ذراعاً، وهو ظهرها وفيه بابها المسدود.

وأما عرضها الأول: فمن الركن الشامي إلى الركن الغربي، وهو إحدى

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ١٨٨-١٨٩.
(٢) الكافي: ج ٤ ص ١٨٩.
(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٤٠.

وعشرون ذراعاً، وعليه الميزاب.

وأمّا عرضها الثاني: فمن الركن اليماني إلى الركن العراقي، وهو إحدى وعشرون ذراعاً وشبر.

وأمّا ارتفاعها في الهواء: فثلاثون ذراعاً، والسقفُ منها على كمال سبع وعشرين ذراعاً، وهو على ثلاثة أعمدة غلاظ في جدار الطول، على ثلاث أساطين مُصطّفة ما بين عرضيها، ولها سقفٌ ثان لكن ليس له عملٌ إلاّ لربط أستارها الظاهرة.

وأما طولها من داخلها:

فالأول: هو الوجه فسبع عشرة ذراعاً.

وأما عرضها الأول: وهو الشامي فخمس عشرة ذراعاً.

وأما الثاني: وهو الظهر فثمانية عشر ذراعاً.

وأما ارتفاعها في الهواء: فسبعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع، فاثنتان وعشرون ذراعاً الى السقف الاول الذي عليه العمل، وخمسة وربع ذراع الى السقف الثاني الذي ليس عليه عمل.

وأما غلظ جدرانها الأصليّة الخالية من الرخام: فأربعة أشبار وأربع أصابع مضمومة في بطن الجدران، في كلّ قامة لوحٌ من الخشب عريضٌ متين لحفظ الجدار في خمسة مواضع. وحجارته من الخارج منحوتة ضخمة على عادة بناء الأقدمين.

وأمّا بابها: فطوله سبعة أذرع ونصف، مصفحٌ بالفضة، مطليٌّ بالذهب، منقشٌ بنقش عجيب، وفيه أربعٌ حَلَق من الفضة، فالعليا منهاسمسة مشبكة مستديرة مع بعض استطالة، وهي في العظم والغلظ متوسط.

وأمّا السُّلقي: فكسائر الحَلَق مقدار غلظ الإصبع، وبينهما قفل حديد مُذَّهب متوسط الكبر له ثلاث زرر فضة غلا، وعلى دوره حلق حديد ثمانية، أربع في الشق

الأيمن، وأربع في الشق الأيسر لربط الأستار التي حوله.

وأما عتبته: فحجرٌ أزرقٌ.

وأمّا سُلّمها: فالخارج سبع ادراج، وهو من الخشب الصنوبري مُحلّى بصفائح النحاس والحديد، تجري على أربع بكرات نحاس، وطوله على قدر ارتفاع الباب في الجدار، وعرضه على قدر عرضه أيضاً.

وأما الداخل: فهو في عرضها الشامي قريباً من الركن، عليه جدار رخام يستره وله بابان:

الأول: من أسفل الى وسطه.

والآخر: من أعلاه الى سطحها.

وعدد درجه: تسع وعشرون درجة مستديرة كالمنارة.

وأما سطحها: فمرخمٌ أيضاً.

وأما حِجر إسماعيل عليه السلام: فالجدار القصير المستدير كنصف دائرة المقابل العرض الشامي، وفيه قبر هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام وشُبّر وشُبير ابني هارون ابن عمران عليهما السلام كما ورد في الأحاديث الشريفة، وارتفاع جداره ذراعان ونصف، وعرضه مثل ذلك. وطول سعته من جدار عرض الكعبة الى جدار طرفي الحِجر المقابل لجدار العرض الذي فيه الميزاب ستة عشر ذراعاً ونصف الذراع، وعرض سعته من طرفه الى طرفه الآخر عشرون ذراعاً. وله فجوتان وهما باباه، وسعة كلّ واحد منهما ذراعان ونصف، وهو مرخمٌ كلّه - وجداره كذلك - برخام أبيض وأكحل وأحمر وأخضر، قطعٌ ووصلٌ عجيبٌ، وفي وسطه قريباً من جدار العرض حيث ينزل ماء الميزاب رخامة خضراء مائلة إلى الصفرة مستديرة كالمحراب، وعن يمينها وشمالها محاريب الى طرفيها المتوازيين إلى الركن الشامي والمغربي.

وأما ميزاب الكعبة: فهو قطعة خشب عليه صفائح الفضة المذهبة من أوله الى

آخره، وطوله أربعة اذرع ونصف، وعرضه ثلثا ذراع، وارتفاعه مثل ذلك.

وأما الحجر الأسود: المغروز في الركن العراقي فطوله في الظاهر نصف شبر، وعرضه شبر، وارتفاعه في الجدار ثلاثة أذرع. وطوله الأصلي الذي في باطن الجدار ثُلثا ذراع بذراع عمل البنائين، وعلى عرضه الذي في داخل الجدار وثائق ثلاث من فضة في ثلاثة مواضع، وعلى طوله الذي في الجدار دائرة من الفضة لحفظ الخدش الذي فيه. وعلى طوله وعرضه في الخارج أيضاً فضة دائرة.

وأمّا الحطيم: فهو ما بين باب الكعبة الى الحجر الاسود، وهو أفضل بقاع الأرض، وفيه قبلت توبة آدم عليه السلام.

وأما المستجار: فهو في مقابل الحطيم، ظهر الكعبة، من الباب المسدود الى الركن اليماني.

وأما كسوتها الخارجة المعظمة: فأربعة أرباع، وكلّ ربع على جدار من جدرانها الأربعة، وكلّ ربع جُزءَان.

وأما ربع وجهها جزءٌ منه سبع شقق، وجزءٌ منه ثماني شقق.

وأما ربع ظهرها فمثل ذلك.

وأما ربع عرضها الشامي ففي كلّ جزء من جزئه أيضاً ست شقق، وعرض الشقة ذراع وثلثا ذراع.

وأما شققها: أربعٌ وخمسون شقة من الحرير الخالص الأسود، مكتوب عليه (الله ربّي، لا إله إلا الله، محمّدٌ رسول الله) محبرة محابراً شبه الدلل (والتحبير هو التخليط) وعلى قدر ثلثي ارتفاعها طراز مخيط بخيوط الفضة المذهبة، دائرة عليها كالمنطقة، عرضه كعرض الشقة، مكتوبٌ عليه: ﴿**إنّ أوّلَ بيت وُضِعَ للنّاسِ...**﴾[١]

---

(١) آل عمران: ٩٦.

وكلّ آية فيها ذكر البيت، واسم السلطان، وتاريخ عملها. وهذه الأرباع والأجزاء مُبطّنة بخام أبيض يجمعها إزارٌ من القطن أبيض متوسطة الغلظة، وكذلك شريطها الذي أوثقها من أعلاها وأسفلها.

وأما وثيقتها من أعلاها: ففي حَلَق وخشب معرضته في ثلثي الذي وصفناه فيما تقدّم.

وأمّا وثيقتها من أسفلها: ففي حلق متوسطة الغلظة مغروزة على ظهر الشاذروان، وعددها سبع وأربعون حلقة، وفي ربع الوجه البرقع وهو الستر الذي على الباب، وهو قطعتا حرير أسود عرض الشّقة، طوله من أعلى الباب الى أسفل الجدار، عليه نقوشٌ وخواتيم عجيبة ومحاريب وقناديل شُغل الإبرة بخيط الفضّة الخالصة المُذَّهبة وغير المُذّهبة، حتى طمست الحرير، ولم يظهر إلاّ كأنه منسوجٌ، ومكتوبٌ على حواشيه: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ**﴾ و ﴿**لإيلافِ قُرَيش**﴾ وآية ﴿**لقد صدَقَ اللهُ رسُولَه الرُّؤيا بالحَقّ**﴾[1].

وأما كسوتها الباطنة: في تخريمتها وتبطينها وتزريرها وتوثيقها كالظّاهرة، غير أنّها ليست بموثقة من أسفلها، ولونها أبيض، وأسماء الصحابة مكتوبة عليها، وكسوة الأساطين والسقف مثلها.

وأما شاذروانها الأصلي المحيط: فارتفاعه ثُلثا شبر وعرضه نصف ذراع، وفي كتب الشافعية مذكورة قصة وهي: «أنّ السيل هدم الكعبة قبل مبعث النبيّ ﷺ بعشرين سنة، فأعادت قريش عمارتها على البنيّة التي عليها اليوم؛ ولم يجدوا من الأموال الطيّبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحِجر بعض البيت وأخّروا الركنين الشاميين عن قواعد إبراهيم عليه السلام وضيّقوا عرض الجدار الذي بين الركنين [الحَجَر الأسود] والشامي الذي يليه، وبقي من الأساس الذي كان مرتفعاً وهو الذي يُسمى شاذروان».

---

(١) الفتح: ٢٧.

وأنا لا اعتقد بهذا القول؛ لأنّ الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي رحمه الله روى في أول كتاب الحج من كتاب (من لا يحضره الفقيه) عن المعصومين عليهم السلام هذه العبارة الشريفة هكذا:

«وما في الحِجر شيء من البيت ولا قلامة ظُفر»[1].

وعلى ظهر شاذروانها جُصٌّ مسندٌ الى جدارها ارتفاع... قد صُفت عليه ألواح رخام طولها ذراع ونصف، فصار لأجل ذلك محدودباً كلّه لا تثبت عليه رجلٌ إلاّ عند الباب.

وأما مطافها: فهو مفروش بالرُّخام، وعلى دوره أساطين مستديرة لاستدارته، عددها ثلاث وثلاثون أسطوانة، وعلى كلّ واحدة قبة صغيرة، وعلى بعض القبة هلالٌ وكلاهما من صفر، وبين كلّ أُسطوانتين ميل حديد، وطرفاه مغروزان في الأُسطوانتين اللتين على طرفه، ومعلّق على هذا الميل سبعة قناديل تُسرج في الليالي، وسعة دوره مائتان وثمان عشرة ذراعاً، سعته من الركن العراقي إلى طرفه المنتهي الى قبة زمزم سبع وثلاثون ذراعاً، وسعته من الركن الشامي إلى طرفه الذي قرب المقام ثلاث وثلاثون ذراعاً، وسعته من الركن الغربي إلى المحيط المقابل له خمس وثلاثون ذراعاً.

وأما مقام إبراهيم عليه السلام: فحجرٌ مربع طول... طوله ذراع، وعرضه قدر نصف ذراع، وارتفاعه قدر ثلثي ذراع، فيه الآيات البيّنات موضع قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام وهو مواجه لوجه البيت، بل مائل عن البيت الى جهة اليمين للداخل قليلا، وفي زمان إبراهيم عليه السلام كان لاصقاً بالكعبة فحوّلته قريش، فردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحوّله عمر في خلافته الى مكان كفار قريش كما روى رئيس الطائفة الشيخ الطوسي -طاب ثراه- في كتاب (التهذيب) في زيادات الحج بسنده عن عبدالله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: «كان المقام لازقاً بالبيت، فَحوّله عُمر»[2].

---

(١) الفقيه: ج ٢ ص ١٩٣.
(٢) التهذيب: ج ٥ ص ٤٥٤.

ونحن مأمورون من المعصومين عليهم السلام بأن نُصلّي صلاة الطواف الواجب في المكان الذي فيه الآن حتى يظهر المهدي عليه السلام.

وعليه قبّة من صفائح الحديد طولها قدر ذراعين وثلثي ذراع، وعرضها قدر ذراعين ونصف، لها باب صغير عليه قفل من حديد وعليها كسوة حرير. وهي منقوشة أيضاً كنقش البرقع إلاّ أنها أخفُّ نقشاً منه، مكتوب على جوانبها: **﴿إنّ أوّلَ بيت وُضِعَ للنّاس...﴾**[1] وكلّ آية فيها ذكر البيت واسم السلطان، وهذه القبة في وسط قبة أخرى منقوشة بالذهب، وبين أساطينها شبابيك حديد، ولها هلالٌ مذهبٌ عجيب، وعلى بابها رواقٌ على أسطوانتين، وبابها أحد شبابيكها وهو في رواقها وعليه قفل، وعلى الرواق صُفَّة مزخرفة مذهّبة عجيبة، وعلى سطحهاوسطح الرواق ألواح رصاص بين كلّ لوح ولوح تاليه ضلع، شغل عجيب متقن لم أر مثله، وارتفاع هذه القبة ورواقها ارتفاع جيّد متوسط، وطولها ستة أذرع وعرضها خمسة أذرع.

وأما المنبر: فعال ضخمُ الهيكل، من الرخام الأبيض، عدد درجاته ست عشرة درجة، وعلى جوانبه خواتم من نفس الجنس، وعلى درجته العليا قبّة عجيبة على أربع أسطوانات على هيئة الشكل الصنوبري، مذهبة وعلى رأس القبّة شبكة فيها لفظتا (الجلالة) و(محمد) مشبكة بشكل رأس الراية، وعلى الدرجة السفلى بابٌ من الصفر عليه شراريف حسان من الصفر.

الفصل الثالث: في ذكر صفة المسجد الحرام، وأبوابه وأسمائها وأساطينه، وما فيه من القباب في صحن المسجد، وما على رواقه، وصفة زمزم المكرم، والصفا والمروة.

اعلم أيّها الأخ اللبيب، جعلني الله وإياك في جوار المعصومين عليهم السلام أنّ المسجد الحرام أيضاً بعض جوانبه أطول من بعض، وهو متسع مُحصَّبٌ إلاّ خلف

---

(١) آل عمران: ٩٦.

المقام، وحيث يوقف درجة البيت والمنبر، وبين يدي زمزم فإنه مفروش مرّخم، وطوله أربعمائة ذراع، وعرضه مائتان وسبعون ذراعاً سوى الزيادتين الآتي ذكرهما، وجدرانه عالية، وشراريفه بادية، وفي كلّ ركن من الأربعة منارةٌ طويلةٌ، وما بين جدار العرض الذي في مقابل وجه الكعبة أيضاً منارتان، وما بين جدار الطول الذي في مقابل العرض الشامي الذي فيه الميزاب أيضاً منارة، والكعبة في وسط المسجد كالعروس، وجملة عدد منائر المسجد سَبعُ منائر، وفيه زيادتان خارجتان من تربيعه:

فالأولى في الطول المقابل للعرض الشامي.

والثانية في جانب عرضه لظهرها.

وأما أبوابه: فتسعة عشر باباً.

الباب الأول: باب السلام وله ثلاثة منافذ.

الباب الثاني: باب الدريبة وله مدخلٌ واحد.

الباب الثالث: باب السُّويقة، وهو في الزيادة الأولى، له أيضاً ثلاثة منافذ.

الباب الرابع: باب الفهود، وهو في الزيادة الأولى وله مدخلٌ واحد.

الباب الخامس: باب العجلة، وهو مشهور بباب الباسطية وله مدخلٌ واحد.

الباب السادس: باب السُّدة وله مدخلٌ واحد، ولجنبه من جهة اليمين بيت الفقير، ومتصلٌ به مسكني وله شبابيك تجاه الكعبة الشريفة، والحمد لله الذي جعلني من جيران بيته الحرام.

الباب السابع: باب العُمرة وله مدخلٌ واحد.

الباب الثامن: باب إبراهيم، وهو في الزيادة الثانية وعليه قصرٌ عال، وله مدخلٌ واحد.

الباب التاسع: باب حزورة، وهو في الزيادة الثانية وعليه قصر عال، وله مدخلٌ واحد الى حزورة، وعوام الناس يُسمونه عزورة بالعين المهملة، وهو غلطٌ؛ لأن صاحب «النهاية» ذكر في كتابه حزورة بالحاء المهملة[١]، وذكر حديث عبدالله بن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقفٌ بالحزورة من مكّة، وهو موضع عند باب الحنّاطين.

روى رئيس الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في كتاب (التهذيب) الحديث هكذا: الحسن بن سعيد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «خَطّ إبراهيم عليه السلام بمكة ما بين الحَزورة الى المسعى» وله مدخلان.

الباب العاشر: باب أمّ هاني، له مدخلان.

الباب الحادي عشر: باب الرحمة، وله مدخلان.

الباب الثاني عشر: باب المجاهدية، وله مدخلان.

الباب الثالث عشر: باب جياد، وله مدخلان.

الباب الرابع عشر: باب الصَّفا، وله خمسة منافذ.

الباب الخامس عشر: باب البغلة، وله مدخلان.

الباب السادس عشر: باب بازان، وله مدخلان.

الباب السابع عشر: باب أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، ويَعسوبُ المسلمين، وقائد الغُرّ المحجّلين، قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب عليه السلام وله ثلاثة منافذ.

الباب الثامن عشر: باب العباس، وله ثلاثة منافذ.

---

(١) النهاية: ج ١ ص ٣٨٠.

الباب التاسع عشر: باب الجنائز، وله مدخلان.

فجملة منافذه ومداخله تسع وثلاثون.

وأمّا أساطينه التي هي خارجة عن الجدار، خمسمائة أسطوانة، ففي طوله المقابل لعرضها اليماني ثلاثة صفوف، وفي طوله المقابل لعرضها الشامي -وفيه الزيادة الأولى كما تقدم- ثلاثة صفوف أيضاً، وفي بعضه أربعة. وفي عرضه المقابل لوجه الكعبة ثلاثة صفوف، وفي عرضه المقابل لظهرهاثلاثة صفوف أيضاً.

فجملة الخمسمائة في هذه الصفوف الاثني عشر، والتي غير خارجة تقرب من ستين أسطوانة، والله أعلم.

وأما الذي في صحن المسجد من القباب فثلاث:

القبة الأولى: قبة العباس رضي الله عنه وهي مربعة حسنة البناء، ولها شراريف، ولها ستة شبابيك حديد من جهاتها، وملصقٌ الى ظهرها قبة صغيرة قد ضمّها تربيعاً حتى صارتا كالقبة الواحدة لم يفترقا إلاّ في المدخل. وفي وسطها حوضٌ مستدير متوسط العظم من ألواح رخام مضلّعة بالرصاص، وفي وسطه قصبة لدخول الماء.

القبة الثانية: قبة الفراشين، وهي مربعة أيضاً، ولها ستة شبابيك، وفي زاويتها الشرقية حجر فيه أثر قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والله أعلم.

القبة الثالثة: قبة زمزم، وهي مربعة عالية،ولها ثمانية شبابيك حديدمن جهاتها الثلاث، وسقفها منفرجٌ وملصق اليها من جهتها التي تقابل باب الصَّفا فيه [فتحة] صغيرة مستطيلة، لها ثلاثة شبابيك حديد وعلى سطح الكبير رواق مزخرف،يؤذنون فيه،وعليه قبةٌ لها هلال، وله درجٌ أوله عند الباب وآخره على عجز القبة، وفي رأس الدرج باب صغير.

وأما بئر زمزم: وهو في وسط هذه القبة أي الكبيرة، وطوله أربعون ذراعاً وعليه خرزة من ألواح رصاص لها أضلاع، بين كلّ ضلع منها والآخر لوح رخام،

وعلى دوريها طوقان من حديد بينهما أميال من حديد، بين كلّ ميلين لوحٌ من نحاس مستديرة كاستدارتها، وارتفاع هذه الخرزة ذراع وثُلثا ذراع، وعرضها شبرٌ وثلاثة أصابع، ودورها عشرون ذراعاً، وهي عظيمة الهيكل، هائلة المنظر، وعليه بكراتٌ في الخشبتين المغروزتين، أحد طرفيهما في جدار الباب، وطرفهما الآخر في الجدار المقابل له، الذي ينتهي اليه طرف المطاف، وعلى الخشبتين خشبتان أُخريان لتغليق البكرات.

وأمّا القباب اللاّتي على رواق المسجد: مائة وعشرون قبة، واللاّتي على الزيادتين إحدى وثلاثون قبة، ست عشرة في الأولى، وخمس عشرة في الثانية.

وأما الأمكنة المُبتدعة لكلّ إمام فلا حاجة الى ذكرها.

وأما الصّفا: كما روي عن المعصومين عليهم السلام أنّ المصطفى -آدم- نزل عليه؛ لأنّ الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿**إنّ اللهَ اصْطَفَى آدمَ وَنوحًا وَآلَ إبراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلى العالمين**﴾[1] وعليه بيوت لأهل مكّة. وفي أصل الجبل دكوك مبنية وثلاثة من العقود المتصلة بعضها الى بعض:

الدّكة الأولى: لها ثلاث دُرج.

والثانية: لها أربع دُرج.

والثالثة: لها أربعُ دُرج.

والرابعة: لها درجتان.

وأما المروة: أيضاً جَبَلٌ نزلت عليه حواء عليها السلام ووجه تسميته هو أنّ المرأة نزلت عليه، كما روي أيضاً عنهم عليهم السلام، وعليه أيضاً بيوت أهل مكّة، وفي أصل الجبل دكّة واحدة أرفع من أرض المسعى بدرجتين.

---

(١) آل عمران: ٣٣.

وبين الصّفا والمروة سوق للعطّارين وغيرهم، ليس عليه سقف، ومن وقف على الصفا يرى المروة وبالعكس.

ومن الصفا الى المروة خمسمائة وثلاثون خطوة إنسان معتدل القامة.

الخاتمة: فهي في ذكر صفة الأماكن الشريفة المطهرة غير المشاعر العظيمة، منها المولد الشريف السيد البشر وشفيع المحشر، والمولد الشريف لسيدة النساء. والحَجَر الذي فيه علامة مرفقه ﷺ. والجبّانتان المعلّى والشبيكة:

اعلم يا أخي هداني الله وإياك أنّ المولد الشريف لسيد البشر، والشفيع في المحشر، هو روضةٌ عالي البناء مزخرفٌ، له بابان وله محرابٌ في الركن القبلي، ومسقط رأسه ﷺ قريبٌ منه، وهو حفرة صغيرة، عليه قبّة عود مربعة صغيرة، مفرجة الجوانب، عليها كسوة كتان، شُغل الإبرة، قطع ووصل عجيب[١].

وأما مولد أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغُرّ المُحجَّلين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المكان الذي هو مشهورٌ بمكّة فغلطٌ؛ لأنّ مولده الشريف نفس الكعبة الشريفة[٢]، ذكره أبو منصور الطبري في كتاب (إعلام الورى) هكذا:

---

(١) هذه البقعة التي ولد فيها سيد البشر ﷺ كانت مئات السنين مزاراً يتبرك الناس بها، ويشكرون الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة التي خصّهم بها. لكن بعد أن استولت جماعة حاولت جاهدة اطماس جميع آثار السلف الصالح في الحرمين الشريفين، فقد أقدمت على هدم مجموعة كبيرة من المساجد وبيوت الصحابة والتابعين وحوّلتها الى مواقف للسيارات أو مزابل، ومما هدمته مولد النبي ﷺ حيث بقيت خربة سنوات طوال، ثم بعد أن واجهوا استنكار المسلمين، حولوها الى مكتبة عامة.

(٢) إنّ المنقب في التاريخ والحديث جِدّ عليم بأن فضيلة ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة من الحقائق التي تطابق على اثباتها الرواة وتضافر النقل لها وتواترت الاسانيد اليها. قال الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ في (المستدرك على الصحيحين) في باب (مناقب حكيم بن حزام ج ٣ ص ٤٨٣، عن مصعب بن عبدالله: «أنّ أمّ حكيم ولدته في الكعبة، ضربها المخاض وهي في جوفها ولم يولد قبله ولابعده في الكعبة أحد».

قال الحاكم: «وَهَم مصعب في الحرف الأخير، وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- في جوف الكعبة».

« ولد أمير المؤمنين عليه السلام بمكّة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأعظم رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد قطّ في بيت الله تعالى مولودٌ سواه، لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلةٌ خَصّه الله تعالى بها إجلالاً لمحلّه ومنزلته، وإعلاءً لرتبته. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الأمّ، وربيّ في حجرها، وكانت من سابقات المؤمنات الى الإيمان، وهاجرت معه الى المدينة، وكفّنها في قميصه يدرأ به عنها هوامَّ القبر، وتوسّد في قبرها؛ لتأمن بذلك من ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها -كما اشتهرت- فكان أمير المؤمنين عليه السلام هاشمياً من هاشميين، وأوّل من ولده هاشم مرتين ».

وأمّا مولد سيدة نساء العالمين، البتول، أمّ الأئمة النقباء النجباء فاطمة الزهراء عليها السلام فهو روضة عليه شراريف في قبلة الرواق، فيه محرابٌ وفي مؤخره قبة عالية متوسطة العِظم، على رأسها هلال نحاس، بابها قبلي وفضلها مرويّ، يقال لها « قبة الوحي »، ومسقط رأسها عليها السلام في مخزن مستطيل عن يمين الداخل إلى القبة، وهي حفرة صغيرة، وعليه قبّة أصغر من قبّة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما علامة مرفقه صلى الله عليه وآله وسلم فأنواره لائحة، ومعجزة للناظرين واضحة، وهو حفرة صغيرة في حجر قد بني في جدار دار، وارتفاعه ذراعان.

وكلّ ما وصفناه في رسالتنا هذه من الأذرع فمتوسط ذراع الآدمي إلاّ زمزم

وقد وافقه على ذلك جماعة من أفذاذ أهل السنة مثل المحدّث الدهلوي والكنجي الشافعي وشهاب الدين الآلوسي المفسر وغيرهم من أعيان أهل السنة، هذا فضلاً عن اتفاق الامامية والشيعة واجماعهم على ذلك. وقد أصدر كثير من الأعلام رسائل وكتباً حول هذا الموضوع، منها كتاب (عليٌّ وليد الكعبة) للمحقق الأديب الشيخ محمد علي الاردوبادي، الذي جمع فيه أقوال القدماء والمتأخرين وآراءهم في هذا المجال.

راجع أيضاً: (الكافي: ج ٤ ص ٣٧٦، والتهذيب: ج ٦ ص ١٩، ومستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٨٠، ومناقب ابن المغازلي: ج ٦ ص ٢، مناقب الخوارزمي: ص ١٢ و ١٣، وأُسد الغابة: ج ٥ ص ٥١٧، والرياض النضرة: ج ٣ ص ١٠٤، والفصول المهمة: ص٣٠ و ٣١، ....).

والحَجَر الأسود فإنهما بذراع العمل المتعارف بين البنائين.

وأما المُعلّى: جبّانة عظيمة قد دفن فيها ما لا يُحصى من أهل الكرامات والمقامات، من أهل البلد والآفاق.

فالمشهور اليوم من القبور التي عليها الاتفاق:

قبر سيدة النساء بعد بنتها، وفريدة دهرها، والمعتنية للخيرات، المطمئنة لقلب الرسول حين أتاها مُفاجَأً بأول النزول، وزوجة سيّد المرسلين، أمّ سيّدة نساء العالمين، جَدّة الأئمة المعصومين عليهم السلام خديجة الكبرى بنت خويلد عليها السلام.

والمشهور عندنا قبر جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّدنا عبدالمطلب، وعبد مناف، وعمّه ومعينه أبو طالب رضي الله عنه.

وقبر سيد الصّالحين، نصير الدين حسين، وقبر سلطان المحقّقين والمدقّقين استاذاي في فنّ الرِّجال والأحاديث الشريفة والنحو ملا محمد أمين الاسترابادي –طاب ثراه– وميرزا محمد الاسترابادي –رحمهم الله تعالى.

ومن تفضّلات ربّي الرحيم في هذه السنة لما توفي ثمرة فؤادي السيّد أبو جعفر محمد الباقر مع والدته، وأخوه عليّ نزلَ من بطن أمّه حيّاً ثم ماتت أمّه –رحمهما الله– بسبب عدم خروج المشيمة، ومات عليٌّ بعد أُمّه –رحمهم الله وأسكنهم الجنّة بعليّ وولده– دفنتهم في ثلاثة من القبور من الموضع الذي يقف الناس به ويقرأون الفاتحة لخديجة الكبرى عليها السلام قبال صندوقها، دفنتُ في واحد من القبور الثلاثة:

أمّ السيد أبو جعفر سكينة بيگم –رحمها الله– التي كانت معينتي في طلب العلم بمكة المعظمة.

وفي القبر الثاني دفنتُ ثمرة فؤادي سيد أبو جعفر محمد الباقر، الذي قرأ في مدة خمس سنين وتسعة أشهر القرآن الى نصف سورة ﴿**إنّا فَتَحنا**﴾ وقرأ الأمثلة

وبعضاً من التصريف للزنجاني، يقرب نصفه.

والثالث: بنيته لنفسي ودخلت فيه وقرأت التلقين مع بعض سور من القرآن وأودعت فيه، وأرجو من الله أن يجعل ذلك التَّلقين كافياً، فإن كان ظهر سيدنا ومولانا وإمامنا صاحب العصر والزمان وخليفة الرحمان -صلوات الله عليه- فلا حاجة الى ذلك القبر أيضاً، ﴿**وَمَا تَدري نَفسٌ بأيّ أرض تَمُوتُ**﴾[1].

وأما الشبيكة: فهي جبّانة عظيمة أيضاً قد دفن فيها ناس كثير، لكن ليس فيها من مشاهير القبور المعتمدة عندنا شيء.

نصيحة: أيها المؤمنون أنصح نفسي وإياكم، اجتهدوا في تعمير دار الآخرة بزيارة هذه الأماكن المشرّفة وغيرها من أفعال الخير؛ لأن الآخرة دار القرار، وفيها الأنبياء والمرسلون، والأولياء والصالحون، وحسن أولئك رفيقاً.

وذكر علي بن إبراهيم، عن الشيخ محمد بن يعقوب الكليني -رحمهما الله- في تفسيره في سورة لقمان، عن أبي عبد الله عليه السلام يحدّث لحمّاد قال:

«فوعظ لقمان بآثار حتى تفطّر وانشق، وكان فيما وعظ به: يا حمّاد الى أن قال: يا بُني إنك منذ سقطتَ الى الدنيا استدبرتها واستقبلتَ الآخرة، أنت تسير إليها أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد»[2].

ولنختم الخاتمة بأسامي جماعة من المؤمنين الذين اشتغلوا في الكعبة:

محمد الحسين المذكور، وسيد أحمد بن محمد معصوم، ومحمد علي بن عاشور وأبوه، وحسن بن عبدالله السمناني المكّي، ودرويش حيدر الكشميري، وميرزا خان الكشميري، والحاج حسن علي الأردبيلي، والحاج معصوم بيك التبريزي، وحاجي محمد شفيع التبريزي وولده إبراهيم بيك، والشيخ طائف رفيع

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) البحار: ج ١٣ ص ٤١١.

ولدي أبو جعفر، وإسماعيل ابن شهيد أوغلي، والشيخ عبد علي، وعبدان للفقير مفلح ونافع.

وألهمني الله تعالى لتاريخ هذا التأسيس الشريف اقتباساً من الآية الشريفة **﴿وإذْ يَرفَعُ إبراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البيتِ﴾**[1] هذا رفع الله تعالى قواعد البيت.

تَمَّ صورة ما كتب رحمه الله تعالى، والحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذه الرسالة الشريفة.

(١).

الملحق (٦)

الحركة الأخبارية تاريخهم وأصل منهجهم في استنباط الأحكام

انقسمت الطائفة الشيعية الإمامية إلى مدرستين رئيسيتين:

الأولى: الأصولية:

وهم الذين اعتمدوا في استنباط الأحكام على الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وأقاموا أصولاً للأحكام فرّعوا عليها الكثير من المسائل، واتفقوا على ثبوت العلم والعمل بما كان مقطوعاً به من الأخبار المنتهية إلى المعصومين، ورفضوا القطع بصحة جميع ما اشتملت عليه مجاميعهم الحديثية؛ فعملوا بالحديث الصحيح والحسن واختلفوا في العمل بالحديث الموثّق، وأجمعوا على ترك الاحتجاج بالضعيف، ورجّحوا عند التعارض قطعي العقل على ما كان ظنياً من النقل، وجروا في أحكام طهارة الأشياء وإباحتها على « قاعدة البراءة » المستمدة لديهم من حكم النقل والعقل بقبح العقاب بلا بيان، والمفيدة في التطبيق أنّ الأصل في الأشياء الطهارة والإباحة حتى يثبت ما يغيّر هذا الأصل في بعض الأشياء على وجه التعيين.

واشتهر لديهم المنع من تقليد الأموات ابتداء واختلفوا في جواز بقاء التقليد بعد موت الفقيه، وقد ربط كثير منهم المقلِّدين بمراجع من المجتهدين الأحياء، ومنهم من اقتصر على إيجاب تقليد الأعلم منهم[١].

والأصوليون يمثلون جمهور علماء الشيعة الاثني عشرية من زمان الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) وتلاميذه -خاصة الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) وشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)- ومروراً بالشيخ فخر الدين محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلي (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م)، ثم المحقق الحلي نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى الهذلي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وابن أخته وتلميذه العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، ثم الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي العاملي (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، ثم الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجبعي (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م)، فنجله الحسن بن زين الدين (ت ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م)، ثم الفاضل التوني عبد الله بن محمد البشروي (ت ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م)، ثم الوحيد البهبهاني المولى محمد باقر بن محمد أكمل (ت ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م) صاحب الدور الكبير في مناهضة الحركة الأخبارية، وتلاميذه العلامة السيد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)،

---

(١) راجع: الرسائل الفقهية للوحيد البهبهاني؛ رسالة في عدم جواز تقليد الميت ص ٥- ٢٧. رسالة حكم عبادة الجاهل: ص ٢٩-٤٦. رسالة أصل طهارة الأشياء: ص ٤٧-٥١. رسالة أصالة عدم صحة المعاملات: ص ٢٩٥-٣٠٧. رسالة أصالة الصحة والفساد في المعاملات: ص ٣٠٩-٣١٨.

وراجع: الأخبار بين الأصوليين والأخباريين؛ محمد الغراوي. مقال في مجلة الفكر الجديد. إصدار مؤسسة دار الإسلام بلندن. عدد ٩ السنة الثالثة آب ١٩٩٤م/ صفر ١٤١٥هـ، وتاريخ الفقه الإسلامي وأدواره؛ الشيخ جعفر السبحاني، والحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريين؛ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ومصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين؛ محمد عبد الحسن غراوي، والمعالم الجديدة للأصول؛ السيد محمد باقر الصدر.

والسيد علي الطباطبائي (ت ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م)، والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م)، ثم المولى أحمد النراقي (ت ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م)، وشريف العلماء محمد شريف بن حسن علي (ت ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م)، والشيخ محمد تقي عبد الرحيم الأصفهاني (ت ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، ثم الشيخ الأصولي المجدد مرتضى بن محمد أمين الأنصاري (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) الذي لم يزل الأصوليون يعيشون مرحلة تجديده إلى زماننا الجاري في إيران والعراق ولبنان ومنطقة الخليج العربي، وفي الهند وباكستان ووسط آسيا وغير ذلك من البلاد التي تضم أقليات شيعية اثنا عشرية[١].

الثانية: الأخبارية:

ظهرت في مطلع القرن الحادي عشر الهجري في ساحة الشيعة الاثني عشرية حركة مستقلة لها دعوى خاصة تقام لها الحجج، ومنهج محدّد في استنباط الأحكام الاعتقادية والفقهية العملية، يتبنّى فكرة أحادية الدليل النقلي عن الأئمة المعصومين في ثبوت الأحكام، وإقصاء العقل والإجماع وظواهر الكتاب[٢] والسنة النبوية عن دائرة الاستنباط، وترك الاجتهاد الذي تعارف عليه الأصوليون، ورفض جواز العمل بالظن، مع القطع بثبوت الأخبار الواردة عن الأئمة في كتب الحديث الأربعة[٣]،

(١) انظر: المعالم الجديدة للأصول للسيد محمد باقر الصدر: ص ٨٧-٨٩؛ وأنظر أيضاً: الموسوعة الفقهية الميسرة للشيخ محمد على الأنصاري: ج ١ ص ٥٢. وراجع تفصيل الكلام عن جهود هؤلاء الفقهاء الأصوليين وغيرهم على امتداد تاريخ الفقه الشيعي الاثنا عشري عند الشيخ جعفر السبحاني: تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٢٤٦ و ٣٧٦ و ٤٠٦ و ٤١٠ و ٤١٨ و ٤٥٧.

(٢) ولذا نلاحظ أنهم لم يفسّروا القرآن مستقلاً عن نصوص أهل البيت، بل ركّزوا في تفسيره على النصوص الواردة عن أهل البيت فقط؛ «حيث يتم التركيز أساساً على أحاديث الأئمة التي توضح أسباب نزول آية ما. ومن التفاسير السابقة على التفاسير الصفوية التي أنتجها البرانيون (الأخباريون) تفسير العسكري، المنسوب إلى الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري، وتفسير القمي» التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ١٩٦.

(٣) الكتب الحديثية الأربعة المعوّل عليها في الاستنباط عند الاثنا عشرية هي: «الكافي» لأبي

واعتماد حجيتها جميعاً، مدّعين أنّ تلك الأخبار مقطوعة الصدور عن الأئمة المعصومين؛ رغم ما فيها من اختلاف وتعارض. وأنّ لكل واقعة حكماً معيناً عليه دليل قطعي عند الأئمة، ويجب التوقف والأخذ بالاحتياط عند عدم الوقوع عليه..

ولذا نراهم منعوا الاجتهاد، وعابوا على الأصوليين ذلك، ورموهم بالخروج عن المذهب، ومشابهة العامة (أهل السنة)، وهاجموا علم الأصول، وحظروا الاشتغال به؛ مدّعين أنّ مبانيه عقلية لا تعتمد على الأخبار[١].

قال الشيخ محمد البياباني: «فلا حجية عندهم للمفاهيم ولا لقياس الأولوية، بل لا يرى بعضهم الحجية لقياس منصوص العلة أيضاً. ولم يقتصر البعض منهم على إقصاء العقل عن دائرة الشرعيات فحسب، بل ذهب إلى إقصائه عن دائرة غير الضروريات من علم الكلام، فالمعيار عندهم هو دلالة النص في كلا المجالين»[٢].

ولا يعني ذلك أنهم يهجرون العقل مطلقاً، بل المصرّح به في كتبهم أنّ العقل الفطري الخالي من الأوهام الفاسدة، والعصبية، وحبّ الجاه، حجة من حجج الله تعالى، وسراج منير من جهته جلّ شأنه، وهو موافق للشرع بل هو شرع داخل، كما أنّ الرسول شرع خارج.

وبالجملة فهؤلاء قد منحوا العقل سلطة إدراك الحسن والعقل، ولكنهم لم يمنحوه سلطة الأمر والنهي، والثواب والعقاب في أصول الدين وفروعه سواء بسواء، فالعقل قد يدرك الأشياء قبل ورود الشرع بها، فيأتي الشرع مؤيداً له، وقد لا

جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م). «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م). «تهذيب الأحكام» و «الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» وهما لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م).

(١) المعالم الجديدة للأصول: ص ٨٦.

(٢) النراقيان في مواجهة المد الأخباري، العدد ٢٥ من مجلة «فقه أهل البيت».

يدركها قبله، ويخفى عليه الوجه فيها فيأتي الشرع كاشفاً له ومبيّناً[١].

ومن أجل بيان حقيقة دعواهم لابد من استعراض بعض أقوال كبار مفكري هذا الاتجاه وتحديد مدلولاتها:

قال الأمين الاسترابادي:

«إنّ العلوم النظرية قسمان:

قسم ينتهي إلى مادة هي قريبة من الإحساس، ومن هذا القسم علم الهندسة والحساب وأكثر أبواب المنطق، وهذا القسم لا يقع فيه الاختلاف بين العلماء، والخطأ في نتائج الأفكار؛ والسبب فيه: أنّ الخطأ في الفكر إما من جهة الصورة وإما من جهة المادة، والخطأ من جهة الصورة لا يقع من العلماء؛ لأنّ معرفة الصورة من الأمور الواضحة عند الأذهان المستقيمة، والخطأ من جهة المادة لا يتصور في هذه العلوم لقرب مادة المواد فيها إلى الإحساس.

وقسم ينتهي إلى مادة هي بعيدة عن الإحساس، ومن هذا القسم الحكمة الإلهية والطبيعية وعلم الكلام وعلم أصول الفقه والمسائل النظرية الفقهية وبعض القواعد المذكورة في كتب المنطق، كقولهم: «الماهية لا يتركب من أمرين متساويين» وقولهم: «نقيض المتساويين متساويان» ومن ثم وقع الاختلاف والمشاجرات بين الفلاسفة في الحكمة الإلهية والطبيعية وبين علماء الإسلام في أصول الفقه والمسائل الفقهية وعلم الكلام وغير ذلك من غير فصل. والسبب في ذلك ما ذكرناه: من أنّ القواعد المنطقية إنّما هي عاصمة عن الخطأ من جهة الصورة لا من جهة المادة، إذا أقصى ما يستفاد من المنطق في باب الأقيسة تقسيم المواد على وجه كلي إلى أقسام، وليست في المنطق قاعدة بها نعلم أن كلّ مادة مخصوصة داخلة في أي قسم من تلك الأقسام، بل من المعلوم امتناع وضع قاعدة تكفل بذلك...

---

(١) الحدائق الناضرة: ج ١ ص ٢٩.

فإن قلت: لا فرق في ذلك بين العقليات والشرعيات؛ والشاهد على ذلك ما نشاهد من كثرة الاختلافات الواقعة بين أهل الشرع في الأصولين وفي الفروع الفقهية.

قلت: إنّما نشاهد ذلك من ضمّ مقدمة عقلية باطلة بالمقدمة النقلية الظنية أو القطعية.

ومن الموضحات لما ذكرناه من أنّه ليس في المنطق قانون يعصم عن الخطأ في مادة الفكر: أنّ المشائيين ادعوا البداهة في أنّ تفريق ماء كوز إلى كوزين إعدام لشخصه وإحداث لشخصين آخرين، وعلى هذه المقدمة بنوا إثبات الهيولى. والاشراقيين ادعوا البداهة في أنه ليس إعداماً للشخص الأول وفي أنّ الشخص الأول باق، وإنّما انعدمت صفة من صفاته وهو الاتصال...

إذا عرفت ما مهدنا من الدقيقة الشريفة، فنقول: إن تمسّكنا بكلامهم فقد عصمنا من الخطأ، وإن تمسّكنا بغيرهم لم نعصم عنه »[١].

وقال السيد نعمة الله الجزائري في أوائل شرح التهذيب -على ما حكي عنه بعد أن نقل كلام المحدّث الاسترابادي المتقدم-: « وتحقيق المقام يقتضي ما ذهب إليه، فإن قلت: عزلت العقل عن الحكم في الأصول، والفروع، فهل يبقى له حكم في مسألة من المسائل؟ قلت: أما البديهيات، فيه له وحده، وهو الحاكم فيها، وأما النظريات فإن وافقه النقل، وحكم بحكمه قدم حكمه على النقل وحده، وأما لو تعارضا هو، والنقلي، فلا شك عندنا في ترجيح النقل، وعدم الالتفات إلى ما حكم به العقل »[٢].

وقد نقل الشيخ يوسف البحراني كلام السيد الجزائري واستحسنه وقال معقباً عليه:

---

(١) الفوائد المدنية: ص ٢٥٦-٢٥٩؛ والرسائل: ص ٩.

(٢) الرسائل: ص ١٠، وهداية المسترشدين: ص ٣١٧.

«لا مدخل للعقل في شيء من الأحكام الفقهية من عبادات، وغيرها، ولا سبيل إليها إلّا السماع عن المعصوم عليه السلام لقصور العقل المذكور عن الإطلاع عليها، نعم يبقى الكلام بالنسبة إلى مالا يتوقف على التوقيف، فنقول إن كان الدليل العقلي المتعلق بذلك بديهياً ظاهر البداهة مثل الواحد نصف الاثنين، فلا ريب في صحة العمل به، فإن عارضه دليل عقلي آخر فإن تأيّد أحدهما بنقل كان التأييد بالدليل النقلي، وأن عارضه دليل نقلي، فإن تأيد ذلك العقلي بدليل نقلي كان الترجيح للعقلي إلا أنّ هنا في الحقيقة تعارض في النقليات، وإلا (أي لم يؤيد الدليل العقلي دليل نقلي)، فالترجيح للنقلي، وفاقاً للسيد المحدّث الجزائري قدس سره وخلافاً للأكثر، هذا بالنسبة إلى العقلي بقول مطلق، أما لو أريد المعنى الأخص، وهو الفطري الخالي عن شوائب الأوهام الذي هو من حجج الملك العلّام وإن شذّ وجوده في الأنام، ففي ترجيح النقلي عليه إشكال»[1].

ويقول صريحاً: «لا ريب أنّ العقل الصحيح الفطري حجة من حجج الله سبحانه، وسراج منير من جهته جلّ شأنه، وهو موافق للشرع من داخل كما أن ذلك شرع من خارج ما لم تغيره غلبة الأوهام الفاسدة، وتتصرف فيه العصبية أو حب الجاه، أو نحوهما من الأغراض الفاسدة، وهو (أي العقل) قد يدرك الأشياء قبل ورود الشرع، فيأتي الشرع مؤيداً له، وقد لا يدركها قبله، ويخفى عليه الوجه فيها فيأتي الشرع كاشفاً له ومبيناً»[2].

وفي الواقع أنّ التأمل في هذه الكلمات يجعل الباحث يميل إلى الاعتقاد، بأنّ حقيقة دعواهم تلك ليست ظاهرة في نفي الحسن والقبح العقليين إنّما يمكن تفسيرها بما يلي:

١ - إنهم يرون صعوبة إدراك العقل لحسن أو قبح الأفعال؛ وذلك لأنّ الحكم المرتبط بقضايا الحكمة، والفقه، وأصوله، ومنها أحكام العقل بالحسن والقبح،

(١) الحدائق الناضرة: ج ١ ص ١٣١.
(٢) الحدائق الناضرة: ج ١ ص ١٣١.

ينتهي إلى مادة بعيدة عن الإحساس (لبعد مادة هذه العلوم عن الأذهان) فمن الطبيعي أن تقع الاختلافات، والمشاجرات بين الفلاسفة في الحكمة، وبين علماء الإسلام في أصول الفقه كما يقول المحدث الاسترابادي[١].

ولعل قوله أوضح برهان على أنّ غرضه الحقيقي نفي تطابق العقلاء على حكم عقلي واحد حيث قال: «أن المشائين ادعوا البداهة في أنّ تفرق ماء كوز إلى كوزين إعدام لشخصه، وإحداث لشخصين آخرين، والاشراقيين ادّعوا البداهة في أنّه ليس إعداماً للشخص الأول، وإنّما انعدمت صفة من صفاته، وهي الاتصال»[٢].

ثم يعلّل عدم تمسكه بحكم العقل بالقول: «إن تمسكنا بكلامهم (أي الأئمة عليهم السلام) فقد عصمنا من الخطأ، وإن تمسكنا بغيره لم نعصم عنه»[٣]. وهذا يعني أنّه لو حصل حكم عقلي ولم يقع فيه نزاع، فإنه يحظى بتأييد المحدث المذكور، ويحمل قيمة موضعية من وجهة نظره..، ويكون أساساً لحكم العقل بالمدح، والذم على فاعل العدل، ومرتكب الظلم.

٢- إنّ مقصودهم من إنكار الأحكام العقلية إنكار الملازمة بين الحكم العقلي والحكم الشرعي، فهم لا ينكرون أصل قدرة العقل على إدراك الحسن، والقبح في الأفعال إنّما ينكرون حكم الشارع تبعاً لذلك الإدراك، ولعل قول المحدث الجزائري حول العقل وأحكامه: «أما البديهيات، فهي له وحده، وهو الحاكم فيها»[٤] منطبقاً على حكم العقل بالحسن، والقبح إذا قلنا أنّ الحكم بالحسن والقبح هو تطابق العقلاء عليه بما هم كذلك، فيكون حصول هذا التطابق في قضايا هي قريبة من البديهيات إذا لم نقل أنها تندرج في القضايا البديهية التي قد يدّعيها ذلك الذي اتخذ الموقف الثاني أي الذي يرى أنّ الحسن والقبح أمران واقعيان.

---

(١) الفوائد المدنية: ص ٢٥٨؛ والرسائل: ص ٩.
(٢) الفوائد المدنية: ص ٢٥٨؛ والرسائل: ص ٩.
(٣) الفوائد المدنية: ص ٢٥٩؛ والرسائل: ص ٩.
(٤) الرسائل: ص ٩.

وسبب نفي الملازمة بين الإدراك العقلي، وبين الأحكام الشرعية عند الأخباريين، إما لأنّ ملاكات الأحكام الشرعية شيء آخر غير الحسن والقبح في الفعل كما فسر بذلك كلام المحقق صاحب الفصول في نفيه للملازمة، أو لأنّ الأحكام الشرعية أحكام توقيفية غير منوطة بالحسن والقبح، ولعل إلى هذا المعنى يشير قول المحدث البحراني: «لا مدخل للعقل في شيء من الأحكام الفقهية من عبادات وغيرها ولا سبيل إليها إلّا السماع عن المعصوم لقصور العقل عن الإطلاع عليها، (ثم قال) نعم يبقى الكلام بالنسبة إلى مالا يتوقف على التوقيف..» فإنّ ظاهر جملته الأخيرة أنّ مراده من قصور العقل عن الإطلاع عليها ليس بسبب عجزه عن إدراك الحسن والقبح، إنّما لأنّ الأحكام الشرعية أحكام توقيفية من الشارع غير مربوطة بأحكام العقل..

وهذا الكلام لا ينفي عقلية الحسن والقبح إنّما ينفي تلازم أحكام الشارع معها؛ لأنّ ثبوت هذه الأحكام مقيّدة بصدورها من الشارع، وعلى هذا الأساس من الفهم يمكن حمل الأحكام العقلية التي رفض الأخباريون الاعتقاد بها على تلك الأحكام التي لا يتطابق عليها العقلاء بما هم عقلاء، أما هذه الأحكام أي التي يتطابق عليها العقلاء بما هم كذلك ومنها أحكام العقل بالتحسين والتقبيح، فهي تحمل قيمة موضوعية. فقول المحدّث الاسترابادي: «أنّ العلوم النظرية قسمان: قسم ينتهي إلى مادة هي قريبة من الإحساس، ومن هذا القسم علم الهندسة والحساب وأكثر أبواب المنطق، وهذا القسم لا يقع فيه الاختلاف بين العلماء... وقسم ينتهي إلى مادة بعيدة عن الإحساس، ومن هذا القسم الحكمة الإلهية والطبيعية وعلم الكلام وعلم أصول الفقه والمسائل النظرية الفقهية... ومن ثم وقع الاختلاف والمشاجرات بين الفلاسفة في الحكمة الإلهية والطبيعية وبين علماء الإسلام في أصول الفقه والمسائل الفقهية علم الكلام»[(١)].

فإنه يمكن درج مسألة التحسين والتقبيح بناء على أنها تطابق العقلاء، بل

(١) الفوائد المدنية: ص ٢٥٦.

وكذلك بناء على أنها حقائق خارجية في قسمه الأول الذي لا يقع فيه الاختلاف؛ لأنّ ذلك التطابق أو ذلك الإدراك لهذه القضايا لا يحصل إلاّ في القضايا الواضحة التي توازي في وضوحها قضايا الرياضيات، والهندسة، أو قريباً منها، ولو بعد التأديب عليها ولا تدخل في القسم الثاني الذي تكون مواده بعيدة عن إدراك العقل.

وقول المحدّث الجزائري: «... فإن قلنا عزلت العقل عن الحكم في الأصول والفروع فهل يبقى له حكم في مسألة من المسائل؟ قلت: أما البديهيات فهي له وحده وهو الحاكم فيها» فإنه يمكن درج مسالة التحسين والتقبيح تحت هذه البديهيات أو ما في حكمها لأنّ الحكم بالحسن والقبح إنّما يحصل بعد تطابق العقلاء، وهو لا يحصل إلاّ في القضايا بعد التأديب عليها، أو يحصل التطابق عليها.

وقد يسمى الأخباريون بين الشيعة أيضاً باسم «أصحاب الحديث»، وقد قال السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م): «أصحاب الحديث: يطلق تارة على جماعة قصروا النظر على الأحاديث، ونبذوا حكم العقل والإجماع، وجعلوا نصوص الكتاب وظواهره من المتشابهات، ويقال لهم الأخبارية أيضاً، وهم عدة كثيرة في أصحابنا، كالأمين الاسترآبادي، والشيخ خلف، وغيره من علماء البحرين...، وتارة يطلق أصحاب الحديث على من كان همه وتخصصه في الحديث، بحيث توغل في جمعه وضبطه وتنقيح أسانيده»[1].

أهم رجالات الحركة الأخبارية:

١- مؤسسها وأول دعاتها الشيخ محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي الأخباري (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م). صاحب الفوائد المدنية[2].

---

(١) إحقاق الحق: ج ١ ص ١٦٨ التعليقة.

(٢) قال الحر العاملي في كتابه أمل الآمل: ج ٢ ص ٢٤٦ رقم ٧٢٥: «مولانا محمد أمين الاسترابادي. فاضل محقق ماهر متكلم فقيه محدث ثقة جليل، له كتب منها كتاب الفوائد المدنية، وذكر فيها أنه شرع في شرح أصول الكافي، وشرح تهذيب الحديث، وكتاب في رد ما أحدثه الفاضلان في حواشي شرح الجديد للتجريد -يعني ملا جلال ومير صدر الدين-،

٢ - الشيخ محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م). صاحب كتاب روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق(١).

وكتاب فوائد دقائق العلوم العربية وحقائقها الخفية انتهى. ورأيت له شرح التهذيب لم يتم، وشرح الاستبصار لم يتم، ورسالة في البداء، وجواب مسائل شيخنا الشيخ حسين الظهيري العاملي، ورسالة في طهارة الخمر ونجاستها، ورسالة فارسية في مسائل متفرقة سماها بدانش نامه شاهي، وغير ذلك».

وقال الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين: ص ١١٨: «كان فاضلاً، محققاً، مدققاً، ماهراً في الأصلين والحديث، أخبارياً صلباً، وهو أوّل من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة الناجية إلى أخباري ومجتهد، وأكثر في كتابه «الفوائد المدنية» من التشنيع على المجتهدين، بل ربما نسبهم إلى تخريب الدين، وما أحسن وما أجاد، ولا وافق الصواب والسداد، لما قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد، وقد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه في كتابنا «الدرر النجفية» وفي كتابنا «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» إلا أنّ الأوّل منهما استوفى البحث في ذلك بما لم يشتمل عليه الثاني».

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة: ج ١٦ ص ٣٥٨: «الفوائد المدنية في الرد على القائل بالاجتهاد والتقليد في الأحكام الإلهية: أول من فتح باب الطعن على المجتهدين وجعلهم في قبال الأخباريين، المولى المحدث محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي الأخباري، المتوفى بمكة في سنة الثالثة والثلاثين بعد الألف ...، رتبه على مقدمة واثني عشر فصلاً وخاتمة ...، فرغ منه في مكة في ربيع الأول ١٠٣١ واحد وثلاثين وألف. وقد نقضه السيد نور الدين بـ(الفوائد المكية) ...، ونقضه أيضا السيد دلدار علي بـ(أساس الأصول) ...، وقد طبع (الفوائد المدنية) هذا بإيران في ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م وبهامشه (الشواهد المكية)».

وكتاب «الشواهد المكية في دحض حجج الفوائد المدنية» هو نفسه كتاب «الفوائد المكية» للسيد نور الدين علي بن علي بن الحسين الموسوي العاملي (ت ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م)، كما ذكر الشيخ الطهراني في الذريعة: ج ١٤ ص ٢٤٤. وهذه الطبعة الإيرانية الحجرية كانت هي المتاحة إلى أن أعادت نشره دار النشر لأهل البيت عليهم السلام، قم، إيران ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(١) هو المعروف بالمجلسي الأول، وقد قال الحر العاملي في أمل الآمل: ج ٢ ص ٢٥٢ رقم ٧٤٢: «كان فاضلاً، عالماً، محققاً، متبحراً، زاهداً، عابداً، ثقة، متكلماً، فقيهاً. له كتب منها: شرح الصحيفة، وحديقة المتقين، وشرح من لا يحضره الفقيه فارسي، وشرح آخر عربي، ورسالة في الرضاع، وغير ذلك. وهو من المعاصرين».

وقال عنه السيد علي البروجردي في طرائف المقال: ج ٢ ص ٣٩١: «المولى محمد تقي بن مقصود علي: والد العلامة المجلسي، وكان فاضلاً محدثاً ورعاً ثقة، ونسب إلى التصوف كما اشتهر بين جملة ممن يقول بالتصوف، إلا أنّ مولانا المجلسي قد نزهه عن ذلك

ومن الغريب أن يكون هذا الشيخ أخبارياً ومتصوفاً في آن واحد؛ فإنّ عداء الأخباريين المحدثين للتصوف أمر شائع؛ ولكن كما يقول كولن يترنر: «وكان من تقوى محمد تقي ومصابرته في الصلاة والعبادة أن صار -كما نقل الآقا أحمد الكرمنشاهي- متهماً بالتصوف. ومن غير الممكن معرفة مدى ميل محمد تقي المزعوم إلى التصوف أو جدّيّة هذا الميل، لكن من الواضح أنه كثيراً ما تردد إلى جلسات الصوفية، وقد أقام علاقات طيبة مع أعضاء متعددين في الطرق الصوفية.. ويُنسب إلى محمد تقي رسالة صغيرة عنوانها (تشويق السالكين)، حيث يجاهر بولائه للطريقة الذهبية. وفيها يبدو أنّ المؤلف متفق مع حيدر الآملي، الذي سبق وأعلن أنّ التصوف ومذهب الإمامية هما في الأصل شيء واحد؛ فهو يرى وجوب الدفاع عن التصوف والعرفان في وجه العلوم الرسمية»[1].

و«يمكن النظر إلى رعاية الشاه عباس الثاني لمحمد تقي على أنها قرينة تضاف إلى الأدلة على ميوله الصوفية؛ حيث كان الشاه يفضّل العلماء (اللابرانيين=الجوانيون)[2]، وشهد عصره ذروة التصوف الراقي والفلسفة العرفانية. وقد أوغل عباس الثاني في إبداء احترامه لمثقفي الصوفية؛ وكلّف محمد تقي بكتابة شرح فارسي على من لا يحضره الفقيه»[3].

في بعض رسائله، فنقل عنه بأنه قال على ما هو ملخصه: وإياك أن تظن بالوالد أنه من الصوفية، وإنّما كان يظهر أنه منهم لأجل التوصل إلى ردهم عن اعتقاداتهم الباطلة... وهذا الشيخ أجل من أن يفترى عليه وينسب إلى التصوف، ويكفينا شهادة ولده الأجل بالنفي وهو أدرى بحاله، مضافاً إلى ملاحظة مقالاته الحسنة في كتبه».

وقال الشيخ جعفر السبحاني بعد نقله لكلام الحر في كتابه: تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٩٥: «يعد شرحه على الفقيه باسم «روضة المتقين» من أفضل الشروح الذي يعرب عن تضلّع الشارح بالأدب والرجال والفقه والحديث، وقد طبع في اثني عشر جزءاً».

(١) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٥٣.

(٢) يرى مؤلف كتاب (التشيع والتحول في العصر الصفوي) أنه قد ظهرت مجموعتان من العلماء: «البرانيون» الذين تركزت جهودهم العلمية على معرفة أوامر الله، أي الشريعة ومن ثم الإسلام، و«الجوانيون» الذين ركزت تعاليمهم إجمالاً على معرفة النفس ومعرفة الله وتعميق الإيمان.

(٣) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٥٣-٢٥٤.

ويضاف إلى ذلك تأييد آخر أنّ «أعنف خصومه هو الفقيه عدو التصوف اللدود محمد طاهر القمي، الذي كتب رداً جدلياً عنيفاً على التصوف وأجيب فوراً برسالة منسوبة إلى محمد تقي»[١].

وكان عدوه الآخر المير لوحي، الذي «بلغ من عداوته أنه استحسن تدنيس ضريح الحافظ أبي نعيم، جد المجلسيين والصوفي الشهير»[٢].

ولكن الأستاذ دانش بزوه يؤكد «أنّ ميول محمد تقي قد تغيرت جذرياً بعد رحلته إلى النجف عام ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م؛ إذ يبدو أنه تحوّل بعدها عن التصوف وانحاز إلى الفقهاء»[٣].

ويرى المحقق الميرزا محمد خان القزويني «أنّ هؤلاء العلماء بذلوا مساعيهم المشكورة في توحيد إيران مذهبياً -ونتج عن هذه الوحدة السياسية للبلاد- وأقاموا أساس إيران الموجود...، لكنهم من ناحية أخرى لم يكفهم أنهم أهملوا الأدب والشعر والعرفان والتصوف أو كل ما يتعلق بالكماليات بحد قولهم (في مقابل الشرعيات)، ولم يعنوا بتوسيعها والرقي بها بل إنهم سلكوا بشتى الطرق إيذاء ممثلي هذه (الكماليات) واستحقارهم؛ لأنّ هؤلاء الممثلين المذكورين في الأغلب لم يخضعوا بالكامل إلى قوانين التشيع ومراسمه، وقد خصوا الصوفية بأقسام الشدة والعنف وحكموا عليهم بالنفي والتشريد والقتل والعقاب، وجعل العلماء إما بأنفسهم أو بحسب فتاويهم بضعاً آخر ضربة للسيوف أو طعمة للنار،... ولهذا ودع الأدب والشعر والعرفان إيران في العهد الصفوي، وانهدمت الصوامع والتكايا والخلو والخانقاوات المتعلقة بالصوفية...»[٤].

٣- الشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي (ت ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م).

---

(١) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٥٥.
(٢) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٥٥.
(٣) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٥٤.
(٤) تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٣٤-٣٥.

صاحب كتاب هداية الأبرار[1].

٤- المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م). صاحب كتاب الوافي، وتفسير الصافي، والأصول الأصلية، ونقد الأصول الفقهية، ورسالة الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين[2].

---

(١) قال خير الدين الزركلي في كتاب الأعلام: ج ٢ ص ٢٣٥-٢٣٦: «حسين بن شهاب الدين حسين بن جاندار البقاعي الكركي العاملي: أديب، من الشعراء العلماء. كان متكلماً حكيماً. سكن أصفهان، وانتقل إلى حيدر آباد، فأقام إلى أن توفي فيها. من كتبه (شرح نهج البلاغة) كبير، و(عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر) و(هداية الأبرار) في أصول الدين، وكتاب في (الطب) كبير، ومختصر في (الطب) و(مختصر الأغاني) و(الإسعاف) وأرجوزتان في (النحو) و(المنطق) وديوانان أحدهما للمدائح سماه (كنز اللآل) والثاني للأهاجي سماه (السلاسل والأغلال) وشعره جيد».

وقد تابع الزركلي الحر العاملي في وصف كتاب «هداية الأبرار» بأنه في أصول الدين، وقد قال الشيخ الطهراني عن الكتاب في الذريعة: ج ٢٥ ص ١٦٧: «ذكره المحدث الحر وقال إنه في أصول الدين. لكن الموجود مرتب على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.. المقدمة في بيان محل النزاع بين من قال بالاجتهاد ومن نفاه، والأبواب في بيان صحة الأحاديث الموجودة، وأنها حجة، وأن بكل واقعة حكما معينا وعليه دليل قطعي، وبيان كيفية عمل القدماء، وإثبات بطلان بدعة الاجتهاد والتقليد، وطريق الاحتياط، والغنى عن علم الأصول، وذكر غفلات المتأخرين». وقد طبع كتاب «هداية الأبرار» غير مرة: منها الطبعة التي صححها وقدم لها الأستاذ رءوف جمال الدين، المكتبة الوطنية، بغداد، العراق ١٩٧٧م.

(٢) قال الحر العاملي في أمل الأمل - ج ٢ ص ٣٠٥ رقم ٩٢٥: «المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني، كان فاضلاً عالماً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً، شاعراً أديباً، حسن التصنيف، من المعاصرين، له كتب منها: كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أنّ فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط، وكتاب عين اليقين، وكتاب حق اليقين، وكتاب علم اليقين، وكتاب الأصول الأصيلة، ورسالة الجمعة، وترجمة الصلاة، والكلمات الطريفة، ورسالة في التفقه، ورسالة في نفي التقليد، والنخبة، ومفاتيح الشرايع، ومنهاج النجاة، وكتاب معتصم الشيعة في أحكام الشريعة يجمع الأقوال والاستدلال خرج منه كتاب الصلاة، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الإحياء، وكتاب ميزان القيامة، وكتاب مرآة الآخرة، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاووس، وكتاب نقد الأصول الفقهية، وكتاب خلاصة الأذكار، وكتاب ترجمة العقائد، وكتاب مرآة الصواب،

وكان الفيض الكاشاني -إضافة إلى أخباريته- صوفياً متكلماً فيلسوفاً، وصهراً للفيلسوف الأشهر الملا صدرا، وكان محل رعاية الشاه عباس الثاني القصوى؛

وكتاب النخبة الصغرى، وكتاب النخبة الكبرى، وكتاب جهاز الأموات، وكتاب الضوابط الخمس في أحكام الشك والسهو والنسيان، ورسالة ولاية عقد البكر، وكتاب الأحجار الشداد والسيوف الحداد في كسر الجواهر والأفراد يشتمل على عشرين دليلا في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ، وكتاب الانتخابات لمصنفات العلماء، وكتاب غنية الأنام في معرفة الساعات والأيام، وكتاب مدرك الساعات، ورسالة في فهرست مؤلفاته وذكر فيها أربعا وعشرين كتابا، وغير ذلك. وقد ذكره السيد ميرزا علي بن أحمد في السلافة وأثنى عليه ثناء بليغاً».

وذكر الشيخ جعفر السبحاني في تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٩٧؛ أنّ الفيض الكاشاني أخذ الحديث عن السيد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني، وروى عنه وعن الشيخ بهاء الدين العاملي، وأخذ الحكمة والفلسفة عن أستاذه صدر المتألهين الشيرازي وهو صهر له، ومن أحسن كتبه كتاب «الوافي» الذي جمع فيه أحاديث الكتب الأربعة، وفرغ منه سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م، كما أنّ من أحسن تصانيفه في الفقه «مفاتيح الشرائع» الذي شرحه المحقّق البهبهاني، وله «المحجة البيضاء في إحياء كتاب الإحياء» وهو تهذيب وتنوير لكتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي. وقال الشيخ السبحاني: «والحقّ أنّ الفيض يعد من الشخصيات التي حام حولها غموض كثير؛ فمن جانب نجد أنه يميل إلى التصوّف والعرفان، ومن جانب آخر يكب على الحديث وجمعه».

أقول: وهذه النزعة الصوفية العرفانية الحكمية التي أفادها الفيض الكاشاني من أستاذه وصهره الحكيم صدر المتألهين الشيرازي، ثم مزجها بتوجهه الأخباري - لها دور ظاهر في تحديده لكيفية تفقه البصير أو الفقيه المجتهد من وجهة نظره؛ فتراه يقول: «أما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوة قدسية وزهد في الدنيا وورع في الدين، فكيفية التفقه عنده أن يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات أحاديث أهل البيت عليهم السلام مما صح عنهم، فيستفهم منها ما يجب اعتقاده، وما يجب أن يعمل به، ويشيده بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم، ويؤيده بواردات ترد على ذهنه المصفى بأعماله الصالحة المرضية وقلبه المنور بنور أخلاقه المهذبة الزكية... ولا تظنن أن خواص المؤمنين إنما آمنوا بالله واليوم الآخر بمجادلات المتكلمين وأدلة المجادلين هيهات! هيهات! وإنما عرفوا الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع. واجتماع النور الداخل مع اجتماع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس في الرؤية» .. الفيض الكاشاني: الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين: ص ٤-٥. تصحيح ونشر مير جلال الدين الحسيني الآرموي المحدث. سازمان چاب دانشگاه. إيران ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. وراجع ترجمته وبيان طرف من آرائه عند الشيخ عبد الله نعمة: فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم: ص ٦٠١-٦٠٤.

حيث أمر الشاه «طبيبه الخاص، حكيم كوجك -وهو نفسه فيلسوف قدير- ببناء زاوية صوفية للكاشاني في أصفهان»[١].

وقد بلغت العلاقة بين الكاشاني والشاه عباس الثاني «مبلغاً جعل الكاشاني يستخف بأوامر الشاه وطلباته دون أدنى وجل من السخط والعقاب الملكيين. ففي سنة ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م، كتب الشاه إلى الكاشاني يأمره بالذهاب إلى أصفهان وإقامة صلاة الجمعة هناك. وقد تأخر الكاشاني، الذي كان حينها مقيماً في كاشان، أشهراً عدة للإجابة؛ ثم أجاب بأنه يفضل البقاء في بلدته وإقامة الصلاة مع أهلها، وأنّ المجيء إلى أصفهان «متعارض مع رغبتي في السكينة والاعتزال»[٢].

٥- الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المَشَغْري (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م). صاحب كتاب وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، وكتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة[٣].

---

(١) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٣٩.

(٢) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٣) قال السيد علي البروجردي في طرائف المقال: ج ١ ص ١٧٣: «الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي المشغري، المشغري بسكون الثالثة مع فتح الأولين قرية من قرى جبل عامل، وكان عالماً فاضلاً محدثاً أخبارياً، يروي عن جماعة، منهم الشيخ زين الدين، له كتب كثيرة».

وذكر السيد محسن الأمين العاملي ترجمته في: أعيان الشيعة: ج ٩ ص ١٧١؛ أنه ولد في قرية مشغرى، ليلة الجمعة ثامن رجب سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م كما ذكره هو في ترجمة نفسه بكتابه أمل الآمل، وتوفي في المشهد المقدس الرضوي بطوس سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م عن إحدى وسبعين سنة، ودفن في إيوان بعض حجر الصحن الشريف. ثم ذكر في بيان طريقته وأحواله أنه كان أخباريًّا صرفاً. ثم قال: «قد رزق المترجم حظاً في مؤلفاته لم يرزقه غيره؛ فكتابه الوسائل عليه معول مجتهدي الشيعة من عصر مؤلفه إلى اليوم، وما ذاك إلا لحسن ترتيبه وتبويبه، والوافي لملا محسن الكاشاني أجمع منه ومع ذلك لم يرزق من الحظ ما رزقته الوسائل لصعوبة ترتيبه، وربما كان مؤلفه أكثر تحقيقا من صاحب الوسائل. وكان لبحر العلوم الطباطبائي اعتناء خاص بالوافي وكان يدرس فيه وأمر تلميذه صاحب مفتاح الكرامة بجمع تقريرات ذلك الدرس، ومع ذلك كله لم يجر الوافي مع الوسائل في حلبة. وكم صنف العلماء

٦ - السيد هاشم بن السيد سليمان التوبلي الكتكاني البحراني (ت ١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م). صاحب تفسير البرهان، الذي جمع فيه المأثور من الروايات في التفسير(١).

٧- المولى محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م). صاحب بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار، أكبر موسوعة حديثية عند الشيعة الاثني عشرية(٢).

في أحوال الرجال فلم يرزق كتاب من الاشتهار ما رزقه أمل الآمل على اختصاره وكثرة انتقاد الناس إياه ووضع عدة كتب في أعصار كثيرة باسم تكملة أمل الآمل».

(١) قال عنه الحر العاملي في أمل الآمل: ج ٢ ص ٣٤١ رقم ١٠٤٩: «فاضل عالم ماهر مدقق فقيه عارف بالتفسير والعربية والرجال، له كتاب تفسير القرآن كبير، رأيته ورويت عنه».

وقال المحدث البحراني في لؤلؤة البحرين: ص ٦ رقم ١٩: «وكان فاضلاً، محدثاً، جامعا، متتبعاً للأخبار بما لم يسبق إليه سابق سوى شيخنا المجلسي...، وانتهت إليه رئاسة البلد، فقام بالقضاء في البلاد وتولّى الأمور الحسبية أحسن قيام، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من الأتقياء المتورّعين، ومن مصنفاته «البرهان في تفسير القرآن» في ستة مجلدات».

وقال عنه الشيخ جعفر السبحاني في كتاب تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٩٩-٤٠٠: خدم الحديث على وجه الإطلاق خدمات جليلة، فكتابه «معالم الزلفى في النشأة الأخرى» خير شاهد على تبحّره وتضلّعه في الحديث، وكتابه الآخر المسمى «غاية المرام» في فضائل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام يذكر فيه أحاديث الفريقين الواردة في هذا المجال، ويعرب عن تضلّعه بالحديث، وإحاطته بما في الصحاح والسنن والمسانيد من الروايات في فضائل أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولو أتيحت له الفرصة مثلما أتيحت لشيخنا المجلسي الثاني لصنَّف موسوعة كبيرة على غرار البحار، أو أحسن منها».

(٢) قال عنه الحر العاملي في أمل الآمل: ج ٢ ص ٢٤٨ رقم ٧٣٣: «عالم فاضل ماهر محقق مدقق علامة فهامة فقيه متكلم محدث ثقة ثقة جامع للمحاسن والفضائل، جليل القدر، عظيم الشأن أطال الله بقاءه. له مؤلفات كثيرة مفيدة منها: كتاب بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار يجمع أحاديث كتب الحديث كلها إلا الكتب الأربعة ونهج البلاغة فلا ينقل منها إلا قليلا مع حسن الترتيب وشرح المشكلات وهو خمسة وعشرون مجلداً ..، وهو من المعاصرين رويت عنه جميع مؤلفاته وغيرها إجازة».

وقال عنه الشيخ جعفر السبحاني في كتاب تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٤٠٠:

لقد كان رَحِمَهُ الله في شبابه حريصاً على طلب العلوم بأنواعها؛ المعقول والمنقول، وأنه تيسر له ذلك؛ فهو يقول: «أني كنت في عنفوان شبابي حريصاً على طلب العلوم بأنواعها، مولعاً باجتناء فنون المعالي من أفنانها، فبفضل الله سبحانه وردت حياضها، وأتيت رياضها، وعثرت على صحاحها ومراضها، حتى ملأت كمّي من ألوان ثمارها، واحتوى جيبي على أصناف خيارها، وشربت من كل منهل جرعة روية وأخذت من كل بيدر حفنة مغنية»[1].

ولكنه بعد التأمل في ما ينفع من العلوم أيقن أنّ «العلم كله في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأخبار أهل بيت الرسالة الذين جعلهم الله خزاناً لعلمه وتراجمة لوحيه»[2].

ولذا اتخذ قراراً مصيرياً حيث قال: «فتركت ما ضيعت زماناً من عمري فيه، مع كونه هو الرائج في دهرنا، وأقبلت على ما علمت أنه سينفعني في معادي، مع كونه كاسداً في عصرنا. فاخترت الفحص عن أخبار الأئمة الطاهرين الأبرار سلام الله عليهم، وأخذت في البحث عنها، وأعطيت النظر فيها حقه، وأوفيت التدرّب فيها حظه»[3].

إنّ رفض الشيخ المجلسي للمعقول يعني أنه ركز جهوده بشكل شبه حصري

«هو أجلّ من أن يعرّف، وقد ألّف شيخنا المحدّث النوري رسالة في ترجمته أسماها «الفيض القدسي في ترجمة المجلسي» ذكر فيها جملاً من مناقبه وفضائله ومشايخه وتلامذته وذريته وذرية والده. وكفاه فخراً أنه ألّف دائرة معارف للشيعة يوم لم يكن أيّ أثر لهذا اللون من التأليف بين الأوساط الإسلامية، ويتلوه في المكانة كتابه الآخر المسمّى «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» وهو شرح للكافي، شرح فيه أحاديثه طبعت في ستة وعشرين جزءاً. وله كتاب ثالث وإن لم يكن بمنزلة السابقين وهو كتاب «ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار» وقد طبع في اثني عشر جزءاً. وأما موسوعته الكبرى، أعني «بحار الأنوار» فقد طبعت في ١١٠ أجزاء».

(١) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ١ ص ٣.

على ترويج الفقه والحديث، وهما دعامتا المنقول المركزيتان.

ويذهب التنكابني إلى أنّ سبب اتخاذ المجلسي هذا القرار، هو أنّ المجلسي كان يدرّس في علم المعقول، فشرح للطلاب يوماً مذهب الدهرية مع دليلهم فما كان من أحد الطلاب إلا أن اعتنق مذهبهم قائلاً إنّ « مذهب الماديين هو المذهب الحق »؛ وعندما حاول المجلسي نقض الاستدلال عجز عن ذلك. فأوقف الدرس فجأة وأقسم أن لا يعود بعدها لدراسة الكلام والفلسفة[1]. كما أنه حث الآخرين على ترك الغوص في العلوم العقلية.

ويروي المير محمد حسين الخواتون آبادي، سبط المجلسي وتلميذه، أنه كان في حداثة سنه حريصاً على فنون الحكمة والمعقول إلى أن صحبه في طريق الحج، فاقتفى أثره وأخذ في تتبع كتب الفقه والحديث وعلوم الدين[2].

كما أنّ المجلسي طلب من السيد نعمة الله الجزائري أن يكفّ عن إتمام رسالته الحكمية العرفانية العالية المسماة مقامات النجاة، التي كان قد بدأها والمشتملة على تحليل أسماء الله الحسنى ومعانيها الباطنية[3].

ولقد كان الملا صدرا ينقض طريقة الفقهاء الذين أخذوا على عاتقهم مناوئة المعقول من دون دقة، ولذا نراه يقول: « وأشدّهم عداوة للذين آمنوا من الحكماء والربّانيين، هذه الطائفة المجادلة المخاصمة، الذين يخوضون في المعقولات وهم لا يعرفون المحسوسات، ويتعاطون البراهين والقياسات وهم لا يحسنون الرياضيات، ويتكلّمون في الإلهيّات وهم يجهلون الطبيعيّات. وأكثر ما يجادلون به من المسائل المموّهة المزخرفة التي لا حقيقة لها ولا وجود إلا في الأوهام الكاذبة، لا يصح لمدّع فيها حجة ولا لسائل عنها برهان، وإذا سئلوا عن حقيقة أشياء هم مقرّون بها عند أكثر الناس، لا يحسنون أن يجيبوا عنها، فإذا استعصي عليهم البحث

(١) قصص العلماء: ص ٢٢٤.
(٢) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٦٥-٢٦٦، عن الفيض: ص ٢٩.
(٣) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٦٦.

أنكروها وجحدوها ويأبون أن يقولوا لا ندري، الله أعلم ورسوله. نعم عباراتهم في غاية الفصاحة، وألفاظهم في نهاية الجودة والملاحة، فيوردون تلك الهوسات الفاسدة والعقائد الرديّة بأفصح العبارات، ويكتبونه بأوضح الخطوط في أصح الأوراق، ويسمعون الأحداث والعوام، ويصوّرونها في قلوبهم ويمكنونها في نفوسهم بحيث لن تنمحي أصلاً. ومع هذه الدواهي والمحن كلّها والمصيبة على أهل الدين، يدّعون أنّهم بهذه العقول الناقصة والأفهام القاصرة ينصرون الإسلام ويقوون الدين... »[١].

٨- الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م). صاحب تفسير نور الثقلين[٢].

٩- السيد نعمة الله بن عبد الله الحسيني الموسوي الجزائري (ت ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م). صاحب كتاب الأنوار النعمانية في بيان النشأة الإنسانية، وكتاب نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين، وهو شرح كتاب التوحيد للشيخ الصدوق[٣].

---

(١) الأسفار: ج ٥ ص ٨٥-٨٦.

(٢) قال الحر العاملي في أمل الآمل: ج ٢ ص ١٥٤ رقم ٤٤٩: « كان عالماً، فاضلًا، فقيهاً، محدثاً، ثقة، ورعاً، شاعراً، أديباً، جامعاً للعلوم والفنون، معاصراً، له كتاب « نور الثقلين في تفسير القرآن » في أربعة مجلدات، أحسن فيه وأجاد، نقل فيه أحاديث النبي والأئمة في تفسير الآيات من أكثر كتب الحديث، ولم ينقل فيه عن غيرهم، وقد رأيته بخطه واستكتبته منه. وله شرح لامية العجم، وله شرح شواهد المغني أيضا لم يتم، وغير ذلك ».. وتفسير نور الثقلين مطبوع في خمسة أجزاء بتحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي.

(٣) قال عنه الحر العاملي في أمل الآمل: ج ٢ ص ٣٣٦ رقم ١٠٣٥: « فاضل عالم محقق علامة جليل القدر، مدرس، من المعاصرين. له كتب منها: شرح التهذيب، وحواشي الاستبصار، وحواشي الجامي، وشرح الصحيفة، وشرح تهذيب النحو، ومنتهى المطلب في النحو، وكتاب في الحديث مجلد اسمه الفوائد النعمانية منسوب إلى اسمه، وكتاب آخر في الحديث اسمه غرائب الأخبار ونوادر الآثار، وكتاب الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية، وكتاب في الفقه اسمه هدية المؤمنين، وحواشي مغني اللبيب، وغير ذلك ».

وقال الميرزا عبد الله الأفندي في رياض العلماء: ج ٥ ص ٢٥٣: « فقيه، محدث، أديب، متكلم، معاصر، ظريف، مدرس، والآن هو شيخ الإسلام من قبل السلطان بتستر ».

١٠- عبد الله بن صالح البحراني السماهيجي (ت ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م). صاحب كتاب جواهر البحرين في أحكام الثقلين، وكتاب منية الممارسين في أجوبة مسائل الشيخ ياسين[1].

١١- الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) صاحب كتاب الحدائق الناضرة، والدرة النجفية[2].

والسيد الجزائري هو رأس المستدلين من الأخباريين على القول بتحريف القرآن الكريم على أساس الأخبار التي يصرح بأنها متواترة عندهم في هذا المعنى، وأنّ المخالف لذلك من شيوخ طائفته إنّما يُحمل مذهبه على التقيّة وتحقيق المصالح السائدة في زمانه.. راجع كتابه «الأنوار النعمانية». وراجع تبرؤ الأصوليين في كتاب (صيانة القرآن من التحريف) للشيخ محمد هادي معرفة: ص ١١٣-١١٤ و ص ١٩٧-٢٠٨.

(١) قال السيد علي البروجردي في طرائف المقال: ج ١ ص ٦٩: «الشيخ عبد الله بن الحاج صالح بن جمعة السماهيجي أصلًا، وسماهج قرية من قرى جزيرة صغيرة بجنب جزيرة أوال من طرف المشرق، ثم انتقل منها مع أبيه وسكن قرية أبي إصبع. وهذا الشيخ كان أخبارياً صرفاً كثير الطعن على المجتهدين».

ونقل الشيخ جعفر السبحاني من ترجمته في إجازة السيد عبد اللّه حفيد السيد نصر الله الجزائري، في كتاب تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره - ص ٤٠٢: «كان عالماً، فاضلاً، محدّثاً، متبحراً في الأخبار، عارفا بأساليبها ووجوهها، بصيراً في أغوارها، خبيراً بالجمع بين متنافياتها وتطبيق بعضها على بعض، له سليقة حسنة في فهم الروايات، وأنس تام بمعانيها، كثير الاحتياط على طريقة الأخباريين، شديد الإنكار على أهل الاجتهاد، ومن إفراطه وغلوّه في هذا الباب منعه من العمل بظواهر الكتاب، ودعواه أنّ القرآن كلّه متشابه على الرعية، وهذه المقالة نقلها العلاّمة في «النهاية الأصولية» عن بعض الحشوية، واقتفى أثرهم طائفة من الأخباريين من المتأخرين».

وعن كتابه «جواهر البحرين في أحكام الثقلين» قال السيد إعجاز حسين النيسابوري (ت ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م) في كتابه كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار - ص ١٦٦ رقم ٨٢٢: «رتب فيه الأخبار وبوبها على نهج آخر غير ترتيب صاحب الوافي والوسائل، مقتصراً على كتب المحمدين الثلاثة وهي الأصول الأربعة، وخرج منه المجلد الأول في الطهارة وبعض من المجلد الثاني في الصلاة». وراجع أيضاً الشيخ الطهراني؛ الذريعة: ج ٥ ص ٢٦٥ رقم ١٢٦٣.

(٢) ترجم لنفسه في لؤلؤة البحرين: ص ٤٤٤-٤٥١. وقال عنه الخوانساري في روضات الجنات: ج ٨ ص ٢٠٣-٢٠٦: «العالم الرباني والعالم الإنساني شيخنا الأفقه الأوجه الأحوط الأضبط،

١٢- الشيخ محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع، المحدث النيسابوري، المعروف باسم الميرزا محمد الأخباري (ت ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م). صاحب كتاب الطهر الفاصل، وكتاب معاول العقول لقلع أساس الأصول، وكتاب كشف القناع عن عور الإجماع، وكتاب الميزان لمعرفة الفرقان[1].

يوسف بن أحمد بن إبراهيم ابن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور الدرازي البحراني صاحب «الحدائق الناضرة» و«الدرر النجفية» و«لؤلؤة البحرين» وغير ذلك من التصانيف الفاخرة الباهرة التي تلذ بمطالعتها النفس، وتقر بملاحظتها العين. لم يعهد مثله من بين علماء هذه الفرقة الناجية في التخلق بأكثر المكارم الزاهية، من سلامة الجنبة، واستقامة الدربة، وجودة السليقة، ومتانة الطريقة، ورعاية الإخلاص في العلم والعمل، والتخلي بصفات طبقاتنا الأول، والتخلي عن رذائل طباع الخلف الطالبين للمناسب والدول ...، كان أبوه الشيخ أحمد من أجلة تلامذة شيخنا الشيخ سليمان الماحوزي، وكان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً مجتهداً صرفاً، كثير التشنيع على الأخباريين، كما صرح به ولده شيخنا المذكور في إجازته الكبيرة المشهورة.. وكان هو -ﷺ- أولاً أخبارياً صرفاً، ثم رجع إلى الطريقة الوسطى، وكان يقول إنها طريقة العلامة المجلسي غواص «بحار الأنوار»... وجاور في كربلاء شرفها الله، واشتغل بإبراز المصنفات مواظباً على العبادات، مداوماً على الطاعات، إلى أن أدركه الأجل المحتوم، ونزل به القضاء الملزوم فجاور في تلك الحضرات العلية المجاورة الحقيقة. له ﷺ من المصنفات كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة». وهو كتاب جليل لم يعمل مثله جداً، فيه جميع الأقوال والأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار، إلا أنه طاب ثراه لميله إلى الأخبارية كان قليل التعلق بالاستدلال بالأدلة الأصولية التي هي أمهات الأدلة الفقهية، وعمدة الأدلة الشرعية ...».. وللشيخ ترجمة ضافية كتبها السيد عبد العزيز الطباطبائي، نشرت في صدر كتاب الحدائق الناضرة. تحقيق محمد تقي الإيرواني.

(١) قال عنه الخوانساري في روضات الجنات: ج ٧ ص ١٣٨-١٣٩: «لا شبهة في غاية فضله ووفور علمه وجامعيته لفنون المعقول والمنقول، إلا أنّه لما تجاهر بتحقير علمائنا الأعلام، صرف الله عنه قلوب أهل القلوب. وهو من المتطرّفين في الأخبارية. وله آثار كثيرة تدل على توقّده وذكائه. وقد ذكر النيسابوري سلسلة مشايخ الأخبارية بقوله: مولانا محمد أمين الاسترابادي الأخباري هو أوّل من تكلّم على المتأخّرين لمخالفتهم طريقة قدماء الأصحاب وأحسن وأتقن، ثم تكلّم المحدّث القاساني (هو الفيض الكاشاني) في «سفينة النجاة» بقليل لا يشفي العليل، ثم المحدّث العاملي في «الفوائد الطوسية» أتى بما يروي الغليل، ثم الشيخ حسين بن شهاب الدين العاملي في «هداية الأبرار» أشبع التفصيل، ثم الشيخ أبو الحسن الغروي أراد التكميل، وسادسهم مولانا رضي الدين القزويني في «لسان الخواص» أقام الدليل، والسابع هذا العبد الذليل».

ظهور الحركة الأخبارية وأطوارها التاريخية:

صرح بعض الأصوليين على أنّ الدعوة للمنهج الأخباري لم تقم إلا على دعوة من الشيخ محمد أمين الاسترآبادي (ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م)، ويوافقهم على ذلك بعض شيوخ الأخباريين أيضاً.

ومن أبرز أنصار هذا الرأي الشهيد السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ونقله أيضاً عن الشيخ محمد تقي الأصفهاني (ت ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، والشيخ جعفر السبحاني[1].

وهناك قول يذهب إلى أنّ كمال الدين درويش محمد بن الحسن العاملي كان «أول من نشر الحديث الشيعي بعد ظهور الدولة الصفوية»، وكان «كثير الجمود على الأخبار، منكراً لحجية ظواهر القرآن،... وترك العمل بها، متى لم يتحقق

وذكره عمر كحالة في معجم المؤلفين: ج ٩ ص ٣١ فقال: «محمد الأخباري (١١٧٨-١٢٣٢هـ/ ١٧٦٥-١٨١٧م) محمد الأخباري (جمال الدين) عالم أديب، شاعر. ولد في فرخ آباد من أرض الهند في ٢٢ ذي القعدة، وحج البيت الحرام، وجاور زمناً في النجف وكربلاء، ثم اضطر لمغادرة العراق إلى إيران واستوطن المشهد الرضوي، ثم اضطر للعودة إلى العراق فجاور في الكاظمية زمناً، وتوفي قتيلاً. من تصانيفه الكثيرة: تسلية القلوب الحزينة في عشر مجلدات ضخمة، دوائر العلوم، ذخيرة الألباب وبغية الأصحاب، معاول العقول لقلع أساس الأصول، وديوان شعر كبير».

وقال الشيخ جعفر السبحاني في كتاب تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٤٠٢: «ومن تأليفه «قبسة العجول في الأخبار والأصول» وقد رد عليه المحقق القمّي في كتاب أسماه «عين العين»، فلمّا وصل إلى يد الشيخ الأخباري رد عليه بكتاب آخر أسماه «إنسان العين في ردّ كتاب عين العين»، وقد ألّف دورة فقهية من الطهارة إلى الديات أسماها «التحفة». ومهما يكن في أمره غمة فقد تجاهر في الطعن بالعلماء والتشنيع بهم، ممّا حدا العوام إلى الهجوم عليه انتهى بقتله في الكاظمية».

(١) المعالم الجديدة للأصول: ص ١٠٢-١٠٣، ومصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين: ص ٥٤، وهداية المسترشدين: ج ٢ ص ٦٨٧-٦٨٨، وتاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٩٠-٣٩١.

تفسيرها من الأخبار»[1]. إضافة إلى نشاط بعضهم كماجد البحراني (ت ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م) الذي قيل أنه كان «أول من نشر الحديث بشيراز»[2].

لكن دعاة الأخبارية الأوائل يذهبون إلى أنّ «الأخبارية» كانت تمثل الخط الرئيس للشيعة الاثني عشرية قبل زمان الغيبة وبعده، وأنّ الأصوليين هم الذين انحرفوا عنه إلى منهج أهل السنة.

فالشيخ محمد أمين الاسترآبادي يصرّح بذلك، ويزعم السبق التاريخي للأخبارية بحيث تشمل جميع أصحاب الأئمة عليهم السلام ومن جاء بعدهم من أكابر محدثي القوم كالشيخ الكليني والشيخ الصدوق ووالده، وهو يطلق على هؤلاء اسم الأخباريين المتقدمين، ويرى أنّ تقسيم علماء الشيعة إلى أخباريين وأصوليين إنما عرف من بعدهم.

واستدل على ذلك من أقوال أهل السنة بقول محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الأشعري (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) عن الشيعة الإمامية: «وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختارت كل فرقة منهم طريقة؛ فصارت الإمامية بعضها معتزلة إما وعيدية وإما تفضيلية، وبعضها أخبارية إما مشبهة وإما سلفية»[3].

وقول المحقق الشريف محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) في كلامه عن الفرق من أواخر شرحه لكتاب المواقف: «وكانت الإمامية أولاً على مذهب أئمتهم حتى تمادى بهم الزمان فاختلفوا وتشعب متأخروهم إلى معتزلة إما وعيدية أو تفضيلية، وإلى أخبارية يعتقدون ظاهر ما ورد به الأخبار المتشابهة، وهؤلاء ينقسمون

(١) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ص ٢٧٧؛ عن منية المرتاد في ذكر نفاة الاجتهاد للميرزا محمد الأخباري.

(٢) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ص ٢٧٨؛ عن منية المرتاد في ذكر نفاة الاجتهاد للميرزا محمد الأخباري.

(٣) الملل والنحل: ج ١ ص ١٤٦-١٤٧.

إلى مشبهة يُجرون المتشابهات على أنّ المراد بها ظواهرها، وسلفية يعتقدون أن ما أراد الله بها حق بلا تشبيه كما عليه السلف، وإلى ملتحقة بالفرق الضالة»[١].

وممن غفل عن ذكرهم في هذا المجال فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)؛ الذي يشير أيضاً إلى بيان السبق التاريخي لهذا التقسيم، ففي مبحث أخبار الآحاد قال: «وأما الإمامية فالأخباريون منهم مع أنّ كثرة الشيعة في قديم الزمان ما كانت إلا منهم، فهم لا يعولون في أصول الدين فضلاً عن فروعه إلا على الأخبار التي يروونها عن أئمتهم. وأما الأصوليون فأبو جعفر الطوسي وافقنا على ذلك، فلم يبقَ ممن ينكر العلم هذا إلا المرتضى مع قليل من أتباعه، فلا يستبعد اتفاق مثل هذا الجمع على المكابرة في الضروريات. ومما يحقق ذلك أنه قال: إنهم يقسمون بالله على أنهم لا يعلمون بل لا يظنون، ونحن نعلم بالضرورة أن هذه الروايات وإن تقاصرت عن العلم إلا أنها ما تقاصرت عن الظن؛ فعلمنا أن غرض المرتضى مما ذكر محض المكابرة»[٢].

ومن الخاصة (الشيعة) ذكر الأمين الاسترابادي كلاماً للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) في كتابه «نهاية الأصول» مقارباً لما سبق من كلام الإمام الرازي؛ فقد قال في مبحث العمل بخبر الواحد الخالي عن القرائن: «أما الإمامية فالأخباريون منهم لم يعولوا في أصول الدين وفروعه إلا على أخبار الآحاد المروية عن الأئمة عليهم السلام، والأصوليون منهم كأبي جعفر الطوسي وغيره وافقوا على خبر الواحد، ولم ينكره سوى المرتضى وأتباعه لشبهة حصلت لهم»[٣].

ويعتبر نص العلامة الحلي أقدم نص شيعي يقوم على تقسيم المدرسة الشيعية إلى ثنائية: أخبارية وأصولية.

---

(١) شرح المواقف: ج ٨ ص ٣٩٢، والمواقف: ص ٤٢٣.
(٢) المحصول في علم أصول الفقه: ج ٤ ص ٣٨٤.
(٣) أنظر: الفوائد المدنية: ص ٤٤؛ والوافية في أصول الفقه: ص ١٦٠؛ وفرائد الأصول: ج ١ ص ٣٣٣.

هذه الشواهد تؤكد وجود تيارين في الوسط الشيعي منذ قديم الأيام، ومن ثم فالأخبارية ليست ظاهرة محدثة بل ممتدة في التاريخ، وهو ما سعى رجال الأخبارية دوماً لتأكيده في مصنفاتهم، كما عرفنا ذلك في نصوص الأمين الاسترابادي.

وجاء من بعده الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، فزعم فوق ما نقله من كلام الاسترآبادي «أنّ رئيس الأخباريين هو النبي ﷺ ثم الأئمة عليهم السلام لأنهم ما كانوا يعملون بالاجتهاد، وإنما كانوا يعملون في الأحكام بالأخبار قطعاً، ثم خواص أصحابهم، ثم باقي شيعتهم في زمانهم»[1].

وقد كان الفيض الكاشاني يتكلم عن افتراق الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ فرقتين: «فرقة قالوا بالإجماع في تعيين الإمام، وبإتباع المتشابهات في العقائد والأحكام مضافاً إلى المحكمات؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل واختيار المدلول قبل اختيار الدليل، وهم أصحاب أبي بكر بن أبي قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي ومن يحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والرأي في كل شيء... وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الإمام والاقتصار على إتباع المحكمات في العقائد والأحكام، وقوفاً على ما جاء به الوحي والتنزيل، واتقاء عما كاد يفضي إلى الضلال والتضليل، وهم أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام ومن يقتدي بهداهم من الذين لا يعولون إلا على النصوص بالخصوص في كل شيء، مسلّمين لإمامهم الآخذ علمه من الله ومن رسوله في كل ما أنهاه إليهم في شيء شيء، مطيعين لما أمرهم الله تعالى حيث قال: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[2]. وحيث قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[3]»[4].

---

(١) الفوائد الطوسية الحر العاملي: ص ٤٦٦.
(٢) النحل: ٤٣.
(٣) النساء: ٥٩.
(٤) الحق المبين الفيض الكاشاني: ص ٣-٤.

ويعلل الفيض الكاشاني ظهور «الأصولية» بعد زمان الغيبة في طائفته دون أن ينال منهم أو يتبرأ تبرؤ الأمين الاسترآبادي؛ فيقول: «وأما ما ترى من اجتهاد بعض متأخري أصحابنا وتدوينهم الأصول وخوضهم في الفضول؛ فإنما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم [يعني أهل السنة]، كما بينا وجهه في مسفوراتنا، مع احتمال أن يكون سبب حدوثه فيهم أولا مصلحة رأوها، ومماشاة مع مخالفيهم راعوها؛ لئلا يزعموا أن دقائق العلم ليست فينا، ثم صار ذلك شبهة لمن تأخر عنهم جرت فيهم، ثم سرت في ذويهم. وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا، ولا سببا لإلحاقهم بالفرقة الأولى -حاشاهم عن ذلك- فإن لهم حقوقا جمة على هذه الفرقة الناجية الجليلة لترويجهم المذهب الحق بمساعيهم الجميلة، ورفعهم جل التقية عن كثير من العباد والبلاد، فجزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع أئمتهم يوم التناد»[1].

ولذا اعتبر الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) القميين وغيرهم أساطين الأخباريين، بل الطوسي نفسه عند الشيخ البحراني أصولي في مثل كتاب الخلاف والمبسوط وأخباري في مثل كتاب النهاية والتهذيب والاستبصار[2].

لكن هذا المذهب مرفوض بين فقهاء «الأصولية»؛ حيث قال السيد محمد باقر الصدر -حينما انتقد استشهاد الشيخ محمد أمين الاسترآبادي في فوائده المدنية على قدم دعواه الأخبارية، بذكر العلامة الحلي لطائفة من علماء الإمامية باسم الأخباريين-: «الحقيقة أنّ العلامة الحلي يشير بكلمة الأخباريين في حديثه إلى مرحلة من مراحل الفكر الفقهي، لا إلى حركة ذات اتجاه محدد في الاستنباط، فقد كان في فقهاء الشيعة منذ العصور الأولى علماء أخباريون يمثلون المرحلة البدائية من التفكير الفقهي، وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم الشيخ الطوسي في كتاب «المبسوط»، وعن ضيق أفقهم، واقتصارهم في بحوثهم الفقهية على أصول

---

(١) الحق المبين الفيض الكاشاني: ص ٤.

(٢) الحدائق الناظرة: ج ١ ص ٢٦٦ و ج ٢٤ ص ٣٧.

المسائل، وانصرافهم عن التفريع والتوسع في التطبيق. وفي النقطة المقابلة لهم الفقهاء الأصوليون الذين يفكرون بذهنية أصولية، ويمارسون التفريع الفقهي في نطاق واسع؛ فالأخبارية القديمة إذن تعبر عن مستوى من مستويات الفكر الفقهي لا عن مذهب من مذاهبه»[١].

ويعزو السيد الصدر -بعد ذلك- هذا الرأي إلى المحقق الأصولي الشيخ محمد تقي الأصفهاني (ت ١٢٤٨هـ/ ١٨٦٧م)، وإلى الفقيه الأخباري الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)، ويوثق ذلك بنقل كلامهما الدال عنده على أنّ محمد أمين الاسترآبادي هو أول من جعل الأخبارية مذهباً مقابلاً للأصولية.

وقد أصاب السيد الصدر فيما يتعلق ببيان رأي المحقق الأصولي الشيخ محمد تقي الأصفهاني؛ إذ يرد على توظيف الأخباريين لنص العلامة الحلي المشار إليه بأنّ هذا النص لا يشير إلى حركة ذات اتجاه محدد بقدر ما يشير إلى مرحلة من مراحل الفكر الفقهي كانت تتسم بالبدائية[٢].

قال الشيخ محمد تقي الأصفهاني ما نصه: «فإن قلت: إنّ علماء الشيعة قد كانوا من قديم الزمان على صنفين: أخباري، وأصولي، كما أشار إليه العلامة في النهاية وغيره. قلت: إنه وان كان المتقدمون من علمائنا أيضاً على صنفين، وكان فيهم أخبارية يعملون بمتون الأخبار، إلا أنه لم يكن طريقتهم ما زعمه هؤلاء، بل لم يكن الاختلاف بينهم وبين الأصولية إلا في سعة الباع في التفريعات الفقهية، وقوة النظر في القواعد الكلية، والاقتدار على تفريع الفروع عليها... وأنت إذا تأملت لا تجد فرقاً بين الطريقتين إلا من جهة كون هؤلاء أرباب التحقيق في المطالب، وأصحاب النظر الدقيق في استنباط المقاصد، وتفريع الفروع على القواعد، ولذا اتسعت دائرتهم في البحث والنظر، وأكثروا من بيان الفروع والمسائل، وتعدوا عن

---

(١) المعالم الجديدة للأصول: ص ٨٠-٨١.

(٢) المعالم الجديدة للأصول: ص ١٠٢-١٠٣؛ ومصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين: ص ٥٤.

متون الأخبار إلى ما يستفاد منها بالفحوى أو بطريق الالتزام أو غيرهما، وأولئك المحدثون ليسوا غالباً بتلك القوة من الملكة وذلك التمكن من الفن، فلذا اقتصروا على ظواهر الروايات ولم يتعدوا غالباً عن ظاهر مضامينها، ولم يوسعوا الدائرة في التفريعات على القواعد، وأنهم لما كانوا في أوائل انتشار الفقه وظهور المذهب كان من شأنهم تنقيح أصول الأحكام التي عمدتها الأخبار المأثورة عن العترة الطاهرة، فلم يتمكنوا من مزيد إمعان النظر في مضامينها، وتكثير الفروع المتفرعة عليها، ثم إنّ ذلك إنما حصلت بتلاحق الأفكار في الأزمنة المتأخرة، ولا زالت تتزايد بتلاحق الأعصار وتزايد الأفكار»[١].

وأما الاستشهاد بكلام المحدث البحراني؛ ففيه نظر وفي النفس منه شيء؛ لأنّ البحراني لا ينفي سبق وجود الأخباريين في الشيعة الاثنا عشرية؛ بل يؤكد أنه لم يكن بينهم وبين الأصوليين خصومة ظاهرة ولا تعدّي حتى ظهر الأمين الاسترآبادي فأعلن الخصومة، وشرع في التطاول على علماء الأصوليين. والبحراني يذكر ابن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) على أنه رئيس الأخباريين في زمانه[٢]، ويذكر الأمين الاسترآبادي على أنه المجدد لمذهب الأخباريين في الزمان الأخير، وتراه يقول في آخر مقدمات الحدائق الناضرة: «العصر الأول كان مملوءاً من المحدثين والمجتهدين، مع أنه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف، ولم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الأوصاف، وإن ناقش بعضهم بعضاً في جزئيات المسائل واختلفوا في تطبيق تلك الدلائل...؛ ولكن ربما حاد بعضهم أخبارياً كان أو مجتهداً عن الطريق غفلة أو توهما أو لقصور اطلاع أو قصور فهم أو نحو ذلك في بعض المسائل؛ فهو لا يوجب تشنيعا ولا قدحا...، وقد ذهب رئيس الأخباريين الصدوق -رحمه الله تعالى- إلى مذاهب غريبة لم يوافقه عليها مجتهد ولا أخباري، مع أنه لم يقدح ذلك في علمه وفضله. ولم يرتفع صيت هذا الخلاف ولا وقوع هذا

---

(١) هداية المسترشدين: ج ٣ ص ٦٨٧-٦٨٨.

(٢) كشكول البحراني: ج ٢ ص ٣٨٨-٣٨٩.

الاعتساف إلا من زمن صاحب الفوائد المدنية سامحه الله تعالى برحمته المرضية، فإنه قد جرد لسان التشنيع على الأصحاب وأسهب في ذلك أي إسهاب، وأكثر من التعصبات التي لا تليق بمثله من العلماء الأطياب. وهو وإن أصاب الصواب في جملة من المسائل التي ذكرها في ذلك الكتاب، إلا أنها لا تخرج عما ذكرنا من سائر الاختلافات ودخولها فيما ذكرنا من التوجيهات. وكان الأنسب بمثله حملهم على محامل السداد والرشاد إن لم يجد ما يدفع به عن كلامهم الفساد»[١].

وتأتي بعد ذلك محاولة الشيخ جعفر السبحاني استكمالاً لخطوة السيد الصدر، إذ يرى أنّ نصوص الشهرستاني والآيجي إنما تدل على وجود انقسام شيعي في دائرة الكلاميات، وأنه هل يمكن الرجوع فيها إلى الأخبار أم لا؟ لا أنّ هذا الانقسام دخل مجال الفرعيات كما هي الحال مع أنصار الاسترابادي، حتى يقال بقدم المدرسة الاخبارية؛ و«هناك فرق جوهري بين الأخبارية التي نادى بها الأمين الاسترآبادي، وبين الأخبارية في عصر الأئمّة، وهو أنّ الأخبارية في عصر الأئمّة كانت تعني ممارسة الأخبار وتدوينها ونقلها، دون إعمال الدقة بين صحيحها وسقيمها. وأمّا الأخبارية التي ابتدعها الأمين الاسترابادي، فهي أخبارية منهجية، لها أسسها ودعائمها، وقد ألقى الفكرة بصورة البرهان والنقد على الأسس التي اعتمد عليها الأصوليون، فلذلك لا يمكن عدّ الأخبارية الحديثة امتدادا جوهريا للأخبارية في عصر الأئمّة»[٢].

أسباب نشأة الحركة الأخبارية:

وفي الكلام عن سبب نشأة الحركة الأخبارية وظهورها في بداية القرن الحادي عشر نجد الدكتور جودت القزويني يذهب إلى أنّ ذلك كان إفرازاً للصراع بين المؤسسة الدينية، والسلطة الصفوية التي استاءت من سعة دائرة نفوذ المؤسسة الفقهية، وتخوفت تحوّلها بالفعل من سلطة روحية إلى سلطة زمنية تتدخل في

(١) الحدائق: ج ١ ص ١٦٩-١٧٠.
(٢) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٩٠-٣٩١.

شؤون الناس، وتزاحم السلطة الرسمية في شؤونها واهتماماتها[١].

وبطبيعة الحال ما كانت دعوة الأمين الاسترابادي لتخرج بمعزل عن عوامل وظروف الفكر الاثني عشري، داخل وخارج الدولة الصفوية، ولم يكن بالتالي، اختياره الحجاز، واتصاله بميرزا محمد في مكة، عشوائياً.

فما استحدثه الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م) في الفقه والمجتمع الشيعي -تحت مظلة الدولة الصفوية- وصفه البعض بأنه قد «أفرط في تأييد مستحدثات الدولة الصفوية»[٢].. فقد أسهم في قيام الدولة الصفوية على نشر المقولات المذهبية المتشددة وتشييدها، كسب رموز الصحابة ولعنهم وما شابه ذلك.

كان الشيخ الكركي قد هاجر إلى أصفهان في بداية تأسيس الدولة الصفوية، وتحديداً في عهد مؤسس هذه الدولة في أصفهان وهو الشاه إسماعيل الأول (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م). إلا أنّ دوره قد تعاظم بعد وفاة الشاه إسماعيل حيث تولّى الحكم من بعده ابنه الشاه طهماسب الأول وعمره، آنذاك، عشر سنوات. مما يعني أنّ الظروف كانت مهيّأة لتصدّر الشيخ الكركي وحضوره كأهم شخصية قوية دينية وحتى سياسية في الدولة الصفوية.

لقد تمكّن الشيخ علي الكركي من تهميش منصب ديني آخر أسّسه الشاه إسماعيل نفسه وهو منصب «الصدر»[٣]، وأصبح بمثابة الحاكم الديني الأوحد في البلاد. ويعتبر هذا الشيخ أول عالم شيعي تتهيأ له الظروف للقيام بدور «الولي

(١) الحركة الأخبارية وحقيقة الصراع الأصولي، العدد الأول، مجلة الفكر الجديد.
(٢) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ص ٢٥٧-٢٦٣.
(٣) هذا المنصب كان موجوداً قبل قيام الدولة الصفوية في أوساط علماء أهل السنة في الدولة العثمانية والتيمورية، وقد أقرّه وطوّره الشاه إسماعيل الصفوي عند تأسيس دولته سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م. وهو ممثل الشرع في ديوان الشاه، وظيفته مراقبة حسن تطبيق الدولة قوانين الشرع، وضبط الأوقاف، والإشراف على موظفي الشؤون الدينية كمباشري الأوقاف وأئمة الجوامع والمدارس، ويختص بالنظر في بعض الدعاوى، وكان مجلسه إلى يسار الشاه؛ انظر: حياة المحقق الكركي وآثاره: ج ١ ص ٣٨٦-٣٨٩.

الفقيه » الذي لا يردّ له أمر في الدولة الصفوية، بل إنّ مرسوم تنصيبه انطوى على إشارات قوية وواضحة تنصّ على أنّ هذا الشيخ هو « نائب الأئمة المعصومين »، وأنّ مخالفة حكمه « على حدّ الشرك »، وأنّ الرادّ عليه كالرادّ على الله وهو « ملعون مطرود من ساحة هذا المُلك ».

هذه، إذن، سلطة دينية خطيرة، وخطورتها تطال كل من تسوّل له نفسه مخالفة حكم هذا الشيخ، إلا أنّ خطورتها تتعاظم على أولئك « المخالفين » لمذهب هذا الشيخ ومذهب دولته. ومما يُذكر عن هذا الشيخ أنه كان شديد التعصّب، وقد تجلّى تعصبه بصورة استفزازية. ولم يكن هذا حين استخدم سلطته وأمر « بإخراج العلماء المخالفين لئلا يضلوا الموافقين لهم والمخالفين » فحسب، بل حين كان « لا يركب ولا يمضي »، كما ينقل الشيخ يوسف البحراني عن السيد نعمة الله الجزائري، « إلا والباب يمشي في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين ومَن على طريقتهما ».

وهذا النهج -الذي سلكه الكركي- أحرج الشيعة خارج إيران الصفوية، حتى وصفه الخوانساري بأنه « غفلة من شيخنا »، بل نقل السيد نعمة الله الجزائري « أنّ علماء الشيعة في مكة كتبوا إلى علماء أصفهان... إنكم تسبون أئمتهم في أصفهان... ونحن في الحرمين نعذب بذلك اللعن والسب »[(١)].

إضافة إلى أنّ من الانصاف بمكان أنّ « التأريخ مليء بأدلة قاطعة تدل على عدم تدينهم (أي الدولة الصفوية) وانتهاكهم لأحكام الشريعة المقدسة، وأنّ إعلانهم التشيع كمذهب رسمي للبلاد جاء نتيجة لظروف سياسية أملتها عليهم آنذاك »[(٢)].

وكان من أفعالهم الشنيعة:

١- عدم تورعهم عن ارتكاب المحرمات المتمثلة بعقد مجالس اللهو

---

(١) لؤلؤة البحرين: ص ١٥٣، وروضات الجنات: ص ٣٩٠-٣٩١، ولمحات اجتماعية من تاريخ العراق: ج ١ ص ٦٣.

(٢) حياة المحقق الكركي وآثاره: ج ١ ص ٣٦٢.

والطرب في قصورهم، خصوصاً الشاه عباس الثاني (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) الذي عُرف بكثرة الفسق والفجور، حيث وصفه جان شاردن (ت ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م) في رحلته إلى إيران بقوله: كان غارقاً في الفسق والفساد[١].

وكذلك إسماعيل الصفوي الذي كان سبب وفاته السريع في الثامنة والثلاثين من عمره بسبب كثرة شرابه للخمر وانغماسه في الفسق والفجور[٢].

٢- قيام الشاه إسماعيل الأول بعد إعلانه التشيع مذهباً رسمياً للبلاد بقتل عدد كبير من المسلمين السنة، من بينهم عدد من العلماء، فكافة المصادر التي تترجم الشاه إسماعيل وفتوحاته تذكر عمله الشنيع هذا، الذي ينم عن روحية انتقامية بعيدة عن تعاليم السماء التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف.

فهذا الشاه وبعد فتحه لأي بلدة كان يعرض أهلها على السيف، فكل من تشيع سلمت رقبته، ومن رفض ذلك كان مصيره القتل.

وفي تبريز حضر لفيف من العلماء له وقالوا: جعلنا الله فداك، إنّ أهل تبريز البالغين مائتي أو ثلثمائة ألف إنسان كلهم من السنّة، ولم يعلن من عهد الأئمة حتى الوقت أحدٌ هذه الخطبة على الملأ، ونخاف أن يقولوا إننا لا نريد ملكاً شيعياً، ولو تراجعت الرعية والعياذ بالله؛ فكيف يمكن تدارك أمرهم.

فقال الملك: فقد حُبست لهذا الأمر ومعي رب العالمين، وحضرات الأئمة المعصومون، ولا أخاف أحداً بتوفيق الله، ولو تفوهت الرعية بحرف لأشهرن سيفي لهم ولا أبقي منهم أحداً[٣].

فقتل عدداً كبيراً من المسلمين من بينهم: القاضي الميبدي الذي قتله سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، وسيف الدين أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازاني شيخ

---

(١) حياة المحقق الكركي وآثاره: ج ١ ص ٣٦٣؛ عن سياحة نامه شاردن: ج ٤ ص ٢٧٨.
(٢) حياة المحقق الكركي وآثاره: ج ١ ص ٣٦٣؛ عن سفرنامه شاردن: ص ٨٢.
(٣) تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٥٧ و ٣٠.

الإسلام في هراة وقاضيها لمدة ثلاثين سنة، الذي قتله في شهر رمضان سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠[١].. وعند سيطرته على بغداد قتل جماعة من علمائها، فسَرَت على إثر ذلك شائعة في البلاد بأنّ مذبحة عظيمة أصابت السنّة في بغداد على يد الصفويين[٢].

هذه السياسة الدموية[٣] التي انتهجها الشاه إسماعيل هي التي أدت إلى هروب عدد من العلماء من إيران إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة الأوزبكان والعثمانين، وفي مقدمتهم فضل الله بن روزبهان، الذي كان يعد من علماء أوائل الدولة الصفوية، هرب إلى ما رواء النهر وبقي بحماية الأوزبكان، الذين شجعوه على مهاجمة الشيعة عموماً والدولة الصفوية خصوصاً، فألف عدة كتب في ذلك.

وفي المقابل نجد عدداً من علماء السنة قد تعاطف مع أهداف الشاه إسماعيل؛ اتقاء القتل، ومنهم: الأمير جمال الدين عطاء الله الحسيني الدشتكي الشيرازي، ومحمد بن أحمد الخفري، والأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار الذي كان شيخ الإسلام في تبريز (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، والقاضي شمس الدين الجيلاني، والأمير جمال الدين بن عبد الله الاسترابادي[٤].

وقد كتب براون يقوّم عهده قائلاً: «في فترة حكمه كان السيف أبلغ فعلاً من القلم»[٥].

٣- سياسة التعصب المذهبي التي اتّبعها الشاه إسماعيل الصفوي عند تأسيس دولته، فإنه لم يكتفِ من علماء السنة باعتناق التشيع فقط، بل كان يطالبهم

(١) حبيب السير: ص ٦١، وخلاصة التواريخ: ص ١١٣، ورياض العلماء: ج ٢ ص ٣١٢، وخاتمة المستدرك: ج ٣ ص ٤٣٢.
(٢) أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث: ص ٣٢.
(٣) وكانت من أثر هذه السياسة نهوض مجازر دينية؛ أنظر: تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٩١-٩٢.
(٤) نزهة القلوب: ص ٦٨ و ٧٦، ومدينة المعاجز: ص ٤٩٥، والهجرة العاملية: ص ١١٠ و ١١٤، ومجالس المؤمنين: ص ٤٢، .
(٥) الهجرة العاملية: ص ٢٣.

بسب الخلفاء الثلاثة علناً، وكل من يمتنع من السبّ كان مصيره القتل[١].

وعند سيطرته على العراق سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م قام بهدم قبور أئمة السنة، ونبش قبر أبي حنيفة وحرق عظامه، وبنى في مكان قبره مراحيض، وجعل لكل من يتغوط في هذا المكان مبلغاً قدره خمسة وعشرين ديناراً تبريزياً هدية بعنوان «حق القدم»[٢].

وقد أدّت ذلك إلى انعكاسات كبيرة على التشيع وردود فعل واسعة في أوساط علماء المسلمين في إيران وخارجها. وقد جعل هذا الأمر دليلاً على كفر الصفويين، واتخذه سلاطين الدولة العثمانية حجة كبيرة في تحريض علماء المسلمين السنة على إصدار فتاوى ضد التشيع عموماً ومحاربة الدولة الصفوية خصوصاً.

ولذا نرى أنّ الاعتراض السابق ينطلق من الضرر الذي سوف ينعكس من جرّاء ذلك على الأقليات الشيعية في تلك التجمعات ذات الغالبية السنية! أليس من الممكن أن يكون هؤلاء مستهدفين برد انتقامي على ذلك التصرف الاستفزازي الذي جاهر به شيخ الإسلام في أصفهان؟! بلى، ولهذا السبب يعمد الشيخ يوسف البحراني إلى تذكير ناقل الخبر، السيد نعمة الله الجزائري، بما سبق له هو نفسه أن أشار إليه بشأن موقف علماء الشيعة في مكة المكرمة.

يقول إدوارد براون: «ومع أنّ الصفويين أرعبوا وأرعشوا في مدة قليلة العثمانين فقد كان الخوف -وهو أكثر العوامل تحريكاً- هو الذي يجر الإنسان إلى القسوة، وهو الذي حرض السلطان سليم على قتل أربعين ألفاً من رعاياه الشيعة، لكن لا يجب حصر أسباب هذه القسوة في الخوف بل يجب إدخال الغضب والفشل كسببين كذلك...»[٣].

---

(١) تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٥٧-٥٨، وحياة المحقق الكركي وآثاره: ج ١ ص ٣٦٦؛ عن عالم آرا صفوي: ص ٦٥ و ١٧٣.

(٢) حبيب السير: ص ٥٣٠، وتأريخ شاه إسماعيل وشاه طهماسب: ص ٧٥، وأحسن التواريخ: ص ١٢٥، وأربعة قرون من تأريخ العراق الحديث: ص ٣٢.

(٣) تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٣١-٣٢.

٤- معاملة الأسرى بفظاظة: لما تمرد محمد كره حاكم أبرقوا واستولى على بزد المدينة القديمة، فأسره إسماعيل في قفص ودهن جسده عسلاً لكي يقرضه النحل ليل نهار، وفي النهاية أحرق حياً في ميدان أصفهان[١].

٥- التصفيات السياسية: ومن أفضعها ما قام به الشاه إسماعيل الثاني؛ فقد بدأ بإهلاك أخويه سليمان ومصطفى، ثم أقام في قزوين بعد قام بالتجهيز على جملة من أهل بيته ومجموعة من الأمراء، ففي ٦ من ذي الحجة سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٧م قتل هؤلاء الأمراء: سلطان إبراهيم ميرزا الشاعر والفنان والموسيقي والخطاط، وابن أخيه محمد ميرزا الشاب ذا الثمانية عشر عاماً الذي فقد لتوه بصره، وسلطان أحمد ميرزا وابنه محمد باقر ميرزا الذي لم يتعد العامين، وإمام قلي ميرزا..

ثم صرف همه إلى الأمراء الساكنين بالولايات القاصية وأهلكهم جميعاً منهم بديع الزمان ميرزا وابنه الصغير بهرام ميرزا زكانا بخراسان، وسلطان علي ميرزا الساطن في جنجة، وسلطان حسن ميرزا في طهران، ولم ينج من نار كيده وشرر خبثه -حسبما يذكر مؤلف عالم عباسي آرا- غير ابن أخيه عباس ميرزا الذي كان طفلاً صغيراً[٢]..

وإذا ما عدنا إلى الأخبارية:

فقد ذهب إلى الرأي السابق الشيخ محمد مهدي الآصفي بشيء من التحفظ، ولم يجعله العامل المنفرد ولا الرئيس في نشأة الحركة الأخبارية، فقال: «ولما تحولت المؤسسة الفقهية إلى قوة وسلطة زمنية تتحكم في شؤون الدولة والمجتمع بدا النظام الصفوي يتضايق من هذه الظاهرة. ومن هذا المنطلق لا نستبعد أن يكون الحكم الصفوي فكّر في دعم وتكريس الحركة الأخبارية والاستفادة منها دون أن يعني ذلك مصادرة البواعث والمنطلقات الفقهية لهذه الحركة، والتي لا يمكن

(١) تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٥٩.
(٢) تاريخ الأدب في إيران: ج ٤ ص ٩٥.

التشكيك فيها أو ربطها بالعجلة السياسية»[١].

ومن مظاهر هذا النفوذ معارضة شيخ الإسلام في أصفهان، على تولي الشاه عباس الثاني للسيد حسين بن رفيع الدين محمد خليفة سلطان، المعروف أيضاً بسلطان العلماء، وزيراً له في عام ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٦م. كان السيد حسين (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م) توليفياً حاول أن يؤكد على العنصر العرفاني في أحاديث الأئمة الاثني عشر، وكان وزيراً للشاه عباس الأول والشاه صفي. وقد لقي تعيينه في منصب الوزير من الشاه عباس الثاني معارضة عنيفة من الميرزا قاضي، شيخ الإسلام في أصفهان، والذي عزله الشاه عقب ذلك[٢].

وقد عارض الشيخ جعفر السبحاني رأي الدكتور القزويني، وذكر أنّ قصارى ما يمكن أن يستفاد من ذلك هو أنّ السلطات كانت ترجّح الأخبارية على الأصولية، وهذا يفهم منه إظهار الأخباريين وإعلاء شأنهم؛ لكنه لا يبين سبب ظهور الحركة الأخبارية ونشأتها[٣].

وقد دعم علي نقي المنزوي -نجل الشيخ آغا بزرك الطهراني- رأي القزويني على نحوٍ ما؛ عندما أشار إلى أنّ الحكومة الصفوية أدبرت عن التصوّف والعرفان، وانتخبت شيوخ الإسلام في البلاد من بين رجال أكثرهم أخباريون غير إيرانيين؛ لكن المنزوي زعم أنّ التيار الأخباري جاء به المهاجرون من البلاد العثمانية إلى إيران، فانتشر في شيراز لأول مرة وفي البحرين[٤].

وعارض الشيخ جعفر السبحاني أيضاً كلام المنزوي عن المهاجرين من البلاد العثمانية؛ فقال: «إنّ ما ذكره هذا الكاتب لا يدعمه دليل، فمَنْ هؤلاء المهاجرون

---

(١) تاريخ فقه أهل البيت: ص ١٠٤.
(٢) التشيع والتحول في العصر الصفوي: ص ٢٣٧، ورياض العلماء: ج ٢ ص ٥٢.
(٣) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٨٨.
(٤) راجع: مقدمته لكتاب والده (طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر). وراجع أيضاً تعليقه على كلام أبيه: ص ٥٧١، من ترجمه معز الدين الأردستاني.

الذين قدموا إلى إيران فنشروا تلك الفكرة، ولماذا لم يحدثنا التاريخ عنهم؟! »[١].

ونقل الشيخ مرتضى المطهري عن السيد السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) أنه كان ينتقد الموجة الأخبارية في أحد مجالس درسه في بروجرد في صيف عام ١٣٢٢هـ ش فقال: «إنّ هذه الفكرة كانت من آثار الموجة الحسية التي ظهرت في أوربا». وتابع قائلاً: «إنّ الأخباريين لم يفكروا بأنّ الذين اتبعوا الموجة الحسية في أوربا كانوا ينكرون ما وراء المحسوسات فكيف يمكن للأخباريين -الذين يعتقدون بما وراء الحس- أن ينكروا ذلك؟!» وكان الشيخ المطهري يقول: «كنت أنتظر أن يذكر السيد -عندما وصل بحثنا في الأصول إلى مبحث حجية القطع والعلم- مصدراً لهذه النظرية؛ ولكنه لم يتعرض لها آنذاك ولا أعلم أنّ ما قاله هل كان مستنداً إلى مصدر أم كان حدساً لا غير، وإني الآن آسف على عدم سؤالي منه عن مصدر ما قاله».

وبعد أن نقل الشيخ محمد علي الأنصاري نص كلام المطهري علّق عليه قائلاً: «لكن لا يمكن الاطمئنان إلى هذه الفكرة، وذلك لأنّ الموجة الحسية ظهرت بشكل مدرسة على يد «جون لوك» المتوفى سنة ١٧٠٤م، و«دافيد هيوم» المتوفى سنة ١٧٧٦م، وقد توفى «المحدث الاسترابادي» عام ١٠٢٣ هـ المصادف حدود سنة ١٦١٦م، فكيف يكون قد تأثر الاسترابادي بهذه المدرسة؟! نعم يعتبر معاصراً لـ«فرنسيس بيكون» المتوفى سنة ١٦٢٦م الذي مهّد للمدرسة الحسية طريقها؛ ولكن من البعيد جداً أن تنتقل هذه الفكرة من «أوربا» إلى الشرق، وخاصة إلى «الجزيرة العربية» و«المدينة المنورة» ويتأثر بها هذا الشخص، في فترة قليلة»[٢].

وقد أشار السيد محمد باقر الصدر إلى ما كان بين الحركة الأخبارية عند الشيعة في الشرق والحركة الحسية في الغرب من اقتران في التاريخ وتشابه في

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٨٩.

(٢) الشيخ محمد علي الأنصاري: مقدمة تحقيقه لرسالة «توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد» للشيخ آقا بزرك الطهراني: ص ٤٩-٥٠.

المقدمات والنتائج، ثم قدم بالإضافة إلى ذلك بياناً لنقطة الانفصال بين الفريقين بما يكاد يكون جواباً لما سبق من تساؤل السيد البروجردي.. قال السيد الصدر: «هناك التقاء فكري ملحوظ بين الحركة الفكرية الأخبارية والمذاهب الحسية والتجريبية في الفلسفة الأوروبية، فقد شنت جميعاً حملة كبيرة ضد العقل، وألغت قيمة أحكامه إذا لم يستمدها من الحس. وقد أدت حركة المحدث الاسترابادي ضد المعرفة العقلية المنفصلة عن الحس إلى نفس النتائج التي سجلتها الفلسفات الحسية في تأريخ الفكر الأوروبي، إذ وجدت نفسها في نهاية الشوط مدعوة بحكم اتجاهها الخاطئ إلى معارضة كل الأدلة العقلية التي يستدل بها المؤمنون على وجود الله سبحانه؛ لأنها تندرج في نطاق المعرفة العقلية المنفصلة عن الحس. فنحن نجد مثلًا محدثاً كالسيد نعمة الله الجزائري يطعن في تلك الأدلة بكل صراحة وفقاً لاتجاهه الأخباري، كما نقل عنه الفقيه الشيخ يوسف البحراني في كتابه «الدرر النجفية»؛ ولكن ذلك لم يؤد بالتفكير الأخباري إلى الإلحاد كما أدى بالفلسفات الحسية الأوروبية؛ لاختلافهما في الظروف التي ساعدت على نشوء كل منهما؛ فإن الاتجاهات الحسية والتجريبية في نظرية المعرفة قد تكونت في فجر العصر العلمي الحديث لخدمة التجربة وإبراز أهميتها؛ فكان لديها الاستعداد لنفي كل معرفة عقلية منفصلة عن الحس. وأما الحركة الأخبارية فكانت ذات دوافع دينية، وقد اتهمت العقل لحساب الشرع لا لحساب التجربة؛ فلم يكن من الممكن أن تؤدي مقاومتها للعقل إلى إنكار الشريعة والدين. ولهذا كانت الحركة الأخبارية تستبطن في رأي كثير من ناقديها تناقضاً؛ لأنها شجبت العقل من ناحية لكي تخلي ميدان التشريع والفقه للبيان الشرعي، وظلت من ناحية أخرى متمسكة به لإثبات عقائدها الدينية؛ لأن إثبات الصانع والدين لا يمكن أن يكون عن طريق البيان الشرعي بل يجب أن يكون عن طريق العقل»[1].

ولهذا كان السيد الصدر حريصاً على أن يبين وعي الشيخ محمد أمين

---

(١) المعالم الجديدة للأصول: ص ٤٤-٤٥.

الاسترآبادي من البداية، بأنّ دلائل العقل ليست مهملة أو غير صادقة في جميع الأحوال؛ فأشار إلى قوله في «الفوائد المدنية» المتعلق ببيان أنّ العلوم النظرية عنده على قسمين: قسم ينتهي إلى مادة قريبة من الإحساس، ومن هذا القسم علم الهندسة والحساب، وأكثر أبواب المنطق، وهذا القسم لا يقع فيه الاختلاف بين العلماء والخطأ في نتائج الأفكار؛ لأنّ الخطأ في الفكر إما من جهة الصورة وإما من جهة المادة، والخطأ من جهة الصورة لا يقع من العلماء؛ لأنّ معرفة الصورة من الأمور الواضحة عند الأذهان المستقيمة. وقسم ينتهي إلى مادة هي بعيدة عن الإحساس، ومن هذا القسم الحكمة الإلهية والطبيعية، وعلم الكلام، وعلم أصول الفقه، والمسائل النظرية الفقهية، وبعض القواعد المذكورة في كتب المنطق كقولهم: (الماهية لا يتركب من أمرين متساويين)، وقولهم: (نقيض المتساويين متساويان) ومن ثم وقع الاختلاف والمشاجرات بين الفلاسفة في الحكمة الإلهية والطبيعية وبين علماء الإسلام في أصول الفقه والمسائل الفقهية وعلم الكلام وغير ذلك من غير فيصل[١].

ولذا نلاحظ مثل الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٠٤م) والذي كان أصولياً صرفاً، وكتب كتابه «معالم الدين» في الأصول والذي ظل يدرّس لأربعة قرون في الحوزات العلمية الشيعة، نراه ينعزل عن «ممارسة النشاطات العامة، كما ابتعد عن متطلبات معظم أوجه ذلك النشاط»[٢]. إلا أنه لم ينفصل في سلوكه الفكري والأصولي عن مجمل نشاط بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م) في إيران، وأستاذه المولى الأردبيلي في النجف.

ولكنه في آخر المطاف نراه يؤثر التوجه إلى العمل بالأخبار، حتى برع فيه فكان في الحديث «ثقة عين صحيح الحديث واضح الطريقة...».

---

(١) المعالم الجديدة للأصول: ص ٤٣. وهذا الكلام أورده الاسترآبادي في الفصل الثاني من فوائده تاسع وجوه استدلاله على انحصار مدرك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية أصلية كانت أو فرعية في السماع عن الصادقين عليهم السلام.

(٢) معالم الدين: ص ١٦-٢٠ (المقدمة).

ومما قاله في معرض إجازته، لتلميذه نجم الدين بن محمد العاملي: «السيد الأجل الفاضل الأوحد الطاهر الورع الناسك، خلاصة العلماء الأبرار وسلالة النجباء الأطهار، ممن ولى شطر هذا المقصد -يعني علم الحديث- وجه همته، وظفر من مطالبه الجليلة ببغيته»(١).

وكان من تأثير هذا المنهج أنّ حفيده الشيخ زين الدين بن محمد بن حسن «يتعجب من جده الشهيد الثاني ومن الشهيد الأول والعلامة في كثرة قراءتهم على العامة (أهل السنة) وكثرة تتبعهم في كتبهم الفقهية والأصولية والروائية ودراستهم عندهم، وكان الشيخ زين الدين ينكر عليهم ذلك إذ ترتب عليه ما ذكر من قتلهم عفا الله عنهم»(٢).

ويؤيد الشيخ يوسف البحراني كلام الشيخ زين الدين ويقول: «وما ذكره من كثرة التعجب والإنكار على هؤلاء الفضلاء وأمثالهم فيما ذكره، فإنه الحق الحقيق بالإتباع، وإن كان قليل الأتباع؛ أما أولاً: فلما استفاض من الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام من المنع عن الجلوس في مجالسهم، والحضور عندهم، والخوض في علومهم وأحاديثهم. وأما ثانياً: فلما قرروه وصرحوا به في صدر كتاب المتاجر من تحريم حفظ كتب الضلال ونسخها ودرسها، وأنه يجب إتلافها، وهم أصل كل ضلال، كما استفاضت به الأخبار عن الآل. وأما ثالثاً: فلما ترتب على ذلك من المفاسد بإدخال هذه الأصول المسماة بأصول الفقه في الشريعة تبعاً لهم مع أنها ليس لها أصل في أخبار أهل البيت عليهم السلام، مع حرصهم عليهم السلام على بيان كل حقير ويسير، ونقير وقطمير من الأحكام الشرعية فكيف بأصولها لو كانت صحيحة جلية»(٣).

---

(١) أمل الآمل: ج ١ ص ١٨٩ رقم ٢٠٢.

(٢) قصص العلماء للتنكابني: ص ٣١٥.

(٣) لؤلؤة البحرين: ص ٨١. وقد رد هذه الدعوى -مفصلًا- الميرزا التنكابني في كتابه قصص: ص ٣١٥-٣١٨، وابتدأ ردّه بقوله: «مما ذكر في بداية الأمر من توصيفهم إياه جعلنا نعتقد أنّ الشيخ زين الدين كان فقيهاً فطناً فاهماً ذكياً. لكنّ الذي ظهر من هذه الكلمات الواهية أنه هو وصاحب الحدائق لم يكونا على ذلك القدر من الفهم ...الخ».

وذهب الشيخ محمد علي الأنصاري إلى أنّ السبب في ظهور الحركة الأخبارية المعارضة لطريقة الاجتهاد هو عدم فهم معنى الاجتهاد عند الأصوليين من الشيعة الاثنا عشرية؛ فالاجتهاد له معنيان: أحدهما خاص يعني العمل بالقياس والرأي. والآخر عام يعني مطلق عملية بذل الجهد واستفراغ الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها. قال الأنصاري: «ولم يتميز هذان المعنيان إلى مدة من الزمن، كانت هذه الكلمة تحمل في طياتها المعنى الخاص، ولذلك اتهم الاسترآبادي الفقهاء بأنهم اتبعوا أهل القياس والرأي، فدعا إلى رفضه والعمل بالأحاديث، فكان يعتقد أن سيرته امتداد لسيرة الفقهاء في زمن الغيبة الصغرى وما قبلها حيث كان الفقهاء يعتمدون على الأحاديث ويرفضون الاجتهاد؛ ولكن -على حسب زعمه- بعض الفقهاء أمثال: ابن الجنيد، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والسيد المرتضى، انحرفوا عن تلك الطريقة وابتدعوا طريقة الاجتهاد. فهذه الخواطر الذهنية -في رأيي- أثرت في نفسية الاسترآبادي كي يبدي نظريته، لا أنه تأثر بالموجة الحسية، أو كان بين الموجتين ارتباط طبيعي»[1].

وأياً ما كان الأمر فقد ظهرت الحركة الأخبارية ونشطت مع انتشار كتاب «الفوائد المدنية» للأمين الاسترآبادي، الذي تلقاه عدد من علماء القوم بالقبول، على حد قول الشيخ محمد تقي المجلسي الأول الذي عربه الشيخ جعفر السبحاني بما يلي: «ألّف مولانا محمد أمين الاسترابادي كتاباً باسم «الفوائد المدنية» ألّفها بعد الاشتغال بمطالعته الأخبار المروية عن الأئمّة المعصومين، ثمّ أرسل كتابه هذا إلى معظم البلاد، وقد تلقّاه أكثر علماء النجف وكربلاء بالتحسين والقبول ومضوا على نهجه، والحقّ أنّ أكثر ما أفاده مولانا محمد أمين حق لا مرية فيه». ثم قال: «وهذا الاعتراف من أوّل المجلسيين دليل واضح على انتشار الفكرة الأخبارية بين الأوساط العلمية وامتدادها إلى أكثر الأصقاع الإسلامية...، تأثرت الأوساط العلمية

(١) محمد علي الأنصاري: مقدمة تحقيقه لرسالة «توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد»: ص ٥٠-٥١.

بالتيار الأخباري، وذاع صيته وكثر أتباعه، وهم بين متطرّف كالأمين الاسترآبادي الذي يطعن على العلماء ويتّهمهم بأمور شنيعة، وبين معتدل يتبنّى نفس الفكرة، مع التبجيل والتكريم للمخالف»[١].

ولقد استمر النشاط الأخباري ظاهراً في الساحة العلمية عند الشيعة الاثني عشرية بعد الأمين الاسترآبادي، وبلغ في فترة قصيرة حد السيطرة على الحوزات العلمية لديهم؛ فكان بعض شيوخ القوم وطلابهم يتحاشون لمس كتب الأصوليين، ولا يحملونها إلا بمنديل؛ لاعتقاد نجاستها[٢].

ولم ترجع الغلبة للأصوليين إلا بعد نهوض الوحيد البهبهاني المولى محمد باقر بن محمد أكمل (ت ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م) بمناظرة الأخباريين في أكبر معاقلهم بكربلاء، والتأليف في الرد عليهم، وإعداد جيل من الأصوليين يرث قيادة الحوزات العلمية بعد أن أفرغت الحركة الأخبارية شحنة قوتها، ووهبت الساحة العلمية الاثنا عشرية عدداً من الموسوعات الحديثية الكبيرة التي غدت رافدا مهما لعملية الاجتهاد في دورها الجديد الذي نهض به تلاميذ الوحيد البهبهاني، وبلغ أوجه على يد المجدد الأصولي الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)[٣].

ولقد ساعد الوحيدَ البهبهاني الدورُ الذي قام به الفقيه الأخباري يوسف البحراني في محاولة التوسط والتقريب، وترك الاشتغال بالخلاف بين الطائفتين؛ بل يمكننا أن نقول: إن البحراني بما له من مكانة علمية بين القوم بدأ ينخلع -على نحو ما- من نصرة طريقة الأخباريين؛ فتراه يقول: «قد كثرت الأسئلة من جملة من الطلبة عن الفرق بين المجتهد والأخباري، وأكثر المسئولون من وجوه الفروق،

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٣٩٣. وأصل كلام الشيخ محمد تقي المجلسي في شرحه الفارسي على كتاب من لا يحضره الفقيه: ص ١٦.

(٢) فلاسفة الشيعة: ص ٦٠٧.

(٣) المعالم الجديدة للأصول: ص ٨٢-٨٣. والرافد في علم الأصول: ص ١٧.ووالشيخ محمد علي الأنصاري: مقدمة تحقيقه لرسالة «توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد»: ص ٤٨.

حتى أنهاها شيخنا المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني -نور الله مرقده- في كتاب «منية الممارسين في أجوبة مسائل الشيخ ياسين» إلى ثلاثة وأربعين. وقد كنت في أول الأمر ممن ينتصر لمذهب الأخباريين، وقد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، وأودعت كتابي الموسوم بالمسائل الشيرازية مقالة مبسوطة مشتملة على جملة من الأبحاث الشافية والأخبار الكافية تدل على ذلك وتؤيد ما هنالك. إلا أنّ الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقه في المقام، وإمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام، هو إغماض النظر عن هذا الباب وإرخاء الستر دونه والحجاب، وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والإبرام.

أما **أولاً**؛ فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين والإزراء بفضلاء الجانبين كما قد طعن به كل من علماء الطرفين على الآخر، بل ربما انجر إلى القدح في الدين سيما من الخصوم المعاندين، كما شنع به عليهم الشيعة من انقسام مذهبهم إلى المذاهب الأربعة، بل شنع به كل منهم على الآخر أيضاً.

وأما **ثانياً**؛ فلأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جلّه بل كله عند التأمل لا يثمر فرقا في المقام...

وأما **ثالثاً**؛ فلأن العصر الأول كان مملوءاً من المحدثين والمجتهدين، مع أنه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف، ولم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الأوصاف، وإن ناقش بعضهم بعضاً في جزئيات المسائل واختلفوا في تطبيق تلك الدلائل...»[1].

---

(١) الحدائق الناضرة: ج ١ ص ١٦٧-١٦٩. ومن الملاحظ أنّ الدافع الأول فيما ذكره الشيخ البحراني كان مراعياً أيضاً من جهة الأصوليين؛ حتى في كتاباتهم ضد الحركة الأخبارية؛ فالشيخ جعفر كاشف الغطاء يقول في صدر رسالة الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريين: «فالمجتهد أخباري عند التحقيق، والأخباري مجتهد بعد النظر الدقيق؛ ففضلاء الطرفين بلطف الله ناجون، الواصلون إلى الحق منهم والقاصرون. والجهال المقصِّرون والطاعنون على المجتهدين المشيدين لأركان الدين هالكون؛ فلا يرد علينا تشنيع

ولم يلبث خمول الحركة الأخبارية طويلًا حتى ظهر الميرزا محمد الأخباري الذي وقف قبال الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) وغيره من علماء الأصوليين، وتجاوز كل ما يراعى من الحدود في نقدهم والتهجم عليهم؛ حتى قال السيد محمد حسن آل الطالقاني: «وقد تطرف الأخباري إلى أبعد حد، ووسع شقة الخلاف كثيراً، وتخلى عن الأدب والحشمة والاحترام في مناقشته لعلماء الأصوليين...، واستعمل بذيء القول ومرذوله»[١].

وقد انتهت هذه المرحلة بمقتل الميرزا محمد الأخباري وولده عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م في بيته بالكاظمية من بغداد؛ استجابة لفتوى تبيح قتله أصدرها جملة من الفقهاء على رأسهم المرجع الأصولي الشيخ موسى بن جعفر كاشف الغطاء، بعد أن سعى الميرزا محمد الأخباري في التحريض على التخلص من الشيخ موسى عند الوالي داود باشا، وبالغ في الطعن على الشيخ جعفر كاشف الغطاء وإظهار سبّه[٢]. وقد أدّى ذلك الحدث على نحو ما إلى انحسار الحركة الأخبارية بصورة ظاهرة، وانسحابها إلى مواقع خلفية بعيدة في البحرين، ومناطق العراق الجنوبية القصية، وبعض مناطق إيران.

وإذا قرّرنا ابتداء الحركة الأخبارية بالأمين الاسترابادي، وانحسار نشاطها بمقتل الميرزا محمد الأخباري؛ فإنّ ذلك لا ينفي أنّ عدداً من جملة آراء الأخباريين كان له وجود ضارب في القدم قبل هذه الفترة من تاريخ الشيعة الاثني عشرية، كما لا ينفي أيضاً سريان شيء كثير أو قليل من هذه الأفكار في بعض الجهود الكلامية

بعض المخالفين من المسلمين بأنّ الخلاف كما وقع بين الفقهاء الأربعة وقع بين المجتهدين والأخباريين، إذ لا نزاع بيننا في أصول الدين، ولا مانع عندنا من الرجوع إلى الطرفين في معرفة حكم رب العالمين، وإنما جعل لكل اسم على حدة لحصول الخلاف بينهم في مسائل متعددة، وإن كان الحق فيها مع المجتهدين؛ إذ الأخباريون فيها مخطئون؛ لكنهم غير مُقَصِّرين».. ولا أدري من أين حصل عنده أن النزاع بين الفقهاء الأربعة كان في أصول الدين؟!

(١) الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، الطالقاني: ص ٤٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ج ٣ ص ١٩٩.

والفقهية الجارية بعد ذلك عند الاثني عشرية؛ لكن دون قيام دعوى خاصة ينتصب لها رجال وأتباع ينشرون منهجها وينافحون عنه بصورة منتظمة، في إطار حوزة علمية تنهض بتدريسه وتعمل على نشره واستمرار نشاطه العلمي والسياسي والاجتماعي، على غرار ما حدث خلال الزمان الممتد بين ظهور دعوى الشيخ محمد أمين الاسترآبادي ومقتل الميرزا محمد الأخباري.

ولقد حاول أحفاد الميرزا محمد الأخباري إحياء الحركة من جديد متخذين قرية «المؤمنين» في جنوب العراق مركزاً لنشاطهم؛ فسعى ميرزا عناية الله (ت ١٣٧١هـ ١٩٥٢م) في سبيل تنظيم الدراسة العلمية الأخبارية في تلك قرية لتكون على غرار (النجف)، فأسس مسجداً كبيراً عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ومكتبة، ودارا للضيافة، وتوسعت هذه المدرسة فيما بين عامي ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م و ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م باستقطاب الدارسين من مناطق عراقية مختلفة. وبالرغم من انتشار أفراد هذه الأسرة (التي عُرفت باسم أسرة آل جمال الدين) في البصرة، والكويت، ومناطق أخرى، إلا أنّ موجة المد الأخباري تضاءلت، وبقيت مقتصرة على أفراد متحمسين من أحفاد الميرزا محمد الأخباري[1].

وفي آل عصفور بالبحرين الآن من يسعى إلى إقامة حوزة علمية جديدة تنهض بإحياء الحركة الأخبارية، وتنشط في نشر الدعوة إليها بين الشيعة الاثني عشرية[2]، ولعل هذا كله هو ما أشار إليه الشيخ جعفر السبحاني بقوله: «ولم يبقَ من أتباع المذهب المبتدع إلا كصبابة الإناء تظهر بين فترة وأخرى. ونحن على يقين بأن بث هذه الفكرة في هذه الأيام في الحوزات مؤامرة حيكت لإفراغ التشيّع عن طابعه العلمي، الذي هو سلاحه في مواجهة الأعداء عبر القرون، ومن الواضح بمكان أنّ كلّ أمّة إذا تخلّت عن العقل والبرهان السليم أصبحت فريسة سائغة للاستعمار»[3].

---

(١) أنظر: الحركة الأخبارية وحقيقة الصراع الأصولي، الدكتور جودت القزويني.
(٢) الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية: ص ٤٢٥.
(٣) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره: ص ٤٠٦.

منهج الأخبارية في استنباط الأحكام:

ولقد سبقت الإشارة غير مرة إلى أهم ما انفصلت به الحركة الأخبارية في منهجها في الاستنباط عن منهج الأصوليين من الشيعة الاثني عشرية، ولعل الأنسب في هذا المقام الكلام عما قدّمه مؤسس الحركة في أول كتبها «الفوائد المدنية»، وقد أغنى الاسترابادي نفسه عن محاولة تقديم مختصر له بما ذكره في مقدمته من رسم واف لما فصّله فيه؛ فكانت أكثر أقسامه في عناوينها بياناً لأركان المنهج الأخباري الجديد؛ خاصة أنه كتب الفوائد بمثابة التعليق على جهود الأصوليين حينما أراد جمع من الأفاضل في مكة المعظمة قراءة بعض الكتب الأصولية عليه. وهذا مما يحسب للرجل في حسن نظام عرضه لدعواه.. وقد جعل الشيخ محمد أمين الاسترآبادي كتابه على مقدمة واثني عشر فصلاً وخاتمة. وفي بيان هذه القسمة قال:

«**المقدمة**: في ذكر ما أحدثه العلامة الحلي وموافقوه؛ خلافاً لمعظم الإمامية أصحاب الأئمة عليهم السلام وهو أمران:

أحدهما: تقسيم أحاديث كتبنا المأخوذة عن الأصول التي ألفها أصحاب الأئمة عليهم السلام بأمرهم؛ لتكون مرجعاً للشيعة في عقائدهم وأعمالهم، لا سيما في زمن الغيبة الكبرى لئلا يضيع من كان في أصلاب الرجال من شيعتهم، إلى أقسام أربعة. وعلى زعمه معظم تلك الأحاديث الممهدة في تلك الأصول بأمرهم عليهم السلام غير صحيح...

والثاني: اختيار أنه ليس لله تعالى في المسائل التي ليست من ضروريات الدين ولا من ضروريات المذهب دليل قطعي، وأنه تعالى لذلك لم يكلف عباده فيها إلا بالعمل بظنون المجتهدين أخطأوا وأصابوا، وانجّر كلامه هذا إلى التزامه كثيراً من القواعد الأصولية المسطورة في كتب العامة المخالفة لما تواترت به الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام وكان في غفلة عن ذلك. ولما ألهمني ربي بذلك ووجب علي إظهاره، لم تأخذني في الله لومة لائم فأظهرته، والله يعصمني من الناس.

الفصل الأول: في إبطال جواز التمسك بالاستنباطات الظنية في نفس أحكامه تعالى، ووجوب التوقف عند فقد القطع بحكم الله أو بحكم ورد عنهم عليهم السلام.

والثاني: في بيان انحصار مدرك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية، أصلية كانت أو فرعية في السماع عن الصادقين عليهم السلام.

والثالث: في إثبات تعذر المجتهد المطلق.

والرابع: في إبطال حصر الرعية في المجتهد والمقلد في زمن الغيبة.

والخامس: في بيان أن في كثير من المواضع يحصل الظن على مذهب العامة دون الخاصة.

والسادس: في سد الأبواب التي فتحتها العامة للاستنباطات الظنية بوجوه تفصيلية.

والسابع: في بيان من يجب رجوع الناس إليه في القضاء والإفتاء. [وهم الأئمة في زمانهم، والرواة عنهم بعد الغيبة].

والثامن: في جواب الأسئلة المتجهة على ما استفدناه من كلامهم عليهم السلام، ومن كلام قدمائنا قدس الله أرواحهم.

والتاسع: في تصحيح أحاديث كتبنا بوجوه كثيرة، تفطنت بها بتوفيق الله تعالى، وفي جواز التمسك بها لكونها متواترة النسبة إلى مؤلفيها، وفي بيان القاعدة التي وضعوها عليهم السلام للخلاص من الحيرة في باب الأحاديث المتخالفة.

والعاشر: في بيان الاصطلاحات التي يعم بها البلوى. [تناول فيه الكلام عن مفهوم مصطلحات «نفس الأمر»، و«الحكم الشرعي»، و«الأصل» الذي يراد به الدليل أو الراجح، أو استصحاب ما سبق].

والحادي عشر، والثاني عشر: في التنبيه على طرف من الأغلاط والترددات

التي وقعت من فحول العلماء الأعلام [الحادي عشر في أغلاط المعتزلة والأشاعرة، والثاني عشر في أغلاط الفلاسفة وحكماء الإسلام]؛ ليتضح عند أولي الألباب أن عمدة الخطأ أو التحير التي وقعت من العلماء في أفكارهم إنما نشأت من الخطأ في مقدمة هي مادة المواد في بابها، أومن التردد فيها. وليعلم أن المنطق غير عاصم عن هذا النوع من الخطأ، وغير نافع في الخلاص عن هذا التحير والتردد، بل لا بد فيهما من التمسك بأصحاب العصمة عليهم السلام.

والخاتمة: في نقل طرف من كلام قدمائنا -قدس الله أرواحهم- ليكون فذلكة لما فصلناه.

وإن أحطت خبراً بما في كتابنا هذا تجد فيه حقائق ودقائق خلت عنها كتب الأولين والآخرين من الحكماء والفقهاء والمتكلمين والأصوليين، وهي أنموذج مما أعطاني ربي جل وعز».

والذي ينتهي إليه قارئ كتاب «الفوائد المدنية» أنّ عملية استنباط الأحكام الاعتقادية والعملية الفقهية -فيما لا يعد من ضروريات الدين المبنية على مقدمات حسية أو عقلية ضرورية- تقوم عند الاسترابادي على أصل واحد لا ثاني له في التحقيق، وهو الرواية عن الأئمة المعصومين؛ إذ لا اعتداد بظواهر الكتاب والسنة النبوية ما لم تكن مبيَّنة مفسَّرة من طريقهم، ولا محل بعد ذلك للإجماع ولا الاجتهاد. وإن لم يُصَبْ الحكمُ في السماع عن الأئمة؛ فلا يسع المكلَّف إلا التوقف والعمل بالاحتياط؛ لأنّ مناط العمل بالحكم هو كونه واردا عنهم. وهذا ما قدمه الشيخ محمد أمين الاسترآبادي صريحا في ثنايا مقدمة كتابه بلا تمويه ولا تورية؛ فقال في بيان مذهب الأخباريين وطريقتهم: «أما مذهبهم فهو أن كل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش، وأن كثيراً مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأحكام، ومما يتعلق بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من نسخ وتقييد وتخصيص وتأويل مخزونٌ عند العترة الطاهرة عليهم السلام.

وأنّ القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية، وكذلك كثير من سنن النبي ﷺ.

وأنه لا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام الشرعية النظرية أصلية كانت أو فرعية إلا السماع من الصادقين عليهما السلام.

وأنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر كتاب الله ولا من ظواهر السنن النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر عليهم السلام بل يجب التوقف والاحتياط فيهما.

وأنّ المجتهد في نفس أحكامه تعالى إن أخطأ كذب على الله تعالى وافترى، وإن أصاب لم يؤجر.

وأنه لا يجوز القضاء ولا الإفتاء إلا بقطع ويقين ومع فقده يجب التوقف.

وأنّ اليقين المعتبر فيهما قسمان: يقين متعلق بأن هذا حكم الله في الواقع، ويقين متعلق بأن هذا ورد عن معصوم؛ فإنهم عليهم السلام جوزوا لنا العمل به قبل ظهور القائم عليه السلام وإن كان في الواقع وروده من باب التقية، ولم يحصل لنا منه ظن بما هو حكم الله تعالى في الواقع والمقدمة الثانية متواترة عنهم معنى».

وفي الفصل الثامن من الكتاب في الجواب على ثاني الأسئلة التي تتوجه على طريقة الأخباريين، تعرض الاسترآبادي لدفع القول باضطرار الأخباريين إلى العمل بالظن المتعلق بنفس أحكامه تعالى أو بنفيها، بناء على أن الأحاديث المروية عن الأئمة تحتمل التقية. وذكر أن أكثر الأحاديث المدونة في كتبهم صارت دلالتها قطعية بمعونة القرائن الحالية أو المقالية، ثم قال: «وأما احتمال التقية؛ فغير قادح فيما حققناه لما سبق: من أنه يكفي أحد القطعين، ومن أنّ مناط العمل القطع بأن الحكم ورد عنهم عليهم السلام لا الظن بأنه حكم الله في الواقع».

وبناء على هذا أيضاً يأخذ الأخباريون بالعمل على الاختيار بين الروايات

المتعارضة في كتب الحديث التي قطعوا بصحتها؛ لأن مناط العمل عندهم القطع بأن الحكم ورد عن الأئمة المعصومين.

وفي الجواب عن السؤال التاسع المتعلق باستيضاح كيفية عمل الأخباريين مع ظاهر قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاء﴾[1]. وقوله عز وجل: ﴿أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[2]. وقوله تبارك اسمه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾[3]. وظاهر قول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[4]. نجد الشيخ الأمين الاسترآبادي يقول: «نحن نوجب الفحص عن أحوالهما (يعني الكتاب والسنة النبوية) بالرجوع إلى كلام العترة الطاهرة عليهم السلام، فإذا ظفرنا بالمقصود وعلمنا حقيقة الحال عملنا بهما، وإلا أوجبنا التوقف والتثبت.

ولا نجوز التمسك بما تمسكت به العامة من أنه ﷺ لم يخص أحداً بتعليم كل ما جاء به، وبتعليم تفسير القرآن وما جاء به من نسخ أو قيد أو تأويل أو تخصيص؛ بل أظهر كل ما جاء به عند أصحابه وتوفرت الدواعي على أخذه ونشره، ولم تقع بعده ﷺ فتنة أوجبت إخفاء بعضه، ومن أنه لولا ذلك لم يتأخر البيان عن وقت الحاجة، وللزم الإغراء بالجهل.

وذلك لما علم من المذهب ضرورة من أنه ﷺ أودع كل ما جاء به عند العترة الطاهرة عليهم السلام، وأمر الناس بسؤالهم والرد -أي الرجوع- إليهم».

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ١.

(٣) المائدة: ٥.

(٤) أخرجه الإمام مالك مرسلًا في الموطأ: ج ٢ ص ٧٤٥. وعنه الشافعي في مسنده: ص ٢٢٤. وأخرجه الدارقطني في سننه: ج ٤ ص ٢٢٨ موصولاً مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ج ١ ص ٣١٣ مرفوعاً من حديث عبد الله بن عباس. وأخرجه من حديث عبادة بن الصامت في المسند: ج ٥ ص ٣٢٦. وأخرجه الكليني في الكافي: ج ٥ ص ٢٨٠ و ٢٩٣. والصدوق في من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٧٦ ح ٢٣٣. والطوسي في تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ١٤٧، ١٦٤.

لكن هجر ظواهر القرآن والسنة النبوية لم يأخذ به كل الأخباريين بعد الاسترابادي، ومما يدل على ذلك أنّ المحدث البحراني في محاولته التقريب أو رفع الخصومة بين الأصوليين والأخباريين، وبيان أنّ ما ذكر من وجوه الفرق بينهما عند التأمل لا يثمر فرقا في المقام، وأنه في الحقيقة ليس خاصاً بفريق دون فريق، ولا مما أجمع عليه فريق دون الآخر.. ذكر اختلاف الأخباريين في هذه المسألة؛ فقال: «ومنها أنهم ذكروا أن الاستدلال بالكتاب والسنة خاصة مخصوص بالأخباريين، مع أنّ الخلاف بين الأخباريين واقع فيه، فمنهم المحدث الاسترابادي الذي هو المجدد لمذهب الأخباريين في الزمان الأخير، فإنه قد صرح في كتاب «الفوائد المدنية» بعدم جواز العمل بشيء منه إلا ما ورد تفسيره عن أهل العصمة –سلام الله عليهم–، واقتصر آخرون على العمل بمحكماته، وتعدى آخرون حتى كادوا أن يشاركوا الأئمة عليهم السلام في تأويل متشابهاته»[١].

ولقد قال الشيخ البحراني ذلك مع أنه هو نفسه أكثر ميلاً إلى مذهب الشيخ الاسترابادي؛ حيث قال عن الكتاب العزيز: «ولا خلاف بين أصحابنا الأصوليين في العمل به في الأحكام الشرعية والاعتماد عليه؛ حتى صنف جملة منهم كتبا في الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية، وهي خمسمائة آية عندهم. وأما الأخباريون فالذي وقفنا عليه من كلام متأخريهم ما بين إفراط وتفريط، فمنهم مَن منع فهم شيء منه مطلقا؛ حتى مثل قوله: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[٢] إلا بتفسير من أصحاب العصمة صلوات الله عليهم. ومنهم مَن جوّز ذلك حتى كاد يدّعي المشاركة لأهل العصمة عليهم السلام في تأويل مشكلاته وحل مبهماته. والتحقيق في المقام أنّ الأخبار متعارضة من الجانبين ومتصادمة من الطرفين، إلا أنّ أخبار المنع أكثر عدداً وأصرح دلالة»[٣].

---

(١) الحدائق الناضرة: ج ١ ص ١٦٩.
(٢) الاخلاص: ١.
(٣) الحدائق الناضرة: ج ١ ص ٢٧.

وهذا المنهج الأحادي الأصل هو الذي قاد الشيخ الاسترابادي إلى إعلان تخطئة المعتزلة والأشعرية جميعاً في تعيين أول الواجبات على المكلفين في مجال علم الكلام، وينضم إليهم من تكلم في المسألة أيضا من متكلمي الشيعة الاثنا عشرية الذين اختلفوا في أنّ أول الواجبات معرفة الله تعالى أو النظر المفضي إلى حصول هذه المعرفة، أو القصد إلى ذلك النظر.

وقد خصص الاسترابادي الفصل الحادي عشر من فوائده لبيان أغلاط المعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم في تعيين أول الواجبات، وقال في صدره: «كل من تكلم في مسألة أول الواجبات، وفي مسألة أهل الفترة والأطفال، وأشباههما بمقتضى عقله -وهم المعتزلة والأشاعرة وجمع قليل من أفاضل أصحابنا- زلّت قدمُه وخرَّ أبعد ما بين السماء والأرض. ومن تمسك فيهما وفي غيرهما بأصحاب العصمة عليهم السلام العاصمين للأمة عن الخطأ في المسائل النظرية نجا، وهم الأخباريون من أصحابنا الملتزمون للتمسك بكلام العترة الطاهرة عليهم السلام في كل مسألة ليست من ضروريات الدين».

وبعد أن يذكر آراء أهل السنة من شرح المواقف وغيره يعلن مذهبه في أنّ أول الواجبات إنّما هو الإقرار اللساني بالشهادتين؛ فيقول: «تواترت الأخبار عن أهل بيت النبوة متصلة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ معرفة الله تعالى ومعرفة توحيده بعنوان أنه خالق العالم، وأنّ له رضاً وسخطاً، وأنه لا بد من معلم من جهة الله تعالى ليعلم الخلق ما يرضيه وما يسخطه من الأمور الفطرية التي وقعت في القلوب بإلهام فطري إلهي، كما قال الحكماء: الطفل يتعلق بثدي أمه بإلهام فطري إلهي.

وتوضيح ذلك: أنه تعالى ألهمهم بتلك القضايا، أي خلقها في قلوبهم، وألهمهم بدلالات واضحة على تلك القضايا، ثم أرسل إليهم الرسول، وأنزل عليه الكتاب، فأمر فيه ونهى. وبالجملة، أنه لم يتعلق بهم وجوب ولا غيره من التكليفات إلا بعد بلوغ خطاب الشارع، ومعرفة الله تعالى قد حصلت لهم قبل بلوغ الخطاب بطريق الإلهام بمراتب، وكل من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقع في قلبه من الله تعالى

يقين على صدقه؛ فإنه تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام بأنه ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع قلبه، قبله أو تركه؛ فأول الواجبات الإقرار اللساني بالشهادتين. وكذلك تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام بأنه على الله التعريف والبيان، وعلى الخلق أن يقبلوا ما عرفهم الله تعالى».



الفهارس الفنية



فهرس الآيات القرآنية الشريفة

فهرس الآحاديث الشريفة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الطوائف والجماعات والقبائل

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس الأعلام

حرف الهمزة

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

فهرس الأماكن والمواقع والبقاع

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

مصادر الكتاب

١. آثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري، ط٥، دار مجلة المنهل، جدة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢. آل الأعرجي أحفاد عبيد الله الأعرج، حليم حسن الأعرجي، د.ط، مكتب الشرق الأوسط للنشر، بغداد العراق، ١٩٩٦م.

٣. إتحاف الورى بأخبار أم القرى، عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد ابن فهد (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ط١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٤. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيّال، ط٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، القاهرة مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥. الإجازة الكبيرة، السيد عبد الله الموسوي الجزائري (ت ق ١٢هـ/ ١٨م) تحقيق: محمد الشمامي الحائري، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٠٩هـ.

٦. أجوبة المسائل المهنائية، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) د.ط، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠١هـ.

٧. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) تحقيق: محمد مخزوم، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٨. أحسن التواريخ، حسن بيك روملو (ت ٩٨٥هـ) د.ط، مكتبة الصدر، طهران، ١٣٤٩ هـ. ش.

٩. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي نور الله التستري (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) د.ط، شرح: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، د.ت.

١٠. الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ريتشارد مورتيل، د.ط، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١. أخبار الدول المنقطعة، الإمام جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) د.ط، تحقيق: عصام هزايمة وآخرين، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد الأردن، ١٩٩٩م.

١٢. أخبار الدول وآثار الأول، أحمد بن يوسف القرماني (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) دراسة وتحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٣. الأخبار بين الأصوليين والأخباريين، محمد الغراوي. مقال في مجلة الفكر الجديد. إصدار مؤسسة دار الإسلام بلندن. العدد ٩، السنة الثالثة، آب ١٩٩٤م/ صفر ١٤١٥هـ.

١٤. أخبار الزينبيات، يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله المدني العلوي النسابة العقيقي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، د.ت، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، د.ت.

١٥. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد الأزرقي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٨م)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط٤، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦. الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) تحقيق: علي أكبر الغفاري، والسيد محمود الزرندي، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٧. اختيار معرفة الرجال «رجال الكشي»، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، د.ط، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤هـ.
١٨. أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ستيفن هيملسي لونكريك، ترجمة: جعفر الخياط، ط٥، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.
١٩. الأرج المسكي في التاريخ المكي، علي ابن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٠. الإرشاد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) ط١، مدرسة الإمام المهدي، قم إيران، ١٤٠٧هـ.
٢١. الاستبصار، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، د.ط، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران، ١٣٩٠هـ.
٢٢. إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، محمد بن علي المصري الحنفي الصبان (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م) ط٨، بهامش كتاب نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون، د.م، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٣م.
٢٣. الأصيلي في أنساب الطالبيين، الشريف صفي الدين بن محمد بن تاج الدين علي المعروف بابن الطقطقي الحسني (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) تحقيق: السيد مهدي الرجائي، د.ط، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤١٨هـ.
٢٤. أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها، حسين علي المصطفى، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٥. إظهار العصر لأسرار أهل العصر «تاريخ البقاعي»، إبراهيم بن عمر البقاعي

(ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) تحقيق: محمد بن سالم بن شديد العوفي، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٦. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.

٢٧. الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) تحقيق: محمد عثمان الخشت، د.ط، مكتبة الساعي، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٨. أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس الوجيه، ط١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان الأردن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٩. إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ/ ١١٣٥م)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، د.ط، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٠. إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ/ ١١٣٥م) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم إيران، ١٤١٧هـ.

٣١. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، حققه: فرانز روزنثال، ترجم التعليقات والمقدمة: صالح أحمد العلى، د.ط، دارا لكتب العلمية، بيروت.

٣٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، د.ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٣. إكمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) تحقيق: علي أكبر الغفاري، د.ط، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٤. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) ط٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ١٤٠٠هـ.

٣٥. إمتاع الأسماع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٦. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣هـ) تحقيق: السيد أحمد الحسيني، د.ط، مطبعة الآداب، النجف الأشرف العراق، ١٣٨٥هـ.
٣٧. إنباء الغمر بأبناء العمر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٨. إنباء الهصر بأبناء العصر، علي بن داوود الصيرفي (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٩م) تحقيق: حسن حبشي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.
٣٩. الانتصار لواسطة عقد الأمصار، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق القاهري (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م) د.ط، مطبعة بولاق، د.م، ١٣٠٩هـ.
٤٠. أنوار الربيع في أنواع البديع، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني الشهير بابن معصوم (ت ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م) تحقيق: شاكر هادي شكر، د.ط، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.
٤١. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ت.
٤٢. بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، محمد بن أحمد بن عميد الدين الحسيني النجفي (ت القرن التاسع الهجري) تحقيق: الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني، ط١، دار المجتبى الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.
٤٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ ١٦٩٩م) ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٤٤. بدائع الدهور في وقائع الدهور، أبو البركات محمد بن أحمد ابن إياس (ت

٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، تحقيق: محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٥. البداية والنهاية، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ.

٤٦. البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د.ت.

٤٧. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (ت القرن السادس الهجري) تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم إيران، ١٤١٩هـ.

٤٨. بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، نجلة قاسم الصباغ، رسالة ماجستير في الآداب، غير منشورة، مقدمة إلى قسم التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة سنة ١٩٦٩م.

٤٩. بهجة الآمال في علم الرجال، علي بن عبد الله العلياري التبريزي (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).

٥٠. بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري الميروقي الطائفي (ت ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) تحقيق: إبراهيم بن محمد الزيد، ط١، نادي الطائف الأدبي، الطائف، ١٤٠٤هـ.

٥١. تاج العروس، أبو الفيض محمد بن محمد الزبيدي الحسيني مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٣. تاريخ ابن خلدون «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، د.ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٤. تاريخ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) تحقيق: قسطنطين زريق والمستشرق ليفي دلافيدا، د.ط، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٦م.

٥٥. تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥٦. تاريخ الأدب في إيران، إدوارد براون، ترجمة محمد علاء الدين منصور، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر، ٢٠٠٢م.

٥٧. تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبري»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

٥٨. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي د. فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٦٠. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦١. تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٦٢. تاريخ الشيعة في السعودية، حمزة الحسن، ط١، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٦٣. تاريخ علماء الأندلس، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) د.ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٦٤. تاريخ العتبي، بهامش كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) د.ط، المطبعة الأميرية، بولاق القاهرة، ١٢٩٠هـ.

٦٥. تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره، الشيخ جعفر السبحاني، ط١، دار الأضواء، بيروت لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦٦. تاريخ فقه أهل البيت عليهم السلام، الشيخ محمد مهدي الآصفي، المنشور تصديراً لكتاب «رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل» للسيد علي الطباطبائي (ت ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم إيران، ١٤١٢هـ.

٦٧. تاريخ قريش، حسين مؤنس، ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٦٨. تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، أحمد ياسين الخياري، ط١، مكتبة المدينة الأدبي، المدينة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٩. تاريخ مكة، أحمد السباعي، ط٨، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٧٠. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي الحنفي (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥١م)، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧١. تاريخ المماليك البحرية، علي إبراهيم حسن، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م.

٧٢. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٧م) تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، د.ط،

منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف العراق، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٧٣. التبر المسبوك في ذيل السلوك، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

٧٤. التحرير الطاووسي، أحمد بن موسى آل طاووس (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) تحقيق: فاضل الجواهري، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ق المقدسة، ١٤١١هـ.

٧٥. تحفة الأزهار وزلال الأنهار، ضامن بن شدقم الحسيني المدني (ت بعد ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران إيران، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٧٦. تحفة الزائر، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ ١٦٩٩م) نسخة عتيقة حجرية.

٧٧. تحفة الفاطميين في ذكر أحوال قم والقميين، محمد حسين بن محمد حسن القمي (ت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) نسخة عتيقة حجرية.

٧٨. تحفة لب الألباب في ذكر نسب السادة الأنجاب، ضامن بن شدقم الحسيني المدني (ت بعد ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤١٨هـ.

٧٩. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨٠. تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب، عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري (ت ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م)، تحقيق: محمد العروسي المطوي، د.ط، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م.

٨١. تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، زين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢،

المكتبة العلمية، المدينة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٢. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.م، د.ت.

٨٣. التشيع والتحول في العصر الصفوي، كولن تيرنر، ترجمة: حسين علي عبد الساتر، ط١، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٨م.

٨٤. التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) تحقيق: محمد بن عبد المحسن الخيال، د.ط، منشورات أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة، ١٣٧٢هـ.

٨٥. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة «وسائل الشيعة»، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣هـ) ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٨٦. التقليد للأئمة المعصومين، عباس جمال الدين، د.ط، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م.

٨٧. التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) تحقيق: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٨٨. تلخيص معجم الألقاب في معجم الألقاب، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) تحقيق: مصطفى جواد، د.ط، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٣م.

٨٩. تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) طبعة حجرية.

٩٠. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٩١. تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب، أبو الحسن محمد بن أبي جعفر شيخ

الشرف العبيدلي (ت ٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م) تحقيق: محمد كاظم المحمودي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤١٣هـ.

٩٢. تهذيب تاريخ دمشق الكبير، عبد القادر بدران، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩٣. تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، د.ط، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت.

٩٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) تحقيق: أحمد علي عبيد، حسن أحمد آغا، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٩٥. التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، د.ط، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت.

٩٦. التنبيه والأشراف، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) د.ط، دار صعب، بيروت، د.ت.

٩٧. توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين محمد بن يحيى القرافي (ت ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م) تحقيق وتقديم: أحمد الشتيوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٨. توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد، آغا بزرك الطهراني، تحقيق الشيخ محمد علي الأنصاري، د.ط، مطبعة الخيام، قم إيران، ١٤٠١هـ.

٩٩. توضيح المقال في علم الرجال، علي كني (ت ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) تحقيق: محمد حسين مولوي، ط١، مؤسسة دار الحديث الثقافية، قم إيران، ١٤٢١هـ.

١٠٠. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) قدم له: محمد مهدي حسن الخرسان، د.ط، د.م، د.ت.

١٠١. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن الهند، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢.

١٠٢. جامع التواريخ، تاريخ المغول، فضل الله رشيد الدين الهمداني، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، ط١، القاهرة ١٩٦٠م.

١٠٣. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، محمد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري (ت ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م) د.ط، دار الأضواء، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠٤. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، جمال الدين محمد جار الله ابن ظهيرة (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) ط٢، د.ن، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٠٥. جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) تحقيق: محمد كاظم الطريحي، د.ط، جابخانه حيدري، طهران إيران، د.ت.

١٠٦. جاوان القبيلة الكوردية المنسية، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٣م.

١٠٧. جدة في مطلع القرن العاشر الهجري، نوال سراج ششة، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٠٨. جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) تحقيق ودراسة: عبد الله يوسف الغنيم، د.ط، دار السلاسل، الكويت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠٩. جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١١٠.الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد القرشي (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، د.ط، دار العلوم، الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١١١. الجواهر المعدّة في فضائل جدة، أحمد بن محمد بن أحمد الخضراوي المكي الشافعي (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) تحقيق: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١١٢.حاوي الأقوال في معرفة الرجال، عبد النبي الجزائري (ت ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م) تحقيق: رياض الناصري، ط١، مؤسسة الهداية لإحياء التراث، قم إيران، ١٤١٨هـ.

١١٣.الحبل المتين في إحكام أحكام الدين، بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي البهائي (ت ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م) ط١، دار الهادي، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٤.الحبل المتين في إحكام أحكام الدين، بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي البهائي (ت ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م) تحقيق: بلاسم الموسوي الحسيني، ط١، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد إيران، ١٤٢٤هـ.

١١٥.الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، جميل حرب، ط١، تهامة للنشر والمكتبات، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٦.الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢) تحقيق: محمد تقي الايرواني، ط٣، دار الأضواء، بيروت لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١١٧.حذف من نسب قريش، مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢ دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١١٨. الحركة الأخبارية وحقيقة الصراع الأصولي، الدكتور جودت القزويني، بحث منشور بالعدد الأول من مجلة الفكر الجديد، إصدار مؤسسة دار الإسلام، لندن، كانون الثاني ١٩٩٢م/ رجب ١٤١٢هـ.

١١٩. الحركة الصليبية، سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م.

١٢٠. الحق المبين في تحقيق كيفية التفقه في الدين، محمد محسن بن مرتضى بن محمود الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) تصحيح ونشر: مير جلال الدين الحسيني الآرموي المحدث، د.ط، سازمان چاب دانشگاه، إيران، ١٣٩٠هـ.

١٢١. الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريين، الشيخ جعفر بن خضر النجفي كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، د.ط، مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الأشرف العراق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٢٢. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني ابن الفوطي (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) تحقيق: مصطفى جواد، د.ط، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ.

١٢٣. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) تحقيق: محمد كمال عز الدين، ط١، عالم الكتب، د.م، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٢٤. الحياة الاجتماعية للعلماء من (٥٠هـ/ ٦٧٠م – ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، عبد الرحمن أحمد المختار، رسالة نالت درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، عام ١٩٩٩م.

١٢٥. الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، عطية طه عبد العزيز إبراهيم، رسالة دكتوراه في الآداب، غير منشورة، مقدمة إلى قسم التاريخ، جامعة القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٢٦. الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، خالد محسن الجابري،

د.ط، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥م.
١٢٧. الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م)، رشاد بن عباس معتوق، رسالة دكتوراه منشورة، مقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٢٨. حياة المحقق الكركي وآثاره، محمد الحسون، ط١، منشورات الاحتجاج، قم إيران، ١٤٢٣هـ.
١٢٩. خاتمة مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٥هـ.
١٣٠. خصائص الأئمة، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) تحقيق: محمد هادي الأميني، د.ط، مجمع البحوث الإسلامية التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد إيران، ١٤٠٦هـ.
١٣١. الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) د.ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، ١٤٠٣هـ.
١٣٢. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٣٣. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) تحقيق الشيخ جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران قم، ١٤١٧هـ.
١٣٤. خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) تحقيق وتحليل: محمد أمين توفيق، ط١، دار الساقي، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

١٣٥ . دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام، حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) ط٢، دار البلاغة، بيروت، ٢٠٠٧م.
١٣٦ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٣٧ . الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، محمد بن محمود ابن النجار (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، د.ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، د.ت.
١٣٨ . الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، أحمد محمد البرادعي، ط٢، د.م، بيروت، ١٣٩٤هـ.
١٣٩ . درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) دراسة وتحقيق: محمد كمال الدين علي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٤٠ . الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، عبد القادر بن محمد الجزيري (ت نحو ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) تحقيق: حمد الجاسر، ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٤١ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
١٤٢ . الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية «كنز الدرر وجامع الغرر»، أبو بكر عبد الله ابن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) تحقيق: صلاح الدين المنجد، د.ط، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
١٤٣ . الدليل الشافي على المنهل الصافي، جمال الدين أبي المجاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) تحقيق: فهيم محمد شلتوت، د.ط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٤٤. الدول الإسلامية، سنانلي لين بول، د.ط، مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
١٤٥. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، د.ط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
١٤٦. ديوان الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) تحقيق: محمد التونجي، ط١، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.
١٤٧. ديوان المتنبي.
١٤٨. ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد، محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزواري (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) طبعة حجرية، إيران.
١٤٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني. ط ٢، دار الأضواء، بيروت لبنان، ١٤١٠هـ.
١٥٠. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٨هـ.
١٥١. الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) تحقيق: جمال الدين الشيال، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.
١٥٢. ذيل الدرر الكامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) تحقيق: عدنان درويش، د.ط، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٥٣. الذيل على الروضتين، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامت (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) د.ط، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

١٥٤. ذيل مرآة الزمان، قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أحمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

١٥٥. ذيول العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) تحقيق: أبو هاجر محمد العيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٥٦. الرافد في علم الأصول، السيد علي الحسيني السيستاني، تقرير محاضراته بقلم منير عدنان القطيفي، ط١، نشر مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، مطبعة مهر، قم إيران، ١٤١٤هـ.

١٥٧. رجال ابن داود، تقي الحسن بن علي بن داود الحلي (ت بعد ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، د.ط، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٥٨. رجال ابن الغضائري، أحمد بن الحسين بن عبيد الله الواسطي البغدادي؛ ابن الغضائري (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، ط١، مؤسسة دار الحديث، قم إيران، ١٤٢٢هـ.

١٥٩. رجال الخاقاني، الشيخ علي الخاقاني (ت ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م) تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٦٠. رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

١٦١. رجال الكشي «اختيار معرفة الرجال»، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، د.ط، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤هـ.

١٦٢. رجال الكشي «اختيار معرفة الرجال»، محمد بن الحسن الطوسي (ت

٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل الميبدي، أبو الفضل الموسويان، ط ١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٢٤هـ.

١٦٣. رجال النجاشي، أحمد بن علي أحمد النجاشي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ط٧، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، ١٤٢٤هـ.

١٦٤. رحلة ابن بطوطة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٦٥. رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) د.ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٦٦. رحلة ابن معصوم المدني «سلوة الغريب وأسوة الغريب»، علي خان الحسيني المدني الشيرازي ابن معصوم (ت ١١٢٠هـ/ ١٦٦٠م) تحقيق: شاكر هادي شكر، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.

١٦٧. رحلة العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط١، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٠٦.

١٦٨. رسائل في تاريخ المدينة، حمد الجاسر، ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٦٩. الرسائل الفقهية، الوحيد البهبهاني المولى محمد باقر بن محمد أكمل (ت ١٢٠٨هـ). تحقيق ونشر مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني. ط١، مطبعة أمير - قم، إيران ١٤١٩هـ.

١٧٠. رسالة أبي غالب الزراري إلى ابن ابنه في ذكر آل أعين، أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين الشيباني الكوفي البغدادي (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م) تحقيق: محمد رضا الحسيني، ط١، مركز

النشر - مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١١هـ.

١٧١. الرعاية في علم الدراية، زين الدين بن علي بن أحمد الجباعي العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م) تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، ط٢، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤١٣هـ.

١٧٢. الرواشح السماوية، محمد باقر الحسيني الاسترابادي الميرداماد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) تحقيق: نعمة الله الجليلي، غلام حسين قيصريةها، ط١، مؤسسة دار الحديث، قم إيران، ١٤٢٢هـ.

١٧٣. روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، زين الدين بن علي بن أحمد الجباعي العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م) تحقيق: قسم إحياء التراث الإسلامي مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم إيران، ١٤٢٢هـ.

١٧٤. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) الطبعة الحجرية، إيران، ١٣٠٧هـ.

١٧٥. الروضتين في أخبار الدولتين، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامت (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت.

١٧٦. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي بن مقصود المجلسي (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) تحقيق: حسين الموسوي الكرماني، علي بناه الاشتهاردي، فضل الله الطباطبائي، ط٣، المؤسسة الثقافية الإسلامي لكوشانبور، قم إيران، ١٤٠٦هـ.

١٧٧. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، علي خان الحسيني المدني الشيرازي ابن معصوم (ت ١١٢٠هـ/ ١٦٦٠م) تحقيق: محسن الحسيني الأميني، د.ط، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم إيران، د.ت.

١٧٨. رياض العلماء وحياض الفضلاء، عبد الله أفندي الأصفهاني (ت القرن

١٢هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، د.ط، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٠١هـ.

١٧٩. ريحانة الأدب

١٨٠. زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدثين، أحمد بن صالح البحراني القطيفي القديحي (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) تحقيق: ضياء بدر آل سنبل، ط١، د.م، ١٤١٤هـ.

١٨١. زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول، زين الدين بن علي بن الحسن الشدقمي الحسيني (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م) تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨٢. سفر نامه، ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ترجمة يحيى الخشاب، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م.

١٨٣. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) الطبعة الحجرية، مطبعة المهارة، ١٣٦٣هـ.

١٨٤. سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، علي خان الحسيني المدني الشيرازي ابن معصوم (ت ١١٢٠هـ/ ١٦٦٠م) د.ط، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٢٤هـ.

١٨٥. سلوة الغريب وأسوة الغريب «رحلة ابن معصوم المدني»، علي خان الحسيني المدني الشيرازي ابن معصوم (ت ١١٢٠هـ/ ١٦٦٠م) تحقيق: شاكر هادي شكر، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.

١٨٦. السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

١٨٧. سماء المقال في علم الرجال، أبو الهدى كمال الدين بن محمد بن محمد إبراهيم الكرباسي (ت ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) تحقيق: محمد الحسيني القزويني، ط١، مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية، قم إيران، ١٤١٩هـ.

١٨٨. السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (ت بعد ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) تحقيق: ركس سميث، د.ط، د.ن، كمبردج، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
١٨٩. سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
١٩٠. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، تحقيق: عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٩١. سياسة الفاطميين الخارجية، محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.
١٩٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، تحقيق: صالح السمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٩٣. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٠٩هـ.
١٩٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي ابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٩٥. شرح إحقاق الحق، شهاب الدين المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٠٥هـ.
١٩٦. شرح المواقف، محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة مصر، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.
١٩٧. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي

المكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.
١٩٨. شهداء الفضيلة، عبد الحسين الأميني النجفي (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٩٩. الشهيد الأول محمد بن مكي، السيد حسن الأمين، مجلة المنهاج، عدد ٦، ص ٢١١.
٢٠٠. الشيعة في العصر المغولي، محمد سعيد الطريحي، ط١، أكاديمية الكوفة، هولندا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢٠١. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٠٢. الصحيح، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠هـ) ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٢٠٣. الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري، (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.
٢٠٤. صلة تاريخ الطبري، عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، روائع التراث العربي، بيروت (د. ط. ت).
٢٠٥. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٢٠٦. طب الأئمة برواية أبي عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوريين (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م)، وضع المقدمة: محمد مهدي الخراسان، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ م.
٢٠٧. طبقات أعلام الشيعة، محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني النجفي آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م) ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٠٨. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي (ت ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م) تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، طذ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٢٠٩. طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحمن الأسنوي (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، تحقيق: عبد الله الجبوري، د.ط، دار النشر والعلوم، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢١٠. طبقات القرّاء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد علي بن الجزري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م) تحقيق: ج برجستراسر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢١١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٢١٢. طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، علي أصغر الجابلقي البروجردي (ت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة بهمن، قم إيران، ١٤١٠هـ.
٢١٣. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر «تاريخ ابن خلدون»، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، د.ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٢١٤. العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، تحقيق: فؤاد سيد، د.ط، التراث العربي، الكويت، ١٩٦١م.
٢١٥. عدة الرجال، محسن بن الحسن الحسيني الأعرجي الكاظمي (ت ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) تحقيق: مؤسسة الهداية لإحياء التراث، ط١، مؤسسة الهداية لإحياء التراث، قم إيران، ١٤١٥هـ.
٢١٦. العدوان الصليبي على الشام، جوزيف نسيم جوريف، ط١، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م.

٢١٧.العدوان الصليبي على مصر، جوزيف نسيم جوريف، ط١، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م.

٢١٨.العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) تحقيق: فؤاد سيد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢١٩.عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ/ ١٩٨٨م) تحقيق: محمد محمد محمدين، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢٠.عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم)، بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ/ ١٩٨٨م) تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، ط١، الزهراء للإعلام، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٢١.العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط٢، دار الآداب، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢٢.عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي ابن عنبة (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) د.ط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.

٢٢٣.عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني (ت القرن ١١هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي برعاية السيد محمد باقر الأبطحي، ط١، مطبعة أمير، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ.

٢٢٤.عيون الأخبار وفنون الآثار، إدريس عماد الدين القرشي (ت القرن التاسع) تحقيق: مصطفى غالب، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٢٥.عيون أخبار الرضا، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، منشورات جهان، طهران إيران.

٢٢٦.العيون والحدائق في إخبار الحقائق، مؤلف مجهول.

٢٢٧. غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني (ت بعد ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٢٨. غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد ابن فهد (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ط١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار المدني، جدة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢٩. غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد ابن فهد (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ط١، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٣٠. غرر الفوائد ودرر القلائد «أمالي المرتضى»، علي بن الحسين الموسوي العلوي الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٣١. الفتوحات المكية، محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) تحقيق: عثمان يحيى، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٣٢. الفخري في أنساب الطالبيين، عز الدين أبو طالب إسماعيل بن الحسين بن محمد المروزي الأزورقاني (ت بعد ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم، ١٤٠٩هـ.

٢٣٣. فرائد الأصول، مرتضى بن محمد أمين الأنصاري (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) ط١، مجمع الفكر الإسلامي، قم إيران، ١٤١٩هـ.

٢٣٤. فضائل الأشهر الثلاثة، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) تحقيق: غلام رضا عرفانيان، د.ط، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٢٣٥. الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، علي حسين الجابري، ط١، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ١٩٧٧م.

٢٣٦. فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم، عبد الله نعمة، ط١، دار الكتاب الإسلامي، قم إيران، ١٩٨٧م.

٢٣٧. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ()، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٣٨. الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

٢٣٩. الفوائد الطوسية، محمد بن الحسن الحر العاملي. ط المطبعة العلمية - قم، إيران ١٤٠٣هـ.

٢٤٠. الفوائد المدنية، محمد أمين الاسترابادي. ط دار النشر لأهل البيت - عليهم السلام - قم، إيران ١٤٠٥هـ.

٢٤١. الفوائد المدنية، محمد أمين الاسترابادي (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م) تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤هـ.

٢٤٢. الفوائد المكية؛ المطبوع بهامش الفوائد المدنية، نور الدين الموسوي العاملي (ت ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م) تحقيق: رحمة الله الرحمتي الأراكي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٤هـ.

٢٤٣. الفوائد الرجالية؛ المطبوع بآخر رجال الخاقاني، محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ/) تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٤٤. في منزل الوحي، محمد حسين هيكل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٤٥. قاموس الرجال، محمد تقي التستري، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ.

٢٤٦. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروآبادي، (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٤٧. قبرص والحروب الصليبية، سعيد عاشور، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٧م.
٢٤٨. قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري (ق ٣ هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٤٩. قصص العلماء، محمد بن سليمان بن محمد رفيع التنكابني (ت ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) ترجمة: مالك وهبي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢٥٠. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٥١. قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، المدينة المنورة، ١٩٩٨م.
٢٥٢. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، أحمد مختار العبادي، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٥٣. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م) تحقيق: علي أكبر الغفاري، د.ط، دار الأضواء، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٥٤. كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م) تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.
٢٥٥. الكامل في التاريخ، عز الدين علي بن محمد بن محمد الشيباني ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٥٦. كتاب المعقبين من ولد الإمام أمير المؤمنين، يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله المدني العلوي النسابة العقيقي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) تحقيق: محمد الكاظم، د.ط، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٥٧.كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).
٢٥٨.كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار، إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري (ت ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م) ط٢، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ١٤٠٩ هـ.
٢٥٩.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة () د.ط، مكتبة المتنبي، بيروت، د.ت.
٢٦٠.كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، مشهد إيران، ١٤٢٢هـ.
٢٦١.كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٦٢.الكشكول، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢) ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٦٣.كفاية الفقه «كفاية الأحكام»، محمد باقر السبزواري (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) تحقيق: مرتضى الواعظي الأراكي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، ١٤٢٣هـ.
٢٦٤.الكنى والألقاب، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٢٦٥.كنز الأنساب ومجمع الآداب، حمد بن إبراهيم بن عبد الله الحقيل، ط١٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٢٦٦.كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر عبد الله ابن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) تحقيق: صلاح الدين المنجد، د.ط، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
٢٦٧.كنز الفوائد، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)

٢٦٨. الكواكب المشرقة في أنساب وتاريخ وتراجم الأسرة العلوية الزاهرة، السيد مهدي الرجائي الموسوي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٦٩. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٧٠. لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، أبو الحسن علي بن بن أبي القاسم بن زيد البيهقي ابن فندق (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم، إيران، ١٤١٠هـ.

٢٧١. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٧٢. لسان الميزان، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

٢٧٣. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، علي الوردي، ط١، دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٧٤. لؤلؤة البحرين، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني (ت ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧٥. مآثر الأنافة في معالم الخلافة، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٧٦. ماضي النجف وحاضرها، جعفر باقر آل محبوبة، ط٢، مطبعة الآداب، النجف الأشرف العراق، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٢٧٧. مجالس المؤمنين في ترجمة حياة علماء الشيعة، نور الله بن شريف بن نور الله التستري (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) المكتبة الإسلامية، طهران إيران.

٢٧٨. المجدي في أنساب الطالبيين، نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري (من أعلام القرن الخامس) تحقيق: أحمد المهدوي الدامغاني، ط٢، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم، ١٤٢٢هـ.

٢٧٩. مجلة سومر.

٢٨٠. مجلة المجمع العراقي.

٢٨١. مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) تحقيق: محمد الكاظم، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٦ هـ.

٢٨٢. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) تحقيق: أحمد الحسيني، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٨٣. مجمع الرجال، عناية الله بن علي بن محمود القهبائي (ت بعد ١٠١١هـ/ ١٨٠٢م) ط١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٨٤. مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) تحقيق: مجتبى العراقي، علي بناه الاشتهاردي، آغا حسين اليزدي الأصفهاني، د.ت، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، ١٤٠٣هـ.

٢٨٥. المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم إيران، ١٤١٣هـ.

٢٨٦. المحصول في علم أصول الفقه، الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين الخطيب (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) تحقيق: طه جابر فياض العلواني، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٨٧. مختصر تاريخ دمشق، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي

الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٨٨. المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) د.ط، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

٢٨٩. مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، محمد بن علي الموسوي العاملي (ت ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت لبنان، ١٤١١هـ-/ ١٩٩٠م.

٢٩٠. المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م.

٢٩١. مدينة معاجز الائمة الإثنى عشر ودلائل الحجج على البشر «مدينة المعاجز»، هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م) تحقيق: عزة الله الملائي الهمذاني، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم إيران، ١٤١٣هـ.

٢٩٢. المدينة بين الماضي والحاضر، إبراهيم العباسي، د.ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٩٣. مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

٢٩٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٣٧هـ.

٢٩٥. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٥٢م.

٢٩٦. مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد

الحق البغدادي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
٢٩٧. مراقد المعارف، محمد بن حرز الدين النجفي (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) تحقيق وتعليق: محمد حسين حرز الدين، د.ت، مطبعة الآداب، النجف العراق، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٢٩٨. المسالك والممالك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، تحقيق: محمد جابر عبد العلا الحسيني، محمد شفيق غربال، د.ط، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
٢٩٩. مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، زين الدين بن علي بن أحمد الجباعي العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م) تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، قم إيران، ١٤١٣هـ.
٣٠٠. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الشيخ ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، بيروت لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٣٠١. مشارق الشموس في شرح الدروس، حسين بن جمال الدين محمد الخوانساري (ت ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م) د.ط، طبعة حجرية، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التارث، د.ت.
٣٠٢. مصادر الاستنباط بين الأصوليين والأخباريين، محمد عبد الحسن محسن الغراوي،. نشرة وزيري شوميز، إيران، ١٣٧١ هـ ش.
٣٠٣. مصر في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٣٠٤. مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، آغا بزرك الطهراني، تصحيح أحمد المنزوي، منشورات عترة، طهران إيران، ١٣٧٨هـ.
٣٠٥. المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٠٦. المعالم الجديدة للأصول، محمد باقر الصدر، ط٢، نشر مكتبة النجاح، طهران إيران، ١٣٩٥هـ.

٣٠٧. معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً «تتمة كتاب الفهرست»، محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، د.ط، دار الأضواء، بيروت، د.ت.

٣٠٨. المعتبر في شرح المختصر، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ط١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٣٠٩. معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، المستشرق زامبارو، تعريب: زكي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، سيدة اسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي، أحمد ممدوح حمدي، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣١٠. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) د.ط، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣١١. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، حمد الجاسر، ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٣١٢. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، ط٣، دار الزهراء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣١٣. معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، محمد هادي الأميني النجفي، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣١٤. معجم قبائل الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، د.ط، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣١٥. معجم قبائل المملكة العربية السعودية، حمد الجاسر، ط١، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣١٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٩٤م) تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

٣١٧. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث البلادي، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٣١٨. معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣١٩. معجم الشيوخ، عمر بن فهد الهاشمي المكي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) تحقيق: محمد الزاهي، د.ط، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٢٠. معجم مؤلفي الشيعة، علي فاضل القائيني النجفي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٥هـ.

٣٢١. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٢٢. معراج أهل الكمال إلى معرفة الرجال، سليمان بن عبد الله الماحوزي (ت ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) تحقيق: مهدي الرجائي، عبد الزهراء العويناتي، ط١، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم إيران، ١٤١٢هـ.

٣٢٣. المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) ط١، تحقيق: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٢٤. مفاخر الإسلام، علي الدواني، د.ط، مركز قبلة الثقافي، طهران إيران، د.ت.

٣٢٥. مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت (د. ط. ت).

٣٢٦. مقباس الهداية في علم الدراية، عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) تحقيق: محمد رضا المامقاني، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث، قم إيران، ١٤١١هـ.
٣٢٧. المقفى الكبير، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٢٨. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ). تخريج محمد بن فتح الله بدران. ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، مصر ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
٣٢٩. ملوك حيدر آباد «تاريخ المملكة القطب شاهية في الهند»، محمد سعيد الطريحي، ط١، أكاديمية الكوفة، هولندا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٣٠. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (ت ١١٢٥هـ/ ١٧٠٣م)، تحقيق: د. جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٣٣١. المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، أبو إسحاق إبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٣٣٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ - ١٢٠٢م)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٣٣. منتقلة الطالبية، أبو إسماعيل إبراهيم بن ناصر ابن طباطبا (من أعلام القرن الخامس الهجري) تحقيق: محمد مهدي حسن الخرسان، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف العراق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٣٣٤. منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) تعريب: نادر التقي، د.ط، الدار الإسلامية، بيروت لبنان، ٢٠٠١هـ/ ١٤٢٢هـ.
٣٣٥. منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الحسن بن يوسف الحلي (العلامة

الحلي)، مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، إيران - مشهد، ١٤٢٤هـ.
٣٣٦. منتهى المقال في أحوال الرجال، أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني الحائري (ت ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، د.ط، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٣٣٧. من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) تحقيق: حسن الخرسان، د.ط، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران، ١٣٩٠هـ.
٣٣٨. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٣٩. موارد الأتحاف في نقباء الأشراف، السيد عبد الرزاق كمونة الحسيني، د.ط، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٣٤٠. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الحطاب الرعيني (ت ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) ط١، تخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤١. الموسوعة الرجالية الميسرة «معجم رجال الوسائل»، علي أكبر الترابي، ويحيى الرهائي، ط١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم إيران، ١٤١٩هـ.
٣٤٢. موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٣٤٣. موسوعة العشائر العراقية، ثامر العامري، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣م.
٣٤٤. الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ط١، مجمع الفكر الإسلامي، قم إيران، ١٤١٥هـ.
٣٤٥. الموضوعات.

٣٤٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، مشاركة: عبد الفتاح أبو سنة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٤٧. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) الطبعة الحجرية.

٣٤٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المجاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٣٤٩. نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة، زين الدين علي بن الحسن الشدقمي الحسيني (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م) تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٥٠. نزهة القلوب

٣٥١. نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م) ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٥٢. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، علي بن داوود الصيرفي (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٩م) تحقيق: حسن حبشي، د.ط، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

٣٥٣. نصيحة المشاور وتعزية المجاور، عبد الله بن محمد بن فرحون المالكي (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٥٤. نقد الرجال، مصطفى بن الحسين الحسيني التفريشي (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) تحقيق: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٥٥. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي

(ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٣٥٦.نهاية الدراية، حسن الصدر العاملي الكاظمي (ت ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) تحقيق: ماجد الغرباوي، نشر المشعر، قم إيران، د.ت.
٣٥٧.نهاية المرام في تتميم مجمع الفائدة والبرهان، محمد بن علي الموسوي العاملي (ت ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م) تحقيق: مجتبى العراقي، علي بناه الاشتهاردي، آقا حسين اليزدي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، ١٤١٣هـ.
٣٥٨.نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) تحقيق: طارق بن عوض الله محمد، ط١، دار ابن القيم، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٥٩.الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، جعفر المهاجر، ط١، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٣٦٠.هداية الأحباب
٣٦١.هدية العارفين «أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) د.ط، مكتبة المتنبي، بيروت، د.ت.
٣٦٢.هداية المسترشدين في شرح معالم أصول الدين، محمد تقي الرازي (ت ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م) طبعة حجرية.
٣٦٣.الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٦٤.الواقفية دراسة تحليلية، رياض محمد حبيب الناصري، ط١، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام – مشهد المقدسة، قم إيران، ١٤٠٩هـ.
٣٦٥.وسائل الشيعة «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣هـ) ط١، مؤسسة آل

البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٦٦. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نور الدين علي بن أحمد السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣٦٧. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

المحتويات